ثقافة الارهاب
في كتب الوهابية

بسم الله الرحمن الرحیم

ثقافه الارهاب فی کتب الوهابیه

کاتب:

صالح وردانی

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

ثقافه الارهاب فی کتب الوهابیه

اشارة

سرشناسه : وردانی، صالح

عنوان و نام پدیدآور : ثقافه الارهاب فی کتب الوهابیه/ صالح الوردانی.

مشخصات نشر : تهران: نشر مشعر، ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری : ۲۲۴ ص.

شابک : ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۳۴۹-۰

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

موضوع : تروریسم -- جنبه‌های مذهبی -- اسلام

موضوع : وهابیه -- کتاب‌های نقدشده

موضوع : حنبلیه-- کتاب‌های نقدشده

موضوع : وهابیه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

موضوع : حنبلیه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

رده بندی کنگره : BP۱۹۸/۶ /ت۴و۴ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۳۷۹

شماره کتابشناسی ملی : ۲۵۹۸۰۰۳

ص:۱

اشاره

ص:۲

ص:۳

ص:۴۰

ص:۵

تقدیم

تُعدّ المنشورات الوهّابیّة من أخطر المنشورات المتداولة بین أیدی المسلمین الیوم، فهی منبع العنف والأفکار المتطرِّفة وهی فی الوقت نفسه الأساس الذی قامت علیه الجماعات والفِرَق الإرهابیة التی شوّهت الإسلام وفرّقت المسلمین بالإضافة إلی کونها أسهمت بطُرُقٍ مختلفة فی تشکیل العقل المسلم المعاصر.

وتقف خلف رواج هذه المنشورات جهات عدیدة علی مستوی الداخل والخارج تسعی جاهدة لحصار العقل المسلم وتطویقه وعزله عن المصادر الأخری التی تعینه علی فهم حقیقة الإسلام.

وفی دائرة هذا البحث سوف نعرض للعدید من هذه المنشورات التی تکشف لنا حجم المؤامرة الوهّابیّة علی الإسلام والمسلمین الیوم. وتکشف لنا أیضاً مدی سطحیّة هذه المنشورات وقشریّتها.

وقبل الخوض فی هذه المنشورات، یجب أن نضع بعض الملاحظات؛ حتّی تتکوّن لدی القارئ صورة عنها تعینه علی فهم أبعادها.

الملاحظة الأُولی: إنّ غالب هذه المنشورات من صناعة رموز الوهّابیّة فی السعودیة والبقیّة الأُخری منها تعود لرموز حنبلیة قدیمة علی رأسها: ابن حنبل، وابن تیمیة، وتلامیذه: ابن القیّم، والذهبی، وابن کثیر.

ص:۶

الثانيـة: إنّ العديـد من هـذه المنشورات بـدون ناشـر وبـدون حقوق للطبع وتُهـدى ولا تُباع، والهـدف من ذلك هو تيسـير رواجها بين المسلمين.

الثالثة: إنّ هذه المنشورات ترکِزّ على فتاوى رموز الوهّابيّة المعاصـرين، مثل: عبدالعزيز بن باز، وابن عثيمين، وابن بابطين، وابن فوزان، وغيرهم.

الرابعـة: إنّ هـذه المنشورات منهـا مـا يختص بالبنـاء العقائـدى وغسـيل المـخ ومنهـا ما يتعلّق بخصوم الوهّابيّـة من المـذاهب والتيّارات الأُخرى.

الخامسة: إنّ هذه المنشورات تتحدّث بلسان أهل السُنّة وتدّعى تمثيلهم. .

ولمّا كانت الوهابية ذات جذور ضـعيفة، وفى حاجة إلى الدعم الشـرعى، فقد عملت على التلحّف بالسـلف، وادعاء السير على نهجهم والالتزام بعقائدهم.

وحتّى تنطلى هـذه الحيلـة على المسـلمين ولاـ يكتشـفوا لعبـة الوهّابيّـة وتسـتّرهم بالسـلف، وتصـادم عقائـدهم وأفكارهم معهم خاصّـةً الأحناف والمالكية والشافعية منهم اتّجه الوهّابيّون إلى تزوير التاريخ وتضخيم الحنابلة والتلحّف بفكرة الإجماع.

ومن خلال هذا البحث سوف يتبيّن لنا أنّ منشورات الوهّابيّين إنّما هى تنطق بلسان بعض الحنابلة القدامى، ولا صلة لها بالسلف.

وسوف يرى القارئ أنّ فكرة تحريم التوسّل وزيارة القبور وشـدّ الرّحال إليها، التى رفع شـعارها الوهّابيّون واعتبروها من صور الشـرك والضلال، لم يقل بها أحد من السلف.

والعقل الوهّابى إنّما هو عقل جامد متحجّر أوغل فى الروايات الضعيفة محل التنازع وتعصّب لها، وشغل المسلمين بتوافه الأمور وقشور الـدين، وأهمل القضايا الكبرى التى يرتبط بها مصـير الإسـلام والمسـلمين، وهذا وحده دليل كافٍ على مدى ما يشـكّله هذا العقل من خطرٍ على الإسلام والمسلمين.

ومـا ينبغى الإشـارة له هنـا هو أنّ ثقافـة الإرهـاب التى سوف نستعرضـها هنـا من خلال منشورات الوهّابيّن لا تنـح-صـر فقط فى كتب الحنابلة القدامى والوهّابيّين

ص:۷

المعاصرین وإنّما تمتد إلی کتب التراث المتطرّفة الأُخری التی عمل الوهّابیّون علی استثمارها لدعم أفکارهم الإرهابیة.

وسوف یلحظ القارئ من خلال استعراضنا لمنشورات الوهّابیّین مدی تلاعبهم بالنصوص، ومحاولتهم استغفال المسلمین واللعب بعقولهم، ومحاولة تصویر أنفسهم کمخلّصین للأُمّة من الشرک والضلال.

ولا ندّعی أنّنا قد أحطنا فی دائرة هذا الکتاب بجمیع منشورات الوهّابیّین ونصوصهم و فتاواهم التی أسهمت فی توطین ثقافة الإرهاب بین المسلمین الیوم، وما استعرضناه هنا هو مجرّد نماذج من منشوراتهم تکشف حقیقة مذهبهم و مدی ما یشکّلونه من خطرٍ علی الإسلام والمسلمین.

ومن الله التوفیق والسداد.

صالح الوردانی

salehalwerdani@yahoo. com

www. weghah. com

ص:۸

تاريخ الإرهاب الوهّابى دماء وغنائم الدم الدم والهدم الهدم

اشارة

كانت تلك الجملـة على لسان محمّـد بن عبـد الوهاب حين وضع يده فى يد ابن سـعود هى بداية الإرهاب الوهّابى فى جزيرة العرب، ذلـك الإرهـاب الـذى شـمل قطاعات كثيرة، ولـم يسـتثن أحـداً من الفقهاء المخالفين أو الأشـراف من ذرّيّة الرسول (ص) ، أو القوى الأُخرى المعارضة لابن سعود، التى وقفت فى طريق طموحاته وبسط نفوذه حتّى شمل هذا الإرهاب العامّة فى النهاية.

اتّخذ ابن سعود دعوة محمّد بن عبدالوهاب ستاراً لتحقيق نفوذه وأطماعه والسيطرة على جزيرة العرب.

واتّخذ ابن عبد الوهاب ابن سعود دعامةً ونصيراً لفرض أفكاره ومذهبه المعوج على المسلمين فى جزيرة العرب بقوّة السيف.

ولمّا كانت الوهّابيّة محل رفض واستهجان الفقهاء والمسلمين فى جزيرة العرب؛ كان السيف هو الحدّ الفاصل ووسيلة الحسم.

من هنا جرت الدماء كالأنهار فى كلّ مكان بسيوف آل سعود وبمباركة ابن عبدالوهاب.

ص:۱۰

والدماء هنا هی دماء المسلمین التی عصمها الله فی کتابه، وأكّد الرسول (ص) عصمتها بصريح أقواله.

وكون الوهّابيّة اعتمدت على سيوف آل سعود هو دليل قاطع على بطلانها وزيفها.

ولولا آل سعود ما كان للوهّابيّة أن تبقى وأن تستمر.

والدعوة الحقّة إنّما تستمد قوّتها واستمرارها من ذاتها لا من الحكّام.

الدعوة الحقّة تستمر وتبقى دون عون من أحد.

الحكّام لهم مصالحهم ومآربهم التی یجب أن تخضع لها الدعوة.

والدعوة التی تسیر فی ركاب الحكّام إنّما تخضع لمصالحهم وتدعم نفوذهم وتضفی المشروعيّة على أهدافهم وممارساتهم وسیاساتهم.

وهو ما انطبق على محمّد بن عبد الوهاب وعلى دعوته التی لفظها الجمیع، حتّى والده الفقیه الحنبلی وأشقّائه؛ ممّا دفع به إلى الفرار من جزيرة العرب خوفاً على نفسه، ثمّ العودة إليها مرّةً أُخرى ليلقى بنفسه فی أحضان آل سعود الذین وجدوا فی دعوته ضالتهم المنشودة.

دماء وغنائم

ومن أجل السيطرة على جزيرة العرب استخدم السعوديّون الوهّابيّين للانتقام من خصومهم ومَن يعترضون سبيلهم، فوقعت الكثير من المجازر الوحشيّة، ودُمّرت العديد من القرى، وأُحرقت العديد من المكتبات، وهُدّمت الأضرحة والمقامات التی كانوا يجدونها فی طريقهم.

وفی عام ۱۲۱۷ه‍- هاجم الوهّابيون مدينة الطائف، بعد حصارٍ طويل، وقتلوا الكثير من أهلها، ثمّ نهبوها بعد أن هدموا الكثير من بيوتاتها ومحلّاتها ومقابر الصحابة التی كانت فيها بالإضافة إلى إحراق الكتب التی وجدوها فی طريقهم ولم يبقوا منها إلّا القرآن وكتب الحديث.

ص:۱۱

یقول المؤرِّخ الوهّابی عثمان بن بشـر: وانهزم الشریف غالب – شریف مکّهٔ – إلی مکّهٔ وترک الطائف فدخله عثمان وهو أحد الفارّین من جیش غـالب ومَن معه من الجموع، وفتحه الله لهم بغیر قتـال، وقُتـل من أهله فی الأسواق والبیوت نحو مائتین، وأخـذوا من الأموال من البلـد أثماناً وأمتاعاً وسـلاحاً وقماشاً وشـیئاً من الجواهر والسلع المثمّنهٔ ما لا یحیط به الحصـر ولا یدرکه العد، وضـبط عثمان البلد وسلّمت له جمیع نواحیه وبوادیه، وجمعوا الأخماس وبعثوها لعبد العزیز فقرّر ولایهٔ عثمان للطائف واستعمله علیه وعلی الحجاز.(۱)

وفی عام ۱۲۱۸ه– غزا الوهّابیون مکّهٔ المکرّمـهٔ وقتلوا الکثیر من الفقهاء المخالفین لهم والأشـراف والعامّهٔ بعد حصارٍ طویل اضـطرّ فیه أهلها إلی أکل القطط والکلاب، وفرّ مَن بقی علی قید الحیاهٔ منهم.

وفی عام ۱۲۲۰ه– اقتحم الوهّابیون مدینهٔ الرسول (ص) بعد حصارٍ اسـتمرّ أکثرمن عام ونصف واستولوا علی محتویات المسجد النبوی من نفائس وفرش وخلافه، وتمّ منع المسلمین من زیارهٔ قبر الرسول (ص) .

وفی عام ۱۲۴۴ه– قام الوهّابیون بهدم مقابر أهل البیت: فی البقیع والمدینهٔ.

ولم تنحصـر جرائم الوهّابیین وإرهابهم فی محیط جزیرهٔ العرب، بل تجاوزت تلک الجرائم حـدود هـذه الجزیرهٔ لتمتد إلی بلاد العراق والشام.

وفی عام ۱۲۱۶ه– قامت مجموعات من البدو الوهّابیین بغزو مدینهٔ کربلاء وخرّبوا مرقد الحسـین (ع) ، وأشـعلوا النیران بالمدینهٔ، وقتلوا المئات من النساء والشیوخ والأطفال، ونهبوا المساجد والبیوت.

یقول المؤرِّخ الوهّابی مفتخراً بحادثـهٔ کربلاء: ثمّ دخلت السـنهٔ السادسـهٔ عشـرهٔ بعـد المائتین والألف، وفیها سار سـعود بن عبـد العزیز بالجیوش المنصورهٔ والخیل العتاق المشهورهٔ من جمیع حاضر نجد وبادیها والجنوب والحجاز وتهامهٔ وغیر ذلک وقصد

۱– انظر عنوان المجد فی أخبار نجد.

ص:۱۲

أرض كربلاء ونازل أهل بلـد الحسـين، وذلك في ذي القعـدة، فحشد عليها المسـلمون وتسوّروا جدرانها ودخلوها عنوة، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبّة الموضوعة - بزعم مَن اعتقد فيها - على قبر الحسـين، وأخذوا ما في القبّة وما حولها، وأخذوا النصـيبة التي وضـعوها على القبر، وكـانت مرصوفـة بـالزمرّد واليـاقوت والجواهر، وأخـذوا جميع ما وجـدوا في البلـد من أنواع الأموال والسـلاح واللباس والفرش والـذهب والفضّـة والمصاحف الثّمينة، وغير ذلك ما يعجز عنه الحصـر، ولم يلبثوا فيها إلاّ ضـحوة وخرجوا منهـا قبل الظهر بجميع تلك الأموال، وقُتل من أهلها قريب من ألف، ثمّ إنّ ابن سـعود ارتحل منها على الماء المعروف بالأبيض فجمع الغنائم وعزل أخماسها وقسّم باقيها في المسلمين غنيمة للراجل سهم وللفارس سهمان، ثمّ ارتحل قافلًا إلى وطنه. (۱)

ويلاحظ من خلال كلام هذا المؤرِّخ أنّه أطلق على الوهّابيين لفظ المسلمين وهو ما يعني الحكم بكفر مَن دونهم، الأمر الذي برّر هذه الغزوة المباركة بالجيوش المنصورة حسب تعبيره.

وما يؤكّد هذا التصوّر أنّ ابن سـعود وعناصره استباحوا المدينة فقتلوا وأحرقوا وسلبوا دون أن يردعهم وازع من الدين أو الخلق، معتبراً أنّ ذلك حقّ شرعي له ولأتباعه الموحّدين في مواجهة المشركين من المسلمين المخالفين.

وكون كلّ ذلك عمل يوم واحـد فقط أمر يـدلّ على همجيّـة الوهّابيين وبشاعتهم ووحشـيّتهم ممّا يـدل على أنّهم لا يحملون شـيئاً من خُلُق الإسلام وآدابه.

وقيـام ابن سـعود بتقسـيم الغنـائم على أتباعه يعني أنّ حربه كانت جهاداً في سبيل الله، وغزوته تُعـدّ امتـداداً للغزوات الأُولى التي أطلق عليها المؤرِّخون اسم الفتوحات.

والغزوات الأُولى لم تكن سوى غزوات سياسـية لا ـ مبرِّر لهـا شـرعاً، ولا ـ يوجـد مـا يـدعمها من نصوص القرآن سوى بعض الروايـات المنسوبة للرسول (ص) والتي تفوح

۱- انظر عنوان المجد في أخبار نجد.

ص:۱۳

منها رائحة السياسة.

وكذلك غزوات ابن عبد الوهاب لم تقم على أىّ أساسٍ شرعى، وإنّما قامت على أساس مذهبى معوج وبسيوف آل سعود الطامعين فى السيطرة على جزيرة العرب.

وفى عام ١٢٢٥ه- زحف الوهّابيون على حوران وقتلوا الكثير من المسلمين، ثمّ سبوا النساء والأطفال، وأحرقوا المحاصيل والبيوت.

وجرائم الوهّابيين هذه تضعهم فى صفٍّ واحدٍ مع الخوارج والقرامطة، وما فعلوه بالحرم المكّى حين دخلوه لا يختلف كثيراً عمّا فعله القرامطة حين دخلوه.

والحق أنّ الوهّابيين تنطبق عليهم صفات الخوارج انطباقاً كاملًا من حيث طبيعتهم وتركيبتهم الشخصية.

فهم من البدو والأعراب الذين يتميّزون بغلظة القلوب وقسوتها، ومن حيث قدراتهم العقلية والفكرية الضعيفة، ومن حيث مواقفهم وأفعالهم.

والنبؤات الواردة عن الرسول (ص) المتعلّقة بالخوارج وصفتهم وصفاً دقيقاً، ومن أهمّ هذه الصفات أنّهم: غلاظ القلوب، ضعاف العقول، يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، محلقوا الرؤوس يتعصّبون للقشور وينتصرون لتوافه الأمور.(۱)

وقد تنبّأ الرسول أيضاً بأنّ نجد موطن ابن عبد الوهاب وآل سعود يخرج منها قرن الشيطان، وهو إشارة إلى سوء حالها وفساد أهلها وانعدام الخير فيها.(۲)

ونقل الشيخ أحمد زينى دحلان عن مفتى زبيد عبد الرحمن الأهدل قوله: لا حاجة

۱- انظر البخارى كتاب الأنبياء، ومسلم كتاب الزكاة، وأحاديث الخوارج مشهورة فى كتب السنن، وسوف تأتى الإشارة لبعضها.

۲- رواه البخارى، وقد قام الوهّابيون مؤخّراً بنشر كُتيب صغير يشرح هذا الحديث ويحاول صرفه عن معناه الظاهر.

ص:۱۴

إلى التأليف فى الردّ على الوهّابيّهٔ، بل يكفى للردّ عليهم قوله (ص) : سيماهم التحليق، فإنّه لم يفعله أحد من المبتدعهٔ غيرهم.(۱)
ومثل هـذه الجرائم بالإضافهٔ إلى غاراتهم الدائمهٔ على قوافل الحجّاج والمسافرين والتجّار والاستيلاء عليها؛ هو ما دفع بالخليفهٔ العثمانى إلى الاستنجاد بالقوّات المصريهٔ التى قامت بغزو جزيرهٔ العرب لتأديب البدو الوهّابيين وطردتهم من مكّهٔ والمدينهٔ ودخلت عاصمتهم الدرعيهٔ وشرّدتهم فى الصحراء، وقُبض على عبدالعزيز بن سعود وأُرسل إلى الآستانهٔ حيث تمّ تنفيذ حكم الإعدام فيه هناك، كما تمّ إعدام اثنين من أبناء محمّد بن عبد الوهاب والعديد من البدو الوهّابيين فى أماكن مختلفهٔ علناً، وأُسقطت دولهٔ آل سعود الأُولى.
إلاّ أنّ الوهّابيين عادوا إلى الظهور من جديد تحت مظلّهٔ آل سعود أيضاً، وبدعم من الإنجليز الذين برزوا فى بلاد المسلمين حين ضعفت الدولهٔ العثمانيهٔ وبدأت فى الانهيار.

شهادات

وسوف نستعرض هنا بعض الشهادات لفقهاء عاصروا ابن عبد الوهاب وشهدوا جرائمه، وكشفوا جهله وأقرّوا بمنكراته، وآخرين عاصروا أتباعه المجرمين.
يقول صديق القنوجى فى ترجمته لمحمّد بن إسماعيل الأمير الصنعانى اليمنى المحدِّث الأُصولى الشهير صاحب المصنّفات العديدهٔ التى تجاوزت المائهٔ مؤلَّف والمتوفى عام ۱۱۸۲ه-: خرج فى زمانه ابن عبد الوهاب النجدى الذى تُنسب إليه طائفهٔ الوهّابيّهٔ، فنظم قصيدهٔ فى ذلك وأرسلها إليه وأثنى على طريقته، ثمّ لمّا سمع أنّه يكفّر أهل الأرض ويسفك الدماء رجع عمّا كان قد قاله عنه.

۱- انظر فتنهٔ الوهّابيّهٔ.

ص:۱۵

ونقل أيضاً عن الشيخ محمّد بن ناصر الحازمی قوله عن ابن عبد الوهاب: أشهر ما ينكر عليه خصلتان:

الأُولى: تكفير أهل الأرض بمجرّد تلفيقات لا دليل لها.

الثانية: التجارى على سفك الدم المعصوم بلا حجّة ولا إقامة برهان.

ونقل أيضاً وصف الشيخ عبد الرحمن النجدی، وإنكاره ما عليه من سفك الدماء ونهبه الأموال، وتجاريه على قتل النفس ولو بالاغتيال، وتكفيره الأُمّة المحمّدية فی جميع الأقطار.

قال القنوجی: فبقی معنا تردّد فيما نقله الشيخ عبد الرحمن حتّى وصل الشيخ مربد ابن أحمد التميمی، وكان من تلاميذ ابن عبد الوهاب، ووصل بعض رسائله التی جمعها فی وجه تكفير أهل الإيمان وقتلهم ونهبهم، وحقّق لنا أحواله وأقواله وأفعاله فرأينا أحواله أحوال رجل عرف من الشريعة شطراً، ولم يمعن النظر ولا قرأ على مَن يهديه نهج الهداية، ويدلّه على العلوم النافعة ويفقّهه فيها، بل طالع بعضاً من مؤلّفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم وقلّدهما من غير إتقان مع أنّهما يحرّمان التقليد.(۱)

وقال محمّد بن عمر: كما وقع فی زماننا فی أتباع محمّد بن عبد الوهاب، الذين خرجوا من نجد وتغلّبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنّ اعتقادهم أنّهم هم المسلمون، وأنّ مَن خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل السنّة وقتل علمائهم، حتّى كسر الله شوكتهم، وخرّب ديارهم وظفر بهم عساكر المسلمين عام ۱۲۳۳ه.(۲)

وقال زينی دحلان: وكان ابن عبد الوهاب يقول: إنّی أدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله، وجميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الإطلاق، ومَن قتل مش-ركاً فله الجنّة.(۳)

۱- انظر أبجد العلوم فی أحوال العلوم، ط بيروت، والقنوجی توفّی فی عام ۱۳۰۷ ه-.

۲- انظر رسائل ابن عابدين.

۳- انظر الدرر السّنيّة فی الردّ على الوهّابيّة، ونقل عن ابن عبد الوهاب قوله: إنّی أتيتكم بدين جديد.

ص:۱۶

وکما هو واضح فإنّ المشرک الذی یقصده ابن عبد الوهاب ویطلب قتله هو المسلم المخالِف له المعارِض لأفکاره، ولیس المشرک المعادی للإسلام من أصحاب الملل الأُخری.

وقال: إنّ الوهّابیّهٔ لمّا دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلاً عامّاً، واستوعبوا الکبیر والصغیر، والمأمور والأمیر، والشریف والوضیع، وصاروا یذبحون علی صدر الأُمّ الطفل الرضیع، ویقتلون الناس فی البیوت والحوانیت، ووجدوا جماعهً یتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم، ثمّ خرجوا إلی المساجد یقتلون الرجل فی المسجد وهو راکع أو ساجد، ونهبوا النقود والأموال، وصاروا یدوسون بأقدامهم المصاحف ونسخ البخاری ومسلم، وبقیّهٔ کتب الحدیث والفقه والنحو بعد أن نشروها فی الأزقّهٔ والبطائح، وأخذوا أموال المسلمین واقتسموها کما تقسم غنائم الکفّار.(۱)

ونقل عن الشیخ علوی الحدّاد قوله عن ابن عبد الوهاب: والحاصل أنّ المحقّق عندنا من أقواله وأفعاله ما یوجب خروجه عن القواعد الإسلامیهٔ باستحلاله أموراً مجمعاً علی تحریمها، معلومهٔ من الدین بالض-رورهٔ، مع تنقیصه الأنبیاء والمرسلین والأولیاء والصالحین، وتنقیصهم کفر بإجماع الأئمّهٔ الأربعهٔ(۲)

وقال مفتی الحنابلهٔ محمّد بن حمید النجدی المتوفّی عام ۱۲۹۵ه عن ابن عبدالوهاب: فإنّه کان إذا باینه أحد وردّ علیه ولم یقدر علی قتله مجاهرهً یُرسل له مَن یغتاله فی فراشه، أو فی السوق لیلاً؛ لقوله بتکفیر مَن خالفه واستحلاله.(۳)

وقال الشیخ زینی دحلان: وکانت ولادهٔ محمّد بن عبد الوهاب سنهٔ ۱۱۱۱هوعاش عمراً طویلاً حتّی بلغ عمره اثنین وتسعین سنهٔ، ولمّا أراد إظهار ما زیّنه له الشیطان من البدعهٔ والضلالهٔ انتقل من المدینهٔ ورحل إلی المشرق، وصار یدعو الناس

۱- انظر خلاصهٔ الکلام فی تاریخ أُمراء البلد الحرام.

۲- نقل هذا الکلام فی الدرر السّنیّهٔ من کتاب جلاء الظلام فی الرد علی النجدی الذی أضلّ العوام.

۳- انظر السحب الوابلهٔ علی ضرائح الحنابلهٔ.

ص:۱۷

إلی التوحید وترک الشرک، ویزخرف لهم القول ویفهمهم أنّ ما علیه الناس کلّه شرک وضلال، ویُظهر لهم عقیدته شیئاً فشیئاً، فتبعه کثیر من غوغاء الناس وعوام البوادی، وکان ابتداء ظهور أمره فی المشرق سنة ۱۱۴۳ه-، واشتهر أمره بعد الخمسین وألف ومائة بنجد وقراها، فتبعه وقام بنصرته أمیر الدرعیة محمّد بن سعود، وجعل ذلک وسیلة إلی اتّساع ملکه ونفاذ أمره، فحمل أهل الدرعیة علی متابعة محمّد بن عبدالوهاب فیما یقول، فتبعه أهل الدرعیة وما حولها، وما زال یطیعه علی ذلک کثیر من أحیاء العرب حی بعد حی، وقبیلة بعد قبیلة حتّی قوی أمره فخافته البادیة، فکان یقول لهم: إنّما أدعوکم إلی التوحید وترک الشرک بالله، ویزیّن لهم القول وهم بوادی فی غایة الجهل، لا یعرفون شیئاً من أمور الدین، فاستحسنوا ما جاءهم به.

وکان یقول لهم: إنّی أدعوکم إلی الدین، وجمیع ما هو تحت السبع الطباق مش-رک علی الإطلاق، ومَن قتل مشرکاً فله الجنّة، فتابعوه، وصارت نفوسهم بهذا القول مطمئنّة، فکان محمّد بن عبد الوهاب بینهم کالنبیّ فی أُمّته، لا یترکون شیئاً ممّا یقول، ولا یفعلون شیئاً إلّا بأمره، ویعظّمونه غایة التعظیم، وإذا قتلوا إنساناً أخذوا ماله وأعطوا الأمیر محمّد بن سعود الخمس واقتسموا الباقی.

وکان أهل الحرمین قد سمعوا بظهورهم فی نجد، وإفسادهم عقائد البوادی، ولم یعرفوا حقیقة ذلک، فلمّا وصل علماؤهم مکّة؛ أمر الش-ریف مسعود أن یناظر علماء الحرمین العلماء الذین بعثوهم، فناظروهم فوجدوهم ضحکة ومسخرة کحمرٍ مستنفرة فرّت من قسورة، ونظروا إلی عقائدهم فإذا هی مشتملة علی کثیرٍ من المنکرات، فبعد أن أقاموا علیهم الحجّة والبرهان، أمر الشریف مسعود قاضی الش-رع أن یکتب حجّة بکفرهم الظاهر لیعلم به الأوّل والآخر، وأمر بسجن أُولئک الملاحدة الأنذال، ووضعهم فی السلاسل والأغلال، فقبض منهم جماعة وسجنهم وفرّ الباقون.

وأشار دحلان إلی المذابح التی کان یرتکبها الوهّابیون فی البلاد التی یستولون

ص:۱۸

علیها حتّی أنّهم کانوا یذبحون الصغیر علی صدر أمّه، ویسبون النساء، وفعلوا أشیاء یطول الکلام بذکرها.

وهـذه بلیّة ابتلی الله بها عباده، وهی فتنة من أعظم الفتن التی ظهرت فی الإسـلام، طاشت من بلایاها العقول، وحار فیها أرباب العقول، ولبسوا فیها علی الأغبیاء ببعض الأشیاء التی توهمهم أنّهم قائمون بأمر الدین.

وکـانوا إذا أراد أحـد أن یتبعهم علی دینهم، طوعـاً أو کرهـاً، یأمرونه بالإتیان بالشـهادتین أوّلاً، ثمّ یقولون له اشـهد علی نفسک أنّک کنت کـافراً، واشـهد علی والـدیک أنّهمـا ماتا کافرین، واشـهد علی فلان وفلان أنّه کان کافراً، ویسـمّون له جماعـةً من أکابر العلماء الماضین، فإن شهد بذلک قبلوه وإلاّ أمروا بقتله.

وکانوا یصرِّحون بتکفیر الأُمّة منذ ستمائة سنة، وأوّل مَن صرّح بذلک محمّد بن عبد الوهاب فتبعوه علی ذلک.(۱)

الإرهاب المعاصر

ومن الطبیعی لحرکـة تکفّر المسـلمین، وتحتکر الإسـلام، ألاّـ تتوقّف عن إرهـابهم وسـفک دمـائهم فی کـلِّ زمـانٍ ومکـان، وهو واقع الوهّابیّة التی لم یرتبط إرهابها وتنتهی جرائمها بزمان ومکان ظهورها، إنّما اسـتمرّت فی جرائمها وإرهابها حتّی الیوم؛ لتطال المسـلمین وغیر المسلمین فی ربوع العالم، وتتسبّب فی تشویه الإسلام وفتح الأبواب علی مصارعها لخصومه لینالوا منه.

وقـد بـدأ الإرهاب الوهّابی المعاصـر بحادثة الحرم المکّی عام ۱۴۰۰ه- والتی اسـتعانت فیها قوّات الوهّابیّن بالمشـرکین من الفرنسیین الصلیبیین، وغیرهم، ودنّست بهم أرض الحرم من أجل إخراج عناصر جماعة جهیمان المنشقّة - عن الوهّابیّن - المعتصمین داخله.

۱- انظر الدرر السنیة فی الردّ علی الوهّابیّة.

ص:۱۹

واستخدم الوهّابيّون وأعوانهم من المشركين الصليبيين المدافع والقنابل والبنادق، ثمّ أطلقوا المياه فى الحرم بعد إطلاق التيار الكهربائى فيها؛ ممّا أدّى إلى مصرع العديد من عناصر جهيمان ومعهم الكثير من الحجّاج الآمنين، وهم بفعلتهم هذه قد كرّروا فعل الحَجّاج بن يوسف الثقفى حين حاصر الحرم المكّى لإخراج ابن الزبير وقام بضرب الكعبة بالمنجنيق.

وارتكب الوهّابيّون مجزرةً أُخرى أكثر بشاعةً حين فتحوا نيرانهم على الحُجّاج فى موسم حج عام ۱۴۰۸ه.

وركّزوا نيرانهم على الإيرانيين الذين كانوا يهتفون ضدّ أمريكا والصهيونية؛ ممّا أدّى لمصرع أكثر من ثلاثمائة حاج من الإيرانيين وغيرهم.

والوهّابيّون منذ أن استولوا على الحرمين وهم يسعون بشتّى السبل والوسائل لإفراغ الحج من مضمونه، وإرهاب الحجيج ليؤدّوا الشعائر على طريقتهم الجافّة الفارغة من المحتوى الروحى، وقد حاولوا مراراً منع الحجاج من زيارة قبر الرسول (ص) ، والتضييق عليهم؛ كى يعودوا إلى ديارهم دون أن يقوموا بزيارة الأماكن والمواقع التى ارتبطت بسيرته.

وقد حاولوا من قبل هدم القُبّة التى تعلوا قبر الرسول، وتوقّفوا بعد أن سقط العديد منهم من فوق القُبّة ولقوا حتفهم.

ومن جرائمهم المعاصرة: محاولاتهم الدائمة لإبادة الأقلّيّة الشيعية فى جزيرة العرب؛ حيث قتلوا العديد من علمائهم وشبّانهم، وهدموا العديد من مساجدهم.

واستمرّ فقهاؤهم على هذا التحريض بإصدار العديد من الفتاوى التى تنادى بإخراجهم من جزيرة العرب، وعدم جواز أكل ذبائحهم ومناكحتهم.(۱)

۱- انظر فتاوى ابن جبرين، وانظر خطبة سلمان فهد العودة التى كان موضوعها قدر الله فى هذه الجزيرة التى حثّ فيها على طرد الشيعة الرافضة من جزيرة العرب، وانظر فتاوى ابن باز وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث.

ص:۲۰

وللوهّابيين دور كبير وملموس فى دعم الفِرَق الإرهابية فى أفغانستان، ذلك الدعم الذى أدّى إلى انتشار الإرهاب فى ربوع العالم باسم الإسلام، فطالبان، والقاعدة، وجند الصحابة، وعسكر محمّد، وجند الله، وغيرها من الفرق التى تنشر الإرهاب فى أفغانستان وباكستان والعراق وإيران وأوربا، وغيرها من البقاع، باسم الجهاد فى سبيل الله هى من تفريخ الوهّابيّة وصناعتها.

وقد طالت نيران هذه الفِرَق الوهّابيّة، وانقلب السحرُ على الساحر؛ حيث برزت فى جزيرة العرب نماذج من الفِرَق الإرهابية التى جعلت من الوهّابيين أعداء لها بسبب مواقفهم المخزية، وتحالفاتهم المفضوحة مع أعداء الإسلام، وألقت عليهم بأحكام التكفير التى كانوا يلقونها على خصومهم.(۱)

والإرهاب الوهّابى على مستوى الماضى والحاضر، إنّما هو موجّه ضدّ المسلمين، ولا صلة له بأعداء الإسلام، وليس فى تاريخ الوهّابيّين ما يُشير – من قريب أو بعيد – إلى أىّ دور لهم فى مواجهتهم.

ولم نسمع يوماً عن وهّابىٍّ حمل السلاح ليجاهد الصهاينة فى فلسطين، وإنّما سمعنا ورأينا المؤسّسات الوهّابيّة ورموز الوهّابيين يعلنون حرباً شعواء على مجاهدى حزب‌الله فى لبنان وعلى زعيمهم مشكّكين فى جهادهم ومعتقداتهم.

ويعلنون الحرب أيضاً على إيران القلعة الصامدة فى وجه الغرب والصهيونية، بينما يصمتون تماماً عن آل سعود وجرائمهم وممارساتهم وعمالتهم لأعداء الإسلام الواضحة وضوح الشمس..

بل هم الذين أجازوا – صراحةً – الاستعانة بقوّات المشركين من أجل الحفاظ على نظام آل سعود حين هدّدته حركة جهيمان، وحين هدّده نظام صدّام حسين بعد غزوه الكويت.

۱– انظر المنشورات التى ترد على التكفير والمكفّرين التى تصدر عن الوهّابيين ما بين الحين والآخر، وانظر لنا كتاب الحق والحقيقة فصل: المتطرّفون.

ص:۲۱

وهذه الفرق الوهّابيّة التی تنشر الإرهاب فی كلّ مكانٍ الیوم إلی مَن توجّه أسلحتها وقنابلها؟

هل توجّهها لأعداء الإسـلام والصـهاینة فی فلسـطین، أم توجّهها للمسلمین والآمنین والمسالمین من الناس بعیداً عن فلسطین وبعیداً عن آل سعود أیضاً؟

ص:۲۲

ص:۲۳

رموز الإرهاب الوهّابى

اعتمد الوهّابيّون العديد من الرموز على مستوى الماضى والحاضر، وكفروا بالكثير من رموز المسلمين وعلى رأسهم رموز أهل السنّة؛ لكونهم يتبنّون أُطروحات وأفكار تتناقض مع أفكارهم ومذهبهم، وشأنهم فى ذلك شأن الحنابلة الذين تعصّبوا للرواية وأقوال الرجال، ونبذوا المخالفين لهم، بل اتّهموهم فى دينهم وعملوا على تشويههم. .

على مستوى الماضى اعتمد الوهّابيّون: ابن حنبل، وابن بطّة، واللالكائى، وابن تيمية، وابن القيّم، والذهبى، وابن كثير؛ وكفروا بمالك، وأبى حنيفة، والشافعى، والليث، والأشعرى، والماتريدى، والأوزاعى، وغيرهم من أصحاب المذاهب والتيّارات الأُخرى المخالفة لهم، أو التى لا تخدم أفكارهم وتدعم مذهبهم.

وهم قد يضطرّوا فى بعض الأحيان إلى الاستعانة برموز المذاهب الأُخرى إذا وجدوا لديهم بعض الآراء التى تخدمهم فى مواجهة خصومهم.

وعلى مستوى الحاضر اعتمدوا فقهاء السعودية، وعلى رأسهم: ابن باز وتلميذه ابن عثيمين، وابن بابطين، وابن جبرين، وابن فوزان، والمدخلى، وغيرهم.

وفى الوقت الذى يعلن فيه الوهّابيّون كفرهم بالمذاهب، ودعوتهم إلى التلقّى من الكتاب والسنّة مباشرةً، يعلنون تعصّبهم وانحيازهم الكامل لابن حنبل وتلاميذه،

ص:٢٤

وابن تيمية وتلاميذه، وابن عبد الوهاب وأولاده؛ ليقدّموا لنا الدليل القاطع والبرهان الساطع على مذهبيّتهم.

وسوف نستعرض من خلال هذا الباب نماذج من الرموز الإرهابية، على مستوى الماضى والحاضر، التى استعان بها الوهّابيّون وتحصّنوا بها من أجل إضفاء المش-روعيّة على أفكارهم، ونشر التطرّف والإرهاب وسط المسلمين بواسطتهم.

ص:۲۵

ابن حنبل التأسيس للإرهاب

اشارة

تتلمذ أحمد بن حنبل علی يد کثير من الفقهاء فی عص-ره، ودرس الفقه والش-ريعة واللغة والحديث، ثمّ طلّق کلّ هذه العلوم وتفرّغ للحديث والأثر، وجعله موضع اهتمامه، وبنی علی أساسه عقيدته وتصوّره ومواقفه؛ طارحاً العقل والاجتهاد جانباً.
من هنا فإنّ الطبری المؤرِّخ والمفسِّر والفقيه لم يعـدّه فی زمرة الفقهاء، بل عـدّه فی زمرة المحـدِّثين من أهل الرواية حين صـنّف کتابه (اختلاـف الفقهـاء) وأغفـل ذکره ممّـا أدّی إلی ثورة الحنابلـة عليه وقـذفوه بالمحـابر، وأهـاجوا عليه العامّـة واتّهموه بالرفض والتشـيّع، وجعلوا يرمون بيته بالأحجار؛ ممّا دفع بالعسس (الشرطة) إلی التدخّل لحسم الأمر.(۱)

من الاعتدال إلی التطرّف

استمرّ ابن حنبل يدرس الرواية ويحفظها وينقلها ويبثّها بين الناس دون أن يعترض سبيله أحد، ولم يکن يصطدم بأحد.

۱- توفّی الطبری عام ۳۱۰ه-، وحاصر الحنابلة بيته، ورفضوا إخراج نعشه منه ليدفن فی مقابر المسلمين فدُفن بجوار بيته؛ انظر سيرته فی کتب التاريخ والتراجم.

ص:۲۶

كانت الرواية هى حياته وشغله الشاغل، وحيثما توجّهه الرواية كان يتوجّه؛ حتّى أنّه اعتبر تبنّى الرواية الضعيفة والأخذ بها خيراً من استخدام العقل واللجوء للرأى.

وتشكّلت شخصيّته وعقيدته على أساس هذه الروايات التى كانت سلاحه الأوّل والأخير فى مواجهة المخالفين.

وعندما تبنّى المأمون نهج المعتزلة فى نهاية حكمه خرج ابن حنبل رافعاً لواء المعارضة لفكر المعتزلة الذى يرجّح العقل على الرواية، معتبراً أنّ هذا الاتّجاه يشكّل خطورةً على عقيدة السلف وعلى الرواية.

وابن حنبل كان يشعر على الدوام بخطورة المعتزلة والاتّجاهات الأُخرى على طرحه وعلى الروايات، إلّا أنّه لم يظهر العداء فى مواجهة هذه الاتّجاهات لضعفها أمام تيّار الرواية الذى كان سائداً آنذاك، بالإضافة إلى تيّار الفقهاء المدعوم من قِبَل الحكّام.

ولقد شكّل حدث تبنّى المأمون نهج المعتزلة انقلاباً دينياً فى نظر ابن حنبل، نقل المعتزلة من طور الاستضعاف إلى طور التمكّن، وفتح الأبواب أمامهم ليسودوا على حساب أهل السنّة، ويهدموا صرح الرواية الذى أسهم فقهاء السلطة فى تأسيسه منذ عشرات السنين.

وهكذا أعلن ابن حنبل رفضه لفكرة خلق القرآن، التى يتبنّاها الشيعة والمعتزلة، وشكّل هذا الرفض تحدّياً لسلطة المأمون الذى أمر بالقبض عليه، فأُحضر مكبّلاً بالأغلال إليه فى طرسوس، لكنّ القدر أنقذه من يد المأمون؛ إذ جاءه الخبر بوفاته وهو فى الطريق إليه، فأُعيد إلى بغداد ووُضع فى السجن، ثمّ مَثُلَ أمام المعتصم الخليفة الجديد وجرت له محاكمة.

وأصرّ ابن حنبل على موقفه برفض القول بخلق القرآن فضُرب بشدّة وأُعيد إلى

ص:۲۷

السجن وأُخلی سبیله بعد حوالی العامین فالتزم العزلة والانقطاع طوال عصر المعتصم وعصر الواثق من بعده. . . . (۱)

وعاش ابن حنبل فی مطاردات ومضایقات طوال عصر المعتصم والواثق حتّی جاء المتوکّل الذی أعلن تبنّیه لنهج أهل السنّة ورفضه لنهج المعتزلة، وجمع المحدِّثین عام (۲۳۴ ه-) للردّ علی الجهمیة والمعتزلة ونصرة الروایة. (۲)

فی ظلّ هذا العصر استأنف ابن حنبل نشاطه، واتّخذ المتوکّل من یحیی بن أکثم وزیراً له بدلاً من أحمد بن داود المعتزلی الذی کان وزیر المعتصم.

وتقرّب أحمد بن حنبل من المتوکّل الذی دعاه إلی سامراء سنة (۲۳۷ه) لأجل إعطاء ولده المعتز دروساً فی الحدیث.(۳)

نصوص ابن حنبل

عرض الوهّابیّون عقیدة ابن حنبل من خلال منشورین:

الأوّل: الردّ علی الجهمیة والزنادقة.(۴)

الثانی: کتاب السنّة.(۵)

وقد طُبع کلاهما فی کُتیب واحد من توزیع رئاسة إدارات البحوث العلمیة والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودیة تحت عنوان: الردّ علی الجهمیة والزنادقة، وهو یُهدی ولا یباع.

۱- أصدر الوهّابیّون العدید من المنشورات التی تصوّر ابن حنبل کمجاهد کبیر وإمام ممتحَن سقط ضحیّة الظلم والطغیان، انظر سیرة المأمون فی کتب التاریخ والتراجم، وسوف نعرض لفکرة خلق القرآن من خلال کلام ابن حنبل فیما سیأتی.

۲- انظر سیرة المعتصم والواثق والمتوکّل فی کتب التاریخ والتراجم.

۳- اعتبر الحنابلة المتوکّل ناصر السنّة، ودعوا له علی المنابر، وتغاضوا عن جرائمه ومنکراته، وممّا یذکر هنا أنّ المتوکّل قتل علی ید ولده، انظر تاریخ الخلفاء للسیوطی وکتب التاریخ الأُخری.

۴- کتب ابن حنبل رسالته هذه وهو فی السجن.

۵- یُنسب کتاب السنّة لعبد الله بن أحمد بن حنبل أیضاً.

ص:۲۸

وقامت دور النشر الوهّابيّة بطبع كتاب السنّة مستقلاً تحت عنوان: (عقيدة أهل السنّة) .

والوهّابيّون أهل شعارات ومسمّيات يبهرون بها المسلمين، بينما الحقيقة أنّه لا يوجد تحت هذه الشعارات والمسمّيات شيء؛ فهم قد جعلوا هيئةً كبيرةً أسموها: إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ لإيهام المسلمين أنّهم يعبّرون عن الإسلام وينطقون بلسانه.

وهم قد أطلقوا على عقيدة ابن حنبل عقيدة أهل السنّة لإيهام المسلمين أنّهم ينطقون بلسان السلف ويمثّلون إجماع المسلمين.

والحقيقة أنّهم لا يمثّلون سوى قطّاع من الحنابلة وابن تيمية وابن عبد الوهاب، فمن ثمّ هم ينطقون بلسان مذهب من المذاهب لا يمثّل الأُمّة، وليس عليه إجماع المسلمين.

الردّ على الجهمية والزنادقة

اعتمد ابن تيمية، وابن القيّم فى كثير من كتبهما على هذا المنشور خاصّةً كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطّلة والجهمية لابن القيّم.

ويحتوى هذا المنشور على الفصول التالية:

- باب فى بيان ما ضلّت فيه الزنادقة من متشابه القرآن.

- باب بيان ما فصّل الله بين قوله وخلقه وأمره.

- باب بيان ما أبطل الله أن يكون القرآن إلّا وحياً وليس بمخلوق.

- باب بيان ما جحدت الجهمية من قول الله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ * إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ . (القيامة:۲۳)

باب بيان ما أنكر الجهمى من أن يكون الله قد كلّم موسى.

- باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش.

- باب بيان ما تأوّلت الجهمية من قول الله تعالى: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ . (المجادلة:۷)

ص:۲۹

– باب بیان ما ذکر الله فی القرآن: وَ هُوَ مَعَکُمْ. (الحدید: ۴)

– باب ما تأوّلت الجهمیة من قول الله تعالی: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ. (الحدید: ۳)

والجهمیة تُنسب للجهم بن صفوان تلمیذ الجعد بن درهم، وهی محل ترکیز الحنابلة وابن تیمیة والوهّابیّین من بعدهم.

قال ابن حنبل فی شرح السنّة: وقد مضی سلف هذه الأُمّة وعلماء السنّة علی أنّ القرآن کلام الله ووحیه لیس بخالق ولا مخلوق، والقول بخلق القرآن ضلالة وبدعة لم یتکلّم بها أحدٌ فی عهد الصحابة والتابعین، وخالف الجماعة الجعد بن درهم فقتله خالد بن سعید القسری بذلک، فخطب بواسط یوم أضحی، وقال: ارجعوا أیّها الناس فضحّوا تقبّل الله منکم، فإنّی مضحٍّ بالجعد بن درهم فإنّه زعم أنّ الله لم یتّخذ إبراهیم خلیلاً، ولم یکلّم موسی تکلیماً، سبحانه وتعالی عمّا یقول الجعد، ثمّ نزل فذبحه، وکان الجهم بن صفوان صاحب الجهمیة أخذ هذا الکلام من الجعد بن درهم.

وقال عنه الأشعری فی مقالات الإسلامیین: زعم الجهم أنّ الجنّة والنار تفنیان، وأنکر الرؤیا، وأنکر أن یکون الله علی العرش.

وقال ابنُ حزم فی الفصل بین الملل والنحل: اختلف الناس فی ماهیّة الإیمان؛ فذهب قومٌ إلی أنّ الإیمان إنّما هو معرفة الله تعالی بالقلب فقط، وإن أظهر الیهودیة والنصرانیة وسائر الکفر بلسانه وعبادته، فإذا عرف الله تعالی بقلبه فهو مسلم من أهل الجنّة، وهذا قول: أبی محرز الجهم بن صفوان، وأبی الحسن الأشعری البص–ری، وأصحابهما.

واعتبره ابن تیمیة إمام الجهمیة الجبریة، ومن نفاة الصفات؛ حیث قال عنه فی منهاج السنّة: إنّه فی أواخر عصر التابعین من أوائل المائة الثانیة حدثت بدعة الجهمیة منکرة الصفات، وکان أوّل مَن أظهر ذلک الجعد بن درهم، ثمّ ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان، ودخلت فیه بعد ذلک المعتزلة.

ص:۳۰

وقال: ولكن على قول الجمهور مَن قال إنّ الفعل هو المفعول كما يقول الجهم ومَن وافقه كالأشعرى، وطائفة من أصحاب مالك والشافعى؟ !(۱)

وقال الذهبى فى إثبات صفة العلو: وأوّل مَن خالف فى ذلك – فيما علمنا – الجهم ابن صفوان؛ فعاب ذلك عليه وعلى أصحابه الأئمة من العلماء، والسادة من الفقهاء، واستعظموا قولهم وبدعتهم.

وقال صاحب الأنساب: وجهم كان من أهل بلخ، وظهرت بدعته بترمذ، وقُتل بمرو فى آخر ملك بنى أُميّة، والمنكر فى عقيدته كثير وأفظعها كان يزعم أنّ الله عزّ وجل لا يوصف بأنّه شىء، ولا بأنّه حيٌّ عالم، وتسميته حيّاً وعالماً وتسمية غيره بذلك توجب التشبيه.

وقال عبد الرحمن بن مهدى: إنّ الجهمية أرادوا أن ينفوا أنّ الله كلّم موسى، وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلّا ضُربت أعناقهم.(۲)

والآراء التى تُنسب للجهمية – كما اتّضح مما سبق ذكره – ليست خاصّة بهم، وإنّما يقول بها السلف والخلف من أهل السنّة، ويقول بها – أيضاً – المعتزلة وغيرهم من التيّارات المخالفة للوهابيّة. .

والتعلّق بفكرة الجهمية إنّما هو صورة من صور التمويه والتضليل التى مارسها الحنابلة فى الماضى، ويمارسها الوهّابيّون فى الحاضر، واتّخذوها ذريعةً لإرهاب المخالفين والبطش بهم، كما حدث مع الجعد وتلميذه الجهم.

وحالها أشبه بحال كلمة رافضى، التى كان يطلقها الحنابلة والفقهاء المتعصّبين فى الماضى على كلّ مَن كان يرى غير رؤيتهم فى مسألة الإمامة وعدالة الصحابة، ولازال يطلقها الوهّابيّون اليوم فى مواجهة الشيعة وغيرهم، كما سوف نبيِّن.

۱- منهاج السنة، ج ۱، ص ۳۰۹ و ج۲، ص ۲۹۶.

۲- انظر التحفة المدنية فى العقائد السلفية.

ص:۳۱

والآراء التى نسبها ابن حنبل للجهمية لا تخرج عن كونها آراء كلامية لا تمس أصل الدين فى شىء، لكنّ ابن حنبل ضخّمها واستخدمها كوسيلة تخويف وإرهاب.

تخويف للمسلمين كى لا يخوضوا فيها ويبتعدوا عنها.

وإرهاب للمخالفين الذين يقولوا بمثل هذه المقالة.

وورث ابن تيمية هذا العقل الإرهابى عن ابن حنبل، وورث ابن عبد الوهاب هذا العقل عن ابن تيمية، وورثت الفِرَق والجماعات الوهّابيّة المعاصرة هذا العقل عن ابن عبد الوهّاب.

وأصل الخلاف بين ابن حنبل والآخرين حول هذه المسائل يعود إلى أمرين:

الأوّل: عدم استخدام العقل.

الثانى: الإسراف فى استخدام الرواية.

وفيما يتعلّق بالعقل، فقد نبذه ابن حنبل والحنابلة وجرّموا الرأى وأصحابه، على ما سوف نبيِّن.

وفيما يتعلّق بالرواية، فقد غالى فيها ابن حنبل والحنابلة من بعده واعتبروها مصدراً من مصادر الاعتقاد والتشريع، وهو ما ولّد فيما بعد فكرة ربط القرآن بالرواية، أو ما أُطلق عليه: السنّة.

وأزمة ابن حنبل مع المخالفين تكمن فى التأويل الذى رفضه، ورفضه الحنابلة من بعده؛ سيراً مع سُنّتهم فى تجريم العقل والرأى.

وتجريم العقل والرأى سوف يقود إلى التطرّف حتماً، وسوف يفتح الأبواب على مصارعها لإرهاب المخالفين والبطش بهم، وهو ما ترجمه لنا سلوك الحنابلة فى مواجهة خصومهم، الذى رصدته لنا كتب التاريخ.(۱)

۱- سوف نعرض لصور من فتن الحنابلة فيما سيأتى.

ص:۳۲

وهو ما يترجم لنا السلوك الإرهابى للوهّابيّين بفِرَقهم المختلفة فى مواجهة خصومهم على مستوى الحاضر. (۱)

والجهمية والتيّارات الأُخرى تبنّت نهج التأويل فى مواجهة النصوص الواردة فى القرآن والخاصّة بصفات الله تعالى، كذلك الروايات المنسوبة للرسول (ص) ، ورفضوا أن تُؤخذ على ظاهرها أو على وجه الحقيقة.

قال ابن حنبل: إنّ القرآن ليس بمخلوق، وإنّ الله سوف يُرى يوم القيامة، وإنّه فوق العرش فى السماء، وإنّ له عيناً ويداً ويضحك ويغار وينزل إلى السماء الدنيا، إلى غير ذلك من الأُمور التى أشارت لها الروايات التى تبنّاها ابن حنبل، وتعصّب لها الحنابلة من بعده، وأخضعوا لها نصوص القرآن، وأرهبوا بها المخالفين.

ورفض الآخرون هذه الروايات، وقالوا بأنّ القرآن مخلوق، وأنّ الله من المستحيل رؤيته، وأنّ جميع الصفات الواردة لله فى القرآن والروايات يجب تأويلها وأخذها على وجه المجاز لا الحقيقة، فاليد تعنى القدرة، والعين تعنى الإحاطة، وكلام الله مع الرُسُل يكون بواسطة، ونزول الله يعنى نزول رحمته، وأنّ مشيئة الله منفصلة عن مشيئة العبد، وهو ما ينفى فكرة الجبرية.

واعتبر ابن حنبل والحنابلة من بعده هؤلاء من المبتدعة الضلّال المنكرين لسنّة رسول الله (ص) ، وحرّضوا المسلمين عليهم، وأفتوا بعدم جواز مناكحتهم والتعامل معهم، بل بوجوب إحراق كتبهم والتنكيل بهم.

قال ابن حنبل: ومَن ادّعى أنّ وجهه - أى: وجه الله تعالى - نفسه فقد ألحد، ومَن غيّر معناه فقد كفر، ويفسد أن تكون يده القوّة والنعمة والتفضّل، ومَن خالف ذلك وجعل العلم لقباً لله عزّ وجلّ ليس تحته معنى محقّق فهذا خروج عن الملّة.(۲)

۱- انظر لنا كتاب الحق والحقيقة بين الشيعة والسنّة فصل المتطرّفون، وتأمّل الصدامات بين الفِرَق الوهّابيّة فى جزيرة العرب وصداماتهم المستمرّة مع المخالفين من أهل السنّة، وتأمّل فِرَق الإرهاب الوهّابى التى ترفع شعار الجهاد، وترتكب الكثير من الحوادث والجرائم البشعة فى العراق وأفغانستان وباكستان وإيران، وغيرها من البلدان.

۲- انظراعتقاد الإمام المبجّل أحمد بن حنبل.

ص:۳۳

ورسالـة الردّ على الجهميـة والزنادقـة - كما يبـدو من عنوانها - رسالـة متطرّفة شديدة اللهجة فى مواجهة الخصوم أسّست حالة العداء الدائمة للآخر فى نفوس الحنابلة، وبرّرت العدوان عليه واستحلاله.

وتلك الحالة توطّنت فى نفوس الوهّابيّين أيضاً، الذين ورثوا هذا الفكر المتطرّف عن ابن حنبل، وتبنّوا لغته الإرهابية.

رسالة السنّة

يقول ابن حنبل فى مقدّمة هذه الرسالة: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر (أقوال التابعين) ، وأهل السنّة المتمسّكين بعروقها المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبى (ص) إلى يومنا هذا، وأدركت مَن أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمَن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها؛ فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنّة وسبيل الحق.

وكلام ابن حنبل هذا أصبح سُنّةً ثابتة للحنابلة من بعده، التزم بها: ابن تيمية، وابن القيّم، وابن كثير، ومحمّد بن عبد الوهاب، ثمّ الفِرَق التى تولّدت من هذا النهج.

وإضافة مثل هذا الطرح للرسول (ص) ، والصحابة، وأهل العلم فيه نظر، وهو أشبه بالوهم؛ وذلك يعود إلى انغماسهم فى الرواية ومغالاتهم فيها، فظنّوا أنّهم يتمسّكون بها كما يتمسّكون بنهج الرسول (ص) .

ومسألة الروايات أو السنّة - كما يسمّونها - كانت ولا زالت محلّ خلافٍ بين المسلمين، فهناك تيّارات نبذتها كليّاً.

وهناك تيّارات تتعامل معها بحذر.

وهناك تيّارات تنادى بإخضاعها للقرآن والعقل.

وليس الحنابلة من بين هؤلاء.

ومن هنا نشأ تطرّفهم وتعصّبهم، والذى يبدو بوضوح من خلال استعراض النصوص التالية من عقيدة ابن حنبل:

ص:۳۴

يقول: والقدر خيره وشرّه، وحلوه ومرّه، وحسنه وسيّئه من الله قضاءً قضاه، وقدراً قدّره عليهم، لا يعدو واحداً منهم مشيئة الله عزّ وجلّ، ولا يجاوز قضاؤه، بل هم كلّهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدّر عليهم لأفعاله، وهو عدل منه عزّ وجلّ.

والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك بالله والمعاصى كلّها بقضاء وقدر من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجّة، بل لله الحجّة البالغة على خلقه، لا يسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.

وهذا الكلام يصطدم بعدل الله سبحانه فى خلقه ولطفه بهم، ويناقض فكرة العدل الإلهى التى تبنّتها الاتّجاهات الأُخرى وفى مقدّمتها: الشيعة والمعتزلة، ورفضه لا يعنى الاصطدام بالدين وأُصوله، بل الاصطدام بنهج الحنابلة وأفكارهم.

إلاّ أنّ الحنابلة اعتبروا الاصطدام بأفكارهم يعنى الاصطدام بالدين، وبرّر لهم هذا الاعتقاد الحكم على مخالفيهم بالزيغ والضلال والزندقة، بل تعدّوا هذا الموقف النظرى إلى الموقف الحركى، فقاموا بالاعتداء على خصومهم والتنكيل بهم ما بين الحين والآخر، وقد كثرت حوادثهم فى بغداد وغيرها كما سوف نبيّن.

يقول ابنُ حنبل: مَن زعم أنّ السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام وقتل النفس ليس بقضاء وقدر فقد زعم أنّ هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره، وهذا صراح قول المجوسية، وأىّ كفر أوضح من هذا.

والغريب أنّ ابن حنبل ناقض نفسه بقوله: ولا نشهد على أحد من أهل القِبلة أنّه فى النار لذنبٍ عمله، ولا لكبيرةٍ أتاها إلاّ أن يكون فى ذلك حديث.

وهو بهذا القول قد أدان نفسه، وأصبح لا يجوز له أن يطعن فى الآخرين، ويتّهمهم بالمروق من الدين، ما داموا من أهل القِبلة، وما يخالفونه فيه لا يُعدّ من الذنوب أو من الكبائر، وإذا كان من الممكن أن يكون مخالفيه فى دائرة الخطأ، فمن الممكن أن يكون

ص:۳۵

هو أيضاً في دائرة هذا الخطأ، إلّا إذا اعتبر كلامه هو الدين بعينه، وهو مالا يصح قوله، وإن كان يؤكّد ذلك من خلال طرحه.

ويمكن للقارئ أن يتأمّل تقييد ابن حنبل كلامه بقوله: إلّا أن يكون في ذلك حديث.

ومعنى هذا الكلام أنّه لو وجد رواية صحّت في نظره تقول بكفر أصحاب الذنوب والكبائر لدان بها، وهو بهذا يعلّق أفكاره وعقائده بالروايات، ويميل معها حيث مالت، فلا مجال عنده للاجتهاد، أو استخدام العقل، أو حتّى اللجوء لكتاب الله مادامت هناك رواية.

وتلك هي أزمة الحنابلة.

وأزمة الوهّابيّين وفِرَقهم من بعدهم.

لقد أقاموا ديناً على أساس الروايات، وان خالف هذه الروايات مع القرآن والعقل، لا مجال فيه للحوار والعقل والرحمة والاعتدال والحرية.

أقاموا ديناً معالمه: الانغلاق، والغلظة، والتطرّف، واستحلال الآخر، وتبنّي عقل الماضي.

ثمّ يقول ابن حنبل: والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم، ولا نُقرّ لغيرهم بها إلى قيام الساعة. والجهاد ماضٍ قائم مع الأئمّة - الحكّام - برّوا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان، وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء، ودفع العشور والصدقات والخراج والفيء والغنائم إلى الأُمراء، عدلوا فيها أم جاروا، والانقياد إلى مَن ولاه الله أمركم، لا تنزع يداً من طاعته، ولا تخرج عليه بسيفك حتّى يجعل الله لك فَرَجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعة، فمَن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة.

ص:۳۶

ومعتمـد ابن حنبل فی هـذا الکلام الذی تفوح منه رائحة السیاسة، ولا أثر فیه لرائحة الدین، هو الروایات التی أقلّ ما یُقال فیها إنّها من صُنع السیاسة.

ومخالفة هذا الکلام أمر محمود، فلا یجوز أن یکون الدین وسیلةً لتبریر الظلم والفساد والإرهاب وإضفاء المشروعیة علی الحکّام وإن فجروا وفسقوا وأصبحوا بلاءً علی البلاد والعباد.

ولا یجوز لابن حنبل أن ینسب مثل هـذا الکلام للـدین ویجعله من المعتقـدات الملزِمـة للمسـلمین، ویـدّعی أنّه محلّ إجماع الأُمّة، والسلف قد بارکوه.

من هنا فإنّ الحکم علی الرافضین لهذا الکلام بأنّهم مبتدعة مفارقین للجماعة إنّما هو حکم سیاسی لا دینی.

وابن حنبل ینطق هنا بلسان الحکّام لا بلسان الدین.

ومرّةً أُخری یعود ابن حنبل إلی القول: والکف عن أهل القِبلة، ولا نکفّر أحداً منهم بذنب، ولا نخرجه عن الإسـلام بعمل إلّا أن یکون فی ذلک حدیث.

إلّا أنّه یضیف هذه المرّة: أو یبتدع بدعة ینسب إلی صاحبها الکفر والخروج من الإسلام، فاتّبع الأثر فی ذلک ولا تتجاوزه.

وهـذا الکلام إنّما اختُرع لمواجهـة حالات التمرّد والرفض والغلیان الـذی ساد أوساط المسـلمین فی زمن ابن حنبل تجاه فساد الحکّام ومظالمهم ومنکراتهم.

وابن حنبل استسـلم للفساد والانحراف السائـد فی عص-ره وبرّره ودافع عنه، واحتجّ علی موقفه السـلبی هذا بالروایات غیر المسلَّم بها عند التیارات الأُخری، ومن جانبٍ آخر احتجّ بأنّه لا توجد آثار توجب مواجهة مثل هذه الحالات.

وعلی هـذا الأساس یُعـدّ جمیع المخالفین لهـذه الرؤیة من أهل البِدَع التی یقدّرها ابن حنبل بقدرها، فأقوال الجهمیة والشـیعة والمعتزلة بدعة ینسب إلی صاحبها الکفر والخروج عن الإسلام.

ص:۳۷

أمّا الـذين يرفضون طاعـة الحكّام الجائرين فيـدخلهم ابن حنبل فی دائرة المبتـدعين على استحياء، فهم أصحاب بدعة مخفّفة، وهو ما يتّضح من قوله: فمَن فعل ذلك -أی: خرج على الحكّام - فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة.

وقال ابن حنبل عن الجنّة والنار: لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً. فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، وقد ضلّ سواء السبيل.

ولا تعليق لنا على هذا الكلام سوى القول بأنّ ابن تيمية قد خالف هذا القول وقال بفناء النار.

ويقول ابن حنبل عن مكان الله سبحانه: وهو على العرش فوق السماء السابعة.

وهذا القول هو الذی تأسّست عليه فكرة الفوقيّة التی تبنّاها الحنابلة، ودعموها بالروايات، وحكموا على رافضيها بالزيغ والضلال.

وتبنّاها من بعدهم الوهّابيّون واعتبروها من عقائد الفرقة الناجية من النار مَن خالفها فهو من الضآلين المبتدعين.

ويتـابع ابن حنبـل: والقرآن كلام الله تكلّم به، ليس بمخلوق، ومَن زعم أنّ القرآن مخلوق فهو جهمی كافر، ومَن زعم أنّ القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من قول الأوّل، ومن زعم أنّ ألفاظنا به وتلاوتنا له مخلوقـة والقرآن كلام الله فهو جهمی، ومَن لم يكفِّر هؤلاء القوم كلّهم فهو مثلهم. وكلّم الله موسى تكليماً من فيه - فمه - وناوله التوراة من يده إلى يده.

وابن حنبل - بهـذه الأقوال المتطرّفـة - يكون قـد كفّر الشـيعة والمعتزلـة وغيرهم من أهل القِبلَة، ممّن قالوا بخلق القرآن، تلك المسألة الكلاميـة التی ضـخّمها ابن حنبل وجعلها من أُصول الـدين التی يكفر مخالفها، وما له حجّة فی هذا سوى أنّه لم يجد من بين الروايات والآثار ما يدعم فكرة خلق القرآن.

وموقف ابن حنبل هذا إنّما يعود إلى كونه امتُحن وفُتن وحُبس بسـبب مسألة خلق القرآن فی عصر المأمون العبّاسی والمعتصم والواثق من بعده، كما أشرنا سابقاً.

ص:۳۸

من هنا كان ردّ فعل ابن حنبل شديداً متطرِّفاً فى مواجهة خصومه القائلين بخلق القرآن، وردّ الفعل لا يجوز أن تُبنى عليه المواقف والأحكام الشرعيّة خاصّة ما يتعلّق منها بالكفر والإيمان.

وحالة ابن حنبل هذه تتطابق معها حالة سيّد قطب الذى فُتن وحُبس على يد عبدالناصر فى فترة الخمسينيات مع عناصر جماعة الإخوان المسلمين.(۱)

ويصر ابن حنبل على أنّ الله سبحانه كلّم موسى مباشرةً دون واسطة، كالشجرة التى ذُكرت فى بعض الروايات، كما يُصرّ على أنّ الله ناوله التوراة بيده.

وينتقل ابن حنبل بعد ذلك إلى قضيّةٍ جديدةٍ لا صلة لها بأُصول الدين وثوابته، وهى قضيّة من قضايا الرأى، إلّا أنّه تحت وطأة الروايات وأقوال الرجال تمّ تضخيمها ألا وهى قضيّة الصحابة.

يقول ابن حنبل: ومن الحجّة الواضحة البيّنة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول‌الله (ص) كلّهم أجمعين، والكفّ عن ذكر مساويهم والخلاف الذى شجر بينهم، فمَن سبّ أصحاب رسول الله أو أحداً منهم، أو تنقّصه، أو طعن عليهم، أو عرض بعيبهم، أو عاب أحداً منهم، فهو مبتدع رافضى خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

وخير الأُمّة بعد رسول الله: أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ على، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديّون، ثمّ أصحاب رسول الله بعد هؤلاء الأربعة خير الناس؛ لايجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحدٍ منهم بعيبٍ ولا

۱- انظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر، والفرق كبير بين ابن حنبل وسيّد قطب؛ فابن حنبل لم يخرج من خلال محنته بأُطروحة فكريّة جديدة أو يتنازل عن فكرة التعبّد بالروايات وأقوال الرجال، بل خرج من محنته أشدّ تطرّفاً لأفكاره ومعتقداته البعيدة كلّ البعد عن السياسة أو التغيير، عكس سيّد قطب الذى طرح أفكاراً جديدة للتغيير والمواجهة مع الواقع والحاكم على حساب أفكار وأُطروحة البنّا مؤسّس الإخوان المسالمة للواقع والحاكم.

ص:۳۹

بنقص، فمَن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلّده بالحبس حتّى يموت أو يرجع.

وهذا الكلام هو محلّ إجماع مذاهب وفقهاء أهل السنّة وليس الحنابلة وحدهم، لكنّه غير مسلَّم به عند المذاهب والتيّارات الأُخرى.

وأسانيد ابن حنبل فى هذا الاعتقاد هى الروايات التى أضفت القداسة على الصحابة، وألبستهم ثوب المثالية، مخالفةً بذلك نصوص القرآن.

وقام الحنابلة وفقهاء أهل السنّة بشرح هذه الروايات واستنباط القواعد التى تحول دون الخوض فى الصحابة أو المساس بهم.

وحتّى تُصان هذه القواعد وتكون بعيدةً عن الشك والشبهات، ويسلّم بها الجميع تمّ وضعها فى كتب العقائد لتتحوّل مع مرور الزمن إلى عقائد ثابتة لا يجوز إعمال العقل فيها ويقاس على أساسها إسلام المسلم وسلامة دينه.

من هنا اشتُقّت فكرة عدالة جميع الصحابة دون استثناء، وهى فكرة تصطدم بنصوص القرآن الواردة فيهم، خاصّيةً نصوص سورة التوبة.(۱)

وفكرة عدالة الصحابة تعود لأُصول مذهبيّة وسياسيّة نابعة من الصراع الذى دار بين الاتّجاه القَبَلى الذى ساد واقع المسلمين بعد وفاة الرسول (ص) والدول التى قامت على أساسه، واتّجاه أهل البيت: (۲)

اعتمد الاتّجاه القبلى على الصحابة كسند شرعى فى مواجهة أهل البيت، ولمّا كان الصحابة لا يحملون صفات ومؤهّلات أهل البيت، وقد دبّت بينهم الخلافات،

۱- يطلق الفقهاء على سورة التوبة بالفاضحة لكونها تفضح المنافقين حول الرسول والبعض الآخر يسمّيها سورة العذاب لما تحوى من صنوف الوعد والوعيد التى تتعلّق بمَن حول الرسول ص .

۲- انظر لنا كتاب السيف والسياسة.

ص:۴۰

ووقعت بينهم الصراعات، وظهرت بينهم الانحرافات، استخدم سلاح الإرهاب لتخويف المسلمين، والحيلولة بينهم وبين الخوض فى حقيقة وواقع الصحابة.

من هنا برزت فكرة تحصين الصحابة، وعدم جواز المساس بهم، والخوض فى خلافاتهم ومساويهم حتّى لا ـ تتضح الرؤية أمام المسلمين وتتكشّف حقيقة الاتّجاه القبلى والحكّام.

واعتُبر مَن يخوض فى أمر الصحابة ويتكلّم فيهم بمثابة ساب لهم يجب ردعه ومعاقبته.

وتبحّر الفقهاء فى هذا الأمر وظهرت العديد من الكتب التى تركّز على الصحابة والأحكام الخاصّة بهم.

وتمّ قتل العديد من المسلمين بدعوى سبّ الصحابة. ۱

ويظهر لنا من كلام ابن حنبل عن الصحابة أنّه قد جعلهم من أُصول الدين؛ وذلك حين أوجب على مَن أسماهم بالرافضة الاستتابة، وهو بهذا الحكم يساويهم بالمرتدّين، ويفتح الباب على مصارعه للحكّام كى ينالوا من الذين يخوضون فى أمر الصحابة، ويبطشوا بهم بدعوى الحفاظ على الدين.

وقد أكّد لنا ابن حنبل مدى ارتباطه بالحكّام وربط عقيدته بهم حين أحال أمر الذين يخوضون فى الصحابة إلى الحكّام ليعاقبوهم بالحبس حتّى الموت.

يقول ابن حنبل: والدين إنّما هو كتاب الله عزّ وجلّ وآثار وسنن وروايات، وأصحاب الرأى والقياس فى الدين مبتدعة ضلّال، إلاّ أن يكون فى ذلك أثر عمّن سَلَف من الأئمّة الثقات.

ويختتم عقيدته بقوله: وأصحاب الرأى أعداء للسنّة والأثر يبطلون الحديث

۱) انظر لنا دماء وأغلال: صور من اضطهاد الشيعة عبر التاريخ، وانظر تاريخ ابن كثير ج ۱۴، ص۳۵۳، قصّة مص–رع قتل الرافضى الخبيث؛ وانظر الصواعق المحرقة على أهل البِدَع والزندقة لابن حجر الهيتمى قصّة إعدام مسلم اتّهم بسبّ الشيخين.

ص:۴۱

ويردّون على الرسول (ص) ، ويتّخذون أبا حنيفة ومَن قال بقوله إماماً، ويدينون بدينهم، وأىّ ضلالٍ أبين ممّن قال بهذا وترك قول الرسول وأصحابه؟ فكفى بهذا غيّاً مُردياً وطغياناً.

ونقل الوهّابيّون عن ابن حنبل قوله: مَن قال إنّ الإيمان مخلوق فقد كفر، ومَن قال إنّه غير مخلوق فقد ابتدع. .

ومَن خالف الإجماع والتواتر فهو ضالٌ مضل، ويفسق مَن خالف خبر الواحد. .

وأنّ الدار إذا ظهر فيها القول بخلق القرآن والقدر وما يجرى مجرى ذلك فهى دار كفر.

وأنّ الداعية إلى البدعة لا توبة له. .

وأنّ مَن ترك الصلاة فقد كفر وحلّ قتله.(۱)

وهكذا أفرغ ابن حنبل ما فى جُبّته بعد أن أطلق سهامه على جميع المخالفين له من أهل الرأى فى دائرة أهل السنّة وخارج دائرتهم، ليسنّ سنّة الإرهاب والتطرّف فى واقع المسلمين، تلك السنّة التى لا تزال آثارها ممتدّة حتّى اليوم ومتمثّلة فى النهج الوهّابىّ.

وقد حمل تراث ابن حنبل جيل من الحنابلة، يساندهم قطّاع من عوام بغداد، انطلق يرهب الناس والمخالفين ويرفع راية التكفير والزندقة فى مواجهتهم.

وإذا كان الأُستاذ الإمام بهذا القدر من التطرّف فكيف يكون حال تلاميذه؟

لا شكّ أنّ حجم مدافعهم سوف تكون أكبر وطلقاتهم سوف تكون أشدّ.

وهذا ما تشهد به وقائع التاريخ، فيما أطلق عليه المؤرِّخون فتن الحنابلة وهى

حوادث وقعت فى فترات متفرِّقة ضمن حدود بغداد موطن الحنابلة، كان ضحيّتها المخالفين على الدوام فقهاء وعوام من السنّة والشيعة.

وكان الحنابلة قد قويت شوكتهم بدعم من المتوكّل العبّاسى، ومن بعده من خلفاء بنى

۱- انظراعتقاد الإمام المبجّل أحمد بن حنبل.

ص:۴۲

العبّاس الذين عملوا على استثمارهم فى تقوية نظام حكمهم وتصفية المعارضين لهم.

ومنذ ذلك الحين كثرت اعتداءاتهم على العامّة والنساء فى الطرقات والتفريق بينهما فى الأسواق، ومهاجمة الأسواق لمنع الاختلاط ومقاومة البدع.

ودخلوا فى صدامات دَمَويّة مع الشيعة والأشاعرة والشافعية والأحناف والمعتزلة.

ففى حوادث عام ۳۲۰ ه-: وقعت فتنة بين الحنابلة والأشاعرة.

وفى حوادث عام ۳۴۰ ه-: وفى رمضان منها وقعت فتنة عظيمة بسبب المذاهب.

ويروى الذهبى فى تاريخه عن أحداث عام (۳۹۸ ه-) أنّ فى هذه السنة وقعت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنّة فى بغداد وكاد أن يقتل الشيخ أبو حامد الاسفراينى، فأنفذ الخليفة القادر الفرسان لمعاونة أهل السنّة وقمع الشيعة.

وغير هذه الحوادث كثير ممّا رصدته كتب التاريخ.(۱)

ومثل هذه المدافع التى حملها الحنابلة فى مواجهة الناس والمخالفين، والتى هى من صناعة إمامهم ابن حنبل، لم توجّه فى يوم من الأيام إلى الحكّام، وهذا الأمر إنْ دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ عقيدة الحنابلة فى مضمونها عقيدة حكومية فى صالح الحاكم لا فى صالح الجماهير.

وهو يدلّ من جانبٍ آخر على أنّ هذه العقيدة قد فُرضت على المسلمين بضغط الحكّام ولو قُدّر لها أن تسلك السبيل المعتاد فى الدعوة الذى سلكته الشيعة من بعد الإمام على (ع) ، والمعتزلة والمذاهب الأُخرى لما قُدّر لها البقاء والانتشار، والبرهان على ذلك أنّ مذهب الحنابلة سقط وتوارى بعد سقوط الدولة العبّاسية، واتّجهت الدول التى ظهرت بعدها نحو الأشاعرة والماتريدية والمذاهب الأُخرى.

ويبدو أنّ الاتّجاهات الأُخرى لم تستسلم لمدافع ابن حنبل، بل استدارت عليه

۱- انظر فتن الحنابلة فى الكامل فى التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وانظر حوادث عام ۳۲۰ و۳۴۶ و۳۴۸ و۳۴۹ ه-، وانظر سيرة البربهارى الحنبلى المتطرّف فى الفصل القادم.

ص:۴۳

وهاجمته وطعنت فى عقيدته وتصوّره، ممّا دفع به إلى أن يسلّط عليهم مدافعه فى نهاية رسالته بقوله: وقد رأيت لأهل الأهواء والبِدَع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة يسمّون بها أهل السنّة يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم والوقيعة فيهم والإزراء بهم عند السفهاء والجهّال.

فأمّا المرجئة فإنّهم يسمون أهل السنّة شكاكاً وكذبت المرجئة.

وأمّا القدرية فيسمّونهم المجبّرة وكذبت القدرية.

وأمّا الجهمية فيسمّونهم المشبّهة وكذبت الجهمية أعداء الله.

وأمّا الرافضة فيسمّونهم الناصبة وكذبت الرافضة.

وأمّا الخوارج فيسمّونهم مرجئة وكذبت الخوارج.

وأمّا أصحاب الرأى فيسمّونهم حشوية، وكذب أصحاب الرأى أعداء الله، بل هم الحشوية تركوا آثار الرسول وحديثه وقالوا بالرأى وقاسوا الدين بالاستحسان، وحكموا بخلاف الكتاب والسنّة، وهم أصحاب بِدْعة جهلة ضلّال وطلّاب دنيا بالكذب والبهتان.

وختم ابن حنبل رسالته بهذا الدعاء: اللّهمّ ادحض باطل المرجئة، وأوهن كيد القدرية، وأذلّ دولة الرافضة، وامحق شبه أصحاب الرأى، واكفنا مؤنة الخارجية - الخوارج - وعجّل الانتقام من الجهمية.

ونخرج من هذا العرض لرسالة السنّة أنّ قذائفها أشدّ فتكاً من سابقتها، وأنّ ابن حنبل قد أعلن عن وجهته صراحةً من خلالها.

فهو قد أعلن أنّ هذه الرسالة تمثّل عقيدة السلف من الصحابة والتابعين.

وأعلن أنّ الخارج عن حدودها والمخالف لها مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل الحق.

ونسب الظلم إلى الله سبحانه حين ربط الزنا والسرقة والخمر والقتل بمشيئة الله

ص:۴۴

وإرادته، وربط الحكم بصلاح المسلم ونجاته من النار بالرواية وليس بالقرآن.

وأعلن أنّ الخارج عن السلطان مبتدع مخالف مفارق للجماعة.

وأعلن أنّ الله فی السماء فوق العرش يتحرّك ويتكلّم ويضحك ويفرح وينزل إلى الدنيا، وخلق آدم على صورته، ويضع قدمه فی النار. . . ، هذه الصفات التی جاءت بها الروايات ولم يأت بها القرآن، والتی تضع ابن حنبل ومَن سار فی ركاب هذه الروايات فی دائرة التجسيم.

وأعلن تكفير الجهمية لقولهم بخلق القرآن، وأدخل معهم فی دائرة التكفير الشيعة والمعتزلة الذين يتبنّون نفس الفكرة.

وتطرّف ابن حنبل فی موقفه أكثر فكفّر الذين يقولون بأنّ القرآن كلام الله وكفی، والذين يقولون بأنّ الألفاظ والتلاوة مخلوقة، وإنّ مَن لم يكفِّر هؤلاء فهو مثلهم.

وأخرج من دائرة الإسلام الذين يتبنّون مواقف من الصحابة كالشيعة والمعتزلة والخوارج وغيرهم، الذين لا ـ يعترفون بمعاوية ويهاجمونه، ويتبنّون نفس الموقف من عمروبن‌العاص، أو المغيرة بن شبعة، أو عثمان، أو أبی‌هريرة، وغيرهم من الصحابة الذين ارتبطوا بالفتن والخلافات التی وقعت بعد وفاة الرسول (ص) .

وتجاوز هذا الحدّ بأن حرّض الحاكم عليهم، وأفتاه بجواز تأديبهم وحبسهم وقتلهم.

وحدّد الدين فی دائرة الكتاب والسنّة والسلف، أی: ربط الرواية والرجال بالقرآن، فكأنّ مَن نبذ الرواية والرجال نبذ القرآن وخرج من الإسلام؛ وهو بهذا قد أضفی القداسة على الرواية والرجال وأرهب المسلمين من المساس بهما.

وفی رسالة أُخری لابن حنبل تحت عنوان (كتاب الصلاة) أعلن ابن حنبل تكفير تارك الصلاة وعدم جواز الصلاة عليه ودفنه فی مقابر المسلمين.

ويظهر لنا – من خلال أفكار ابن حنبل – أنّها استمدّت جميعها من الروايات وأقوال الرجال، أی: السنّة والأثر، فمن ثمّ فهو رجل تقليدی يتعبّد بنصوص التراث كما هی

ص:۴۵

ولا يعطى لأتباعه فرصة إعمال العقل فيها، كما لا يعطى لخصومه فرصة نقدها.

ولعلّ تمسّك ابن حنبل بالروايات وأقوال السلف هو الذى جعل له شعبية وسط العامّة الذين تجذبهم الروايات بدافع عشقهم للرسول (ص) وجيله، فقول الرسول أو الصحابى يجذب الناس ويستقطبهم، أمّا الرأى فله خواصه من الناس.

وهذا ما جذب إليه البدو الوهّابيّين وفِرَقهم المعاصرة التى يتزعّمها السوقة والعوام وضعاف العقول.

ص:۴۶

ص:۴۷

البربهاری

اشارة

کانت سنّهٔ الوهّابیّین دائماً هی البحث والتنقیب عن التراث الحنبلی الشاذ الذی ضُرب فی زمانه واندثر وانتهی أمره، مثل: تراث ابن تیمیهٔ وتلمیذیه ابن القیّم وابن کثیر، وغیرهم من الحنابلهٔ المتطرّفین.

ومن بین کتب الحنابلهٔ التی اکتشفها الوهّابیّون مؤخّراً رسالهٔ صغیرهٔ لواحد من أئمّهٔ الحنابلهٔ المتطرّفین فی زمانه، وهو الحسن البربهاری (ت۳۲۹ه) کانت من بین المخطوطات المصوّرهٔ بمکتبهٔ جامعهٔ أُمّ القری، وهی بروایهٔ غلام خلیل المشهور بالکذب ووضع الحدیث عند الفقهاء (ت۲۷۵ه) .

وقد یثیر هذا الأمر الشک فی صلهٔ غلام بالبربهاری لوفاته قبله بأکثر من نصف قرن، لکنّ هذا الشک سرعان ما یزول إذا ما تبیّن لنا أنّ البربهاری عاش أکثر من تسعین سنهٔ.

إلّا أنّ محقّق الرسالهٔ الوهّابی وهو مدرّس فی قسم العقیدهٔ بجامعهٔ أُمّ القری ینفی صلهٔ غلام بالبربهاری، ویقول: فإذا کان هذا هو حال الرجل فی الکذب علی رسول‌الله (ص) فلماذا لا یکون من باب أولی أن یکذب علی الناس وأن یسرق جهود العلماء وینسبها إلی نفسه خاصّهٔ وأنّه کان من المعاصرین للبربهاری؟

وتجدر الإشارهٔ هنا إلی أنّ رسالهٔ البربهاری، التی سوف نعرض لها هنا، مطبوعهٔ

ص:۴۸

ضمن الجزء الثانی من کتاب طبقات الحنابلهٔ.

أمّا البربهاری فقد ارتبط بالعدید من الفتن والحوادث التی وقعت فی زمانه، وکان دوره فیها هو تحریض الحنابلهٔ علی البطش بالآخرین من خصومهم، والتی کانت تصل إلی حدّ إحراق البیوت وتحطیم الحوانیت وتعطیل الأسواق، بالإضافهٔ إلی إراقهٔ الدماء.

وهو ما أدّی بالخلیفهٔ القادر العبّاسی إلی التدخّل والقبض علی البربهاری وجماعته، إلاّ أنّه فرّ من بغداد بعد القبض علی العدید من أتباعه.

وبعد الإطاحهٔ بالقاهر جاء الراضی فطارد الحنابلهٔ ونودی فی الطرقات ببغداد: أن لا یجتمع من أصحاب البربهاری نفسان فاستتروا عن الأنظار، واختفی البربهاری حتّی توفّی.

والسؤال الذی یفرض نفسه هنا هو: لماذا یقوم الوهّابیون بنش-ر رسالهٔ البربهاری هذا وتاریخه یشهد بالتطرّف والإرهاب؟

والجواب هو أنّ البربهاری علی شاکلتهم ومن طینتهم، وکلّ إناءٍ ینضح بما فیه.

ولو کان الوهّابیّون أصحاب عقل وفکر مستقیم لما التفتوا إلی مثل هذه الرسالهٔ المتطرّفهٔ الفارغهٔ، لکنّ الاعوجاج طبیعتهم، والتطرّف سبیلهم، والسطحیهٔ نِحلتهم.

رسالهٔ البربهاری

ویصر الوهّابیّون علی ادّعاء أنّهم یمثّلون أهل السنّهٔ، وأنّهم الفرقهٔ الناجیهٔ من النار التی تجمع القلوب علی معتقد رسول الله (ص) ؛ من هنا اعتبر الوهّابیّون أنّ المخالف لهم یُعدّ من أهل الأهواء والبِدَع والملل والنحل الضالّهٔ.

یقول محقّق الرسالهٔ فی مقدّمته: وکان من أوّل علامهٔ الخذلان والضیاع للفرق

ص:۴۹

الأُخری اسمها الذی تتسمّی به کالخوارج والجهمیة والمعتزلة والرافضة (الشیعة) والأشاعرة والماتریدیة والکلابیة وغیرها؛ لأنّ الاسم دلیل علی مسمّاه.

وهذا الکلام الساذج مردود علی صاحبه؛ إذ إنّ من المعروف تاریخیاً أنّ هذه التسمیات لیست من صنع أصحابها، وإنّما هی من صنع خصومهم من الکتّاب والمؤرِّخین.

وهذه الاتّجاهات والفِرَق - کما یسمّونها - تتبنّی الروایات ولکن بطُرُقٍ مختلفةٍ عن طُرُق أهل السنّة، کما أنّ من هذه الاتّجاهات مَن یتبنّی نفس روایات أهل السنّة ومعتقداتهم کالأشاعرة والماتریدیة، إلاّ أنّهما یختلفان مع الحنابلة.(۱)

ولا یزال الأزهر یدرّس عقیدة الأشعری والماتریدی علی تلامیذه، فی الوقت الذی أُهملت فیه عقیدة الحنابلة التی یتسلّح بها الوهّابیون الیوم.

ومثلما أطلق الحنابلة هذه التسمیات التی اعتبرها المحقّق علامة الخذلان والضیاع علی خصومهم، أطلق الخصوم أیضاً تسمیات متعدّدة علیهم حدّدها ابن حنبل فی عقیدته وقد سبق ذکرها.

وما یمکن قوله حول تسمیات الخصوم للحنابلة، وعلی رأسها تسمیة الحشویة والمشبّهة، إنّها تسمیات صحیحة ودقیقة وهی بمجملها تنطبق علی الوهّابیین الحنابلة الیوم.

والخصوم لم یطلقوا هذه التسمیات علیهم من فراغ، وإنّما أطلقوها بسبب إغراقهم فی الروایات، وتعصّبهم لها.

والأزمة هنا تکمن فی أنّ الوهّابیّین الحنابلة اعتبروا أنفسهم الممثِّل الشرعی الوحید

۱- تبنّت العدید من الدول عقیدة الأشعری لتسود العدید من بلاد المسلمین وعلی رأسها الدولة الأیّوبیة، وتبنّت العدید من الدول الأُخری عقیدة الماتریدی وعلی رأسها الدولة العثمانیة، بینما لم تتبن دولة واحدة عقیدة ابن حنبل إلاّ دولة آل سعود فی العصر الحدیث.

ص:۵۰

للإسلام، واعتبروا سواهم خارج دائرته، وهو ما برّر لهم مخاصمة المخالفين والعدوان عليهم.

والحق أنّ الحنابلة في الماضي أو الوهّابيّين في الحاضر لا يتميّزون بشيءٍ على مَن سواهم من أهل السنّة أو الاتّجاهات الأُخرى، بل العكس هو الصحيح أنّ الآخرين هم الذين يتميّزون عليهم بتقديمهم كتاب الله على الروايات واحترامهم للعقل.

وفكرة القيمومة على الآخرين والوصاية على الدين التي تبنّوها هي أساس تطرّفهم في مواجهة الآخر، وهي نابعة من السياسة لا من الدين، فقد أعطاهم الحكّام الفرصة للتمكّن والانتشار والسيادة على الآخر في بعض الفترات الزمنية، والتي أدّت إلى تقوقع التيّارات الأُخرى وانعزالها، ممّا جعلهم يتصوّرون أنّهم أصحاب الحق المطلق والوحيد للدين.

ولولا دعم آل سعود للوهّابيّين ما كان يمكن أن يكون لهم صوت أو وجود بين المسلمين.

نص الرسالة

يقول المحقّق: هذا الكتاب يظهر للقارئ من خلال قراءته أهمّيّته وجودته، فقد قرّب مفاهيم العقيدة السلفية للناس بأُسلوب سهل وميسّر، وأظهر نصرة السنّة ومحاربة البِدعة، وشدّد الإنكار على أهل الأهواء المضلّة، وخلّصه من دنس علم الكلام، غير أنّ كلّ عمل بشري لا يخلو من نقص.

وكتاب البربهاري يسوق القضايا العقدية مجرّدة من الدليل في الغالب، ثمّ يثني على كتابه هذا إلى حدّ الإلزام به، وهذا أمر غير مقبول منه، فهدى السلف عدم إطراء أنفسهم.

ونحن نتقدّم بالشكر للمحقّق على هذه الرؤية النقدية المتحفّظة التي كشفت لنا عورة هذه الرسالة قبل الخوض فيها والاطّلاع على نصوصها.

يبدأ البربهاري بقوله: اعلم أنّ الإسلام هو السنّة، والسنّة هي الإسلام، ولا يقوم

ص:۵۱

أحـدهما إلّا بالآخر، فمن السـنّة لزوم الجماعة ومَن رغب فی غیر الجماعة وفارقها فقد خلع رِبْقَة الإسـلام من عنقه، وکان ضالاً مضـلاً، والأساس الذی بیّنا علیه الجماعة هم أصـحاب محمّد (ص) وهم أهل السنّة والجماعة، فمن لم یأخذ عنهم فقد ضلّ عنهم وابتدع وکلّ بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها فی النار.

فمَن خالف أصحاب رسول الله فی شیء من أمر الدین فقد کفر.

وکـان الأجـدر بالبربهـاری أن یقول: إنّ الإسـلام هو القرآن، والقرآن هو الإسـلام، لا ـ أن یربط الإسـلام بمصـدر هو محلّ خلافٍ بین المسلمین.

إلّا أنّ المقصود بهذا الکلام هو ربط الإسلام بالحنابلة وربط الحنابلة بالإسلام.

المقصود هو إسلام الحنابلة الذی یقوم علی الروایات والآثار لا علی نصوص القرآن.

کذلک الجماعة المقصود بها هنا جماعة الحنابلة التی یرید البربهاری أن یوحی للقارئ أنّها امتداد للصحابة والرسول (ص) .

وربط الدین بالصـحابة فکرة سیاسـیة موجّهة إلی قطّاع معیّن من الصـحابة من أصـحاب التوجّه القبلی الذی استمدّ منهم الحکّام مش– روعیّتهم، ولیس إلی الصحابة أصحاب التوجّه النبوی الذین ساروا وفق خطّ الرسول (ص) وناصروا أهل البیت: .

المقصود بهم: أبوبکر، وعمر، وعثمان، ومعاویة، ومَن سار فی رکابهم، ولیس المقصود بهم: علی، وعمار، وأبو ذر، وسلمان، ومَن سار فی رکابهم.

والحنابلـة الـذین قـدّسوا الروایـة إنّما یسـتمدّون روایاتهم من الجانب القبلی الـذی رسم لهم سـنّة رسول الله (ص) بما یخدم توجّهاتهم ومصالحهم، فمن ثمّ تُعـدّ أیّـة محاولـة للمساس بهـذا الجانب ردّة عن الدین فی منظور الحنابلة؛ لکونها سوف تؤدّی إلی هدم مذهبهم الذی یقوم علی هذه الروایات والذی یتصوّرون أنّه الدین.

وهو ما یبدو لنا بوضوح من خلال قول البربهاری: فمَن خالف أصحاب رسول‌الله فی شیء من أمر الدین فقد کفر.

ولکن ما هو الدلیل الشرعی علی هذه الفتوی البربهاریة الإرهابیة؟

ص:۵۲

والجواب بـالطبع هو ليس هنـاك دليـل شـرعى على هـذا الكلاـم، وهو مـا تنبّه له المحقّق؛ فسـارع إلى نجـدة البربهـارى بقوله: كلامه محمول على مَن أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ومتابعة الصحابة واجبة، وساق بعض الروايات، منها:

عليكم بسنّتى وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدى عضّوا عليها بالنواجذ.

اقتدوا بالذَين من بعدى: أبى‌بكر، وعمر.

والروايـة الأُولى طُبّقت على الخلفـاء الأربعـة، أو بمعنى أصـحّ اخترعت لهم لتضـفى المشـروعية على النهـج القبلى، فهى من جانبٍ لم تحـدّد لنـا مَن هم الخلفـاء الراشـدين، ومن جـانبٍ آخر إذا سلّمنا بـأنّ المقصود بها الخلفاء الأربعـة فإنّ كلّ خليفـة من هؤلاء له سنّته الخاصّة التى تتناقض مع الآخر.

والحقيقـة أنّ سنّة الخلفاء يقصـد بها النهج القبلى، الذى فرّخ أمثال: معاوية والملك العضوض الذى شوّه الإسـلام ووطّن للإرهاب فى واقع المسلمين.

إلاّ أنّ ربط كلام البربهارى الذى يقضى بتكفير مَن خالف أصحاب رسول الله بما هو معلوم من الدين بالضرورة - كما ذكر المحقّق - زاد الطين بِلّة، فكلاـم البربهارى واضـح ويقصـد به مَن خالف الروايـة التى يأتى بها الصـحابى، أو رفضـها فهو كافر، وهو كلام موجّه للشيعة خاصّةً والاتّجاهات الأُخرى المخالفة عامّةً، الذين لا يعترفون بروايات الحنابلة.

والمعلوم من الـدين بالضـرورة يقصـد به فى لغـة الفقهاء: الأُصول التى لا يجوز إنكارها فى الـدين، مثل: الإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر والقرآن والبعث والجنّة والنار، ونكران الأوامر الإلهيّة الصريحة فى القرآن وما شابه ذلك.

لكنّ الحنابلـة أدخلوا معتقـداتهم ومفـاهيمهم فى دائرة المعلوم من الـدين بـالض-رورة، ومنهـا قضـيّة الصـحابة والروايات وصـفات الله سبحانه، واستخدموا هذا السلاح فى إرهاب الخصوم.

لقد أراد المحقّق أن ينقذ البربهارى فأغرقه وأغرق نفسه معه بربطه الصحابة بما هو

ص:٥٣

معلوم من الدين بالضرورة، واعتبار اتّباعهم واجب شرعى ممّا يعنى مساواتهم بالرسول (ص) .

والبربهارى ومعه المحقّق كلاهما يهدفان إلى إرهاب المسلمين كى لا يحيدوا عن الروايات ويعملوا عقولهم فيما يسمعون ويتلقّون.

يقول البربهارى محذِّراً: انظر كلّ مَن سمعت كلامه من أهل زمانك فلا تعجلن وتدخلن فى شىء منه حتّى تسأل وتنظر: هل تكلّم فيه أحد من أصحاب النبى (ص) ، أو أحد من العلماء، فإن أصبت فيه أثراً منهم فتمسّك به ولا تتجاوزه لشىء ولا تختر عليه شيئاً فتسقط فى النار.

وهذا الكلام إنّما هو امتداد للكلام السابق المتعلّق بلزوم اتّباع الصحابة والترهيب من الانحراف عنهم، وزاد عليه هنا اتّباع العلماء الذين هم الحنابلة بالطبع.

وهى دعوة صريحة للتمسّك بالأثر وإلغاء العقل والعيش بعقل الماضى، وهى الدعوة التى يتبنّاها الوهّابيّون والجماعات المعاصرة.

ويتحدّث البربهارى بعد ذلك عن وجوب الالتزام بصفات الله سبحانه، كما وردت فى القرآن والروايات، وهو تناقض؛ إذ إنّ الروايات التى يتبنّاها الحنابلة حول صفات الله تدور فى محيط الحقيقة وهى تصطدم بنصوص القرآن.

والحنابلة يحاولون دائماً إضفاء القداسة على رواياتهم المتعلّقة بالصحابة وصفات الله عن طريق ربطها بالقرآن.

والتيّارات والمذاهب الإسلامية الأُخرى ترفض روايات الحنابلة المتعلّقة بصفات الله؛ خوفاً من الوقوع فى التجسيم والتشبيه ونسبة صفة لله سبحانه لا تليق به.

والذين قبلوا هذه الروايات منهم أخذوها على وجه المجاز وقاموا بتأويلها.

وكلا الموقفين لم يعجب الحنابلة على مستوى الماضى، أو الوهّابيّين على مستوى الحاضر، فأنزلوا لعناتهم على المخالفين.

من هنا أصرّ الحنابلة على أنّ القرآن ليس بمخلوق والمراء فيه كفر، كما ذكر

ص:۵۴

البربهاری الذی استمدّ حکمه بتکفیر القائلین بخلق القرآن من ابن حنبل، الذی یُعدُّ أوّل مَن أسّس لنهج التکفیر فی تاریخ المسلمین بعد الخوارج.

ویعرض البربهاری من خلال رسالته لعقیدة ابن حنبل التی تنصّ علی رؤیة الله سبحانه یوم القیامة بالعین أو بأعین رؤوسهم، وهو یحاسبهم بلا حاجبٍ ولا ترجمان، وأنّ المیزان یوم القیامة له کفّتان وله لسان، وأنّ الله خلق آدم علی صورته وینزل إلی الدنیا.

و أنّ خیر هذه الأُمّة بعد وفاة نبیّها (ص) : أبو بکر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ أفضل الناس بعد هؤلاء: علی، وطلحة، والزبیر، وسعد، وسعید بن زید، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبیدة بن الجراح، وکلّهم یصلح للخلافة، ثمّ أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله.

والسمع والطاعة للأئمّة ومَن ولی الخلافة بإجماع المسلمین علیه ورضاهم به، فهو أمیر المؤمنین، ولا یحل لأحد أن یبیت لیلة ولا یری أنّ علیه إماماً بَرّاً کان أو فاجراً، والحجّ والغزو مع الإمام ماضٍ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة.

والخلافة فی قریش إلی أن ینزل عیسی (ع) ، ومَن خرج علی إمام من أئمّة المسلمین فهو خارجی قد شقّ عصا المسلمین، وخالف الآثار ومیتته میتة جاهلیة.

ولا یحل قتال السلطان ولا الخروج علیه وإن جار.

والرجم حقّ، والمسح علی الخفّین سنّة.

ومثل هذه العقائد التی تعصّب لها الحنابلة علی مستوی الماضی، وأعلنوا الحرب علی رافضیها لا تخرج عن کونها مجموعة من الأفکار الوضعیة التی تفوح منها رائحة السیاسة، وهی تقوم علی أساس روایات لیست محلّ تسلیم الآخرین.

ولا یحقّ للحنابلة ومَن تبنّی هذه العقائد أن یهدّد الآخرین بها ویرهبهم، ویحاول فرضها علیهم باسم الإسلام؛ فهذه العقائد شیء والإسلام شیء آخر.

ویواصل البربهاری ناسباً الظلم لله تعالی فیقول: ولو عذّب – الله – أهل السموات

ص:۵۵

والأرض برّهم وفاجرهم فهو غیر ظالم لهم لا یُسْئَلُ عَمَّا یَفْعَلُ وَ هُمْ یُسْئَلُونَ . (الانبیاء:۲۳)

وتتوالی قذائف البربهاری علی المسلمین، کلّ قذیفۀ أشدّ من سابقتها.

یقول ناصحاً: إذا سمعت الرجل یطعن علی الآثار ولا یقبلها، أو ینکر شیئاً من أخبار رسول الله (ص) فاتّهمه علی الإسلام، فإنّه رجل ردیء المذهب والقول.

ویقول: والإیمان بأنّ الله هو الذی کلّم موسی بن عمران یوم الطور، وموسی یسمع من الله الکلام بصوت وقع فی مسامعه منه لا من غیره، فمَن قال غیر هذا فقد کفر بالله العظیم.

ویقول: واعلم أنّها لم تکن زندقۀ ولا کفر ولا شکوک ولا بدعۀ ولا ضلالۀ ولا حیرۀ فی الدین، إلّا من الکلام وأهل الکلام والجدل والمراء والخصومۀ.

ولم یفت البربهاری أن یُنزل لعناته علی الجهمیۀ، ویحرّض المسلمین علیهم، وهو یردّد أقوال ابن حنبل فیهم: الجهمی کافر لیس من أهل القِبلۀ، حلال الدم لا یرث ولا یورث.

ولم یفته تحذیر المسلمین من أصحاب العقل وأهل الرأی بقوله: وإیّاک والنظر فی الکلام، والجلوس إلی أصحاب الکلام، وعلیک بالآثار وأهل الآثار، وإیّاهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس.

والهدف من هذه القذائف المتنوّعۀ هو الحفاظ علی آثار الحنابلۀ بعیداً عن أقوال وآراء الآخرین التی تهدّدهم وتشکّک المسلمین فیهم.

وضرب الآخر وإرهابه وکذلک إرهاب الأتباع یُعدّ مسألۀً مصیریۀ بالنسبۀ للحنابلۀ أعداء العقل والاعتدال، وأنصار الجمود والتطرّف الذین بنوا لأنفسهم حصناً وهمیّاً بالروایات وأقوال الرجال یخشون أن تذهبه ریاح العقل والبصیرۀ.

ومن طرائف البربهاری أنّه دعا فی رسالته إلی تقلیل النظر فی النجوم؛ لأنّ إطالۀ النظر فیها یؤدّی إلی الزندقۀ – حسب قوله –.

ودعا إلی الکفّ عن الخوض فی أمر معاویۀ وأصحاب الجمل.

ص:۵۶

وقال: إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان - الحاكم - فاعلم أنّه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنّه صاحب سنّة، وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض فى جماعة مع السلطان وغيره فاعلم أنّه صاحب سنّة.

ولم يكتف البربهارى بما طرح فى رسالته من نصوص لا تخرج عن كونها مجرّد آراء متطرّفة تفتقر إلى الدليل، بل بالغ فى تطرّفه حين أوجب على المسلمين فى ختام رسالته أن يقرّوا بمحتوياتها، ويؤمنوا بنصوصها ويتّخذوها إماماً لهم، وإلاّ سقطوا فى براثن الهوى والضلال.

يقول البربهارى: فمَن أقرّ بما فى هذا الكتاب وآمن به واتّخذه إماماً، ولم يشك فى حرف منه، ولم يجحد حرفاً منه، فهو سنّة وجماعة، ومَن جحد حرفاً ممّا فى هذا الكتاب، أو شكّ فى حرفٍ منه، أو شكّ فيه أو وقف - أى: لم يشك ولم يُقِر - فهو صاحب هوى، ومَن جحد، أو شكّ فى حرفٍ من القرآن، أو فى شىءٍ جاء عن الرسول (ص) لقى الله مكذّباً.

وقد قدّم لنا البربهارى بكلامه هذا الدليل على غلو الحنابلة وتطرّفهم، وأنّ سنّتهم الدائمة هى الإرهاب.

ص:۵۷

ابن بطّة إلغاء العقل والتعبّد بالنقل

سيراً مع سنّة الوهّابيّين الدائمة في البحث والتنقيب عن التراث الحنبلي، الذي يخدم أفكارهم المتطرّفة، قام واحد من الوهّابيّين بإبراز مخطوطة مغمورة ومهملة بعنوان: (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) لابن بطّة العكبري الحنبلي، المتوفّى عام ۳۸۷ه.

قال المحقّق الوهّابي في مقدّمته: بعد مُضي عصر الصحابة وجد في أيام التابعين بعض رؤوس أهل الضلالة الذين عنوا ببثّ الأهواء والبِدَع، وكان لهؤلاء فتن كثيرة على الناس، وزاد خطر هؤلاء الزائفين في القرن الثالث عندما تمكّن المعتزلة من إقناع الخليفة المأمون بآرائهم في العقيدة، وطلبوا منه أن يحمل الناس جميعاً على آرائهم بقوّة السلطان؛ فكانت فتنة كبيرة انتشر شررها على المسلمين، وعمّت لوثتها الفكر الإسلامي العظيم.

وكان بعض هؤلاء قد دخلوا في الإسلام لتحقيق غايات سيّئة ومآرب دنيئة، فكان دخولهم يخدم مخطّطاً يهدف إلى زعزعة عقائد الإسلام في نفوس أتباعه، وإثارة الفُرقة والبغضاء فيما بينهم حتّى وقع بعض المسلمين تحت تأثير هؤلاء، واقتنعوا بكثير من آرائهم نتيجة التلبيس والخداع فبزغ نجم الزندقة، وأطلّت الفرقة برؤوسها.

ص:۵۸

ويحدّد المحقّق الأسباب التي دعته إلى نشر هذا الكتاب بقوله: هذا الكتاب يمثّل مذهب إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل؛ لأنّ ابن بطّة قريب العهد به، وهو على مذهبه في الأُصول والفروع.

وابن بطّة يعتبر من علماء الحديث الكبار في عص-ره، ومن كبار علماء الحنابلة في زمنه، وكتابه الإبانة قد حوى آلاف الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة والتابعين.

والنسيان الذي طوى هذا الإمام الجليل قد دفعني إلى التأريخ له ونش-ر تراثه والتعريف بجهوده.

ويؤكّد المحقّق في مقدّمته رفضه الشديد للجدل والتأويل سيراً مع مذهب ابن بطّة وسنّة الحنابلة من قديم، فالتأويل في نظره لا يعتمد على نصٍّ دينيٍّ صحيح، ولم يقل به أحد من علماء السلف، وعلم الكلام قد اتّخذ الجدل الكريه مطيّةً في إثبات العقائد، والجدل مذموم في الإسلام.

وأكّد رفضه للعقل والسماح له بالتدخّل في مجالات الغيب، وعدّه خطأً فادحاً وحماقةً كبرى، وأنّ المعتزلة هم الذين ابتدأوا هذه المهزلة حسب تعبيره.

ويبدي المحقّق على المؤلّف ملاحظةً بقوله: ونلحظ في هذا المقام أنّ المؤلّف عندما ردّ على المرجئة في قضايا الإيمان، وعندما تعرّض للجهمية في مسائل الصفات الإلهيّة، أو القدرية في أُمور القضاء والقدر، أو الشيعة وغيرهم، لم يحفل بذكر نصوص أقوالهم واقتباس بعضها من كتبهم تجنّباً لما قد يثيره ذكر أقوالهم وشبهاتهم في نفوس الناس من آثار سيّئة، ولأنّ آراء هذه الفِرَق كانت قد شاعت بين الناس حتّى أصبحت معروفة عنهم بين الجميع؛ ولهذا نراه يكتفي بذكر تلك الآراء الشائعة عنهم دون اهتمام بنقل نصوص أقوالهم في ذلك، وهذا مسلك معروف عند كثير من المؤلّفين في العقيدة السلفية.

وكان السبب الداعي لابن بطّة لتأليف كتابه هذا هو ما آل إليه الحال في عصره من ظهور الزندقة والبعد عن كتاب الله وسنّة رسوله باندثار السنن وقيام البِدَع،

ص:۵۹

ومن جور الحکّام وافتراق الناس شِيَعاً وأحزاباً، إلى غير ذلک من ألوان الفساد على حدّ تعبيره.

وأوّل ما نستعرض من هذا الکتاب باب تحت عنوان: ذکر ما جاءت به السنن من طاعة رسول الله (ص) والتحذير من طوائف يعارضون سنّة النبى بالقرآن.

وقد أفاض المؤلّف فى هذا الباب فى الحديث عن الذين يعارضون السنّة بالقرآن فى عصره، وکال لهم من نعوت الزيغ والضلال، وحضّ إخوانه وأتباعه على ألّا يسلکوا مسلکهم وأن يتمسّکوا بالسنّة بقوّة.

والذين يعارضون السنّة بالقرآن يقصد بهم الذين يعرضون الروايات على القرآن، ويحاولون ضبطها بنصوصه، ونبذ ما يعارض هذه النصوص ويصطدم بها، أو يضيف عليها أحکاماً جديدة، وهو الأمر الذى يرفضه الحنابلة بشدّة.

قال صارخاً مکفِّراً لهؤلاء: إنّ قائل هذه المقالة يتحلّى بحلية المسلمين، ويضمر على طوية الملحدين، يظهر الإسلام بدعواه، ويجحده بسرّه وهواه.

ولاشکّ أنّ هذا الکلام يعنى تکفير هؤلاء، ولا يخفى ما فى هذا الکلام من تحريض.

وروى عن مکحول قوله: السنّة سنّتان:

سنّة الأخذ بها فريضة وترکها کفر.

وسنّة الأخذ بها فضيلة وترکها إلى غير حرج.

والأُولى يقصد بها الروايات والآثار التى ورثها الحنابلة واعتبروها ديناً.

وهذا الأثر ومثله کثير ممّا يکتظّ به کتاب ابن بطّة هو عماد الحنابلة فى مواجهة خصومهم.

والباب الثانى من هذا الکتاب جاء تحت عنوان: ما أمر به من التمسّک بالسنّة والجماعة، والأخذ بها وفضل مَن لزمها.

وقد حشّد فى هذا الباب عشرات الروايات والآثار الإرهابية التى تحذّر من ترک السنّة والالتزام بالأثر وعدم الابتداع.

ص:۶۰

وهو إشارة إلى لزوم خط الحنابلة ومن على شاكلتهم، وعدم الحيدة عنهم إلى أصحاب العقل المبتدعين المنحرفين عن الجماعة.

إلّا أنّ ابن بطّة لم يحدّد لنا ما هو مقصوده بالجماعة؟

والبِدعة في مفهوم الحنابلة والوهّابيّين هي كلّ ما خالف رواياتهم وعقائدهم.

والجماعة هي جماعتهم التي يطلقون عليها دائماً أهل الحديث ويعدّونها الفرقة الناجية من النار.

وقد استخدم ابن بطّة شعار الحنابلة الدائم: شرّ الأُمور محدثاتها، وكلّ محدثة بِدعة، وكلّ بِدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

وهو شعارٌ مشتقٌّ من روايةٍ منسوبةٍ للرسول (ص) .

وفي باب حمل عنوان: ترك السؤال عمّا لا يعني، والبحث والتنقير عمّا لا يضر جهله، والتحذير من قومٍ يتعمّقون في المسائل ويتعمّدون إدخال الشكوك على المسلمين، قال:

اعلموا أنّي فكّرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنّة والجماعة، واضطرّهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلبلة على أفئدتهم، وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عمّا لا يعني، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه.

والآخر: مجالسة مَن لاتؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته.

ونقل رواية عن عمر تقول: إنّ رجلًا سأله عن سورة الذاريات والنازعات والمرسلات فهدّده وأمر الناس بعدم مجالسته.

وفي روايةٍ أُخرى: أنّه سأله عن تأويل وَ الذّارِياتِ ذَرْواً * فَالْحامِلاتِ وِقْراً. (الذاريات: ۱ و۲)

فقام إليه وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته.

ص:۶۱

يقول الراوى عن السائل: فلم يزل وضيعاً فى قومه حتّى هلك وكان سيّدهم.

ويبدو من عنوان هذا الباب أنّه يمثّل دعوة صارخة لرفض البحث والحوار والنظر فى المسائل، والتعمّق فى أُمور الدين، وجملةً هو دعوة صريحة لرفض العقل وإعماله فيما يسمع ويكتب.

ووضع ابن بطّة باباً تحت عنوان: التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب، ويفسدون الإيمان حشد فيه أيضاً عشرات الروايات والنصوص الإرهابية التى تحذّر من التيّارات والمذاهب الأُخرى، وترهب المسلم من الاقتراب منها.

وهو كما واضح تحذير من المخالفين الذين اعتبرهم ابن بطّة يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان، وهو ما يعنى شقّ الأُمّة وإشاعة الفرقة بين صفوفها.

وإتماماً للأمر زاد من جرعة الإرهاب والتخويف للمسلمين بحشد العديد من الآثار:

ماأُبالى سألت صاحب بِدعةٍ عن دينى أو زنيت.

مَن جلس إلى صاحب بدعةٍ أورثه الله العمى.

علامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة.

مَن أحبّ صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه.

لا تجلس مع صاحب بِدعة فإنّى أخاف أن تنزل عليك اللعنة.

لا تخالط صاحب بدعة.

لئن أُجاور يهودياً ونصرانياً وقردة وخنازير أحبّ إلىّ من أن يجاورنى صاحب هوى يمرض قلبى.

أُحبُّ أن يكون بينى وبين المبتدع حصنٌ من حديد.

مَن يجالس أصحاب البِدَع أشدّ علينا من أهل البِدَع.

وفى بابٍ تحت عنوان: ذمّ المراء والخصومات فى الدين والتحذير من أهل الجدل والكلام حشد العديد من الآثار الإرهابية، منها:

أسرع الناس ردّة أهل الأهواء.

ص:۶۲

لاتجالسوا أصحاب الخصومات فإنّهم الذين يخوضون فى آيات الله.

الخصومات فى الدين تحبط الأعمال.

كان سفيان إذا رأى إنساناً يجادل ويمارى يقول: أبو حنيفة وربِّ الكعبة.

ما حدّثوك عن أصحاب محمّد فأقبل عليه، وما حدّثوك عن رأيهم فألقه فى الحش.

إنّما يخاصم الشاك فى دينه.

لا تجادلوا أصحاب الأهواء فإنّهم يمرضون القلوب.

كان محمّد بن سيرين ينهى عن الكلام ومجالسة أهل الأهواء.

قال ابن بطّة: أهل الأهواء فى تكفير بعضهم لبعض مصيبون؛ لأنّ اختلافهم فى شرائع شرّعتها أهواؤهم، وديانات استحسنتها آراؤهم فتفرّقت بها الأهواء، وشتّت بهم الآراء، وحلّ بهم البلاء، وحرموا البصيرة والتوفيق فزلّت أقدامهم عن محجّة الطريق فالمخطئ منهم زنديق، والمصيب على غير أصلٍ وتحقيق.

ومثل هذا الكلام ينطبق على الحنابلة أيضاً، وينطبق أيضاً على الوهّابيّين حنابلة العصر، فقد اختلفت بهم الأهواء وكفّر بعضهم بعضاً، وحرموا البصيرة والتوفيق بشهادة فقهائهم الذين وقعوا فيهم واعتبروهم من الخوارج.

وليس أدلّ على ذلك ممّا ينشر من منشورات فى أوساطهم تدعو للتكفير والغلو، وأُخرى تردّ عليها.

وممّا يبرز فى وسطهم من فرق متطرّفة مابين الحين والآخر.

وممّا يحدث فى أوساطهم من حوادث إرهابية.

وكلّ ذلك هو من صنع أيديهم، ومن نتاج هذا الفكر الإرهابى الذى ورثوه عن أسلافهم الحنابلة.

ووضع ابن بطّة باباً تحت عنوان: التحذير من استماع كلام قومٍ يريدون نقض الإسلام ومحو شرائعه فيكنّون عن ذلك بالطعن على فقهاء المسلمين وعيبهم بالاختلاف.

ص:٦٣

وكلامه في هذا الباب يؤسّس للإرهاب في مواجهة الآخر، ويقنّن للعداء بين المسلمين، والرفض المطلق للآخر، وهو ما يترجمه لنا الوهّابيّون المعاصرون من خلال ممارساتهم ومواقفهم.

والحنابلة يعتبرون على الدوام أنّهم الممثّل الشرعي للإسلام ولسنّة الرسول (ص) ، وعلى هذا الأساس اعتبروا المخالفين لهم أعداء للإسلام يريدون نقضه ومحو شرائعه.

والمساس بفقهاء الحنابلة أو عيبهم والطعن فيهم يُعدّ طعناً في الإسلام في مفهوم ابن بطّة.

وإجابة على تساؤل حول اختلاف أهل الفرقة الناجية (الحنابلة أهل الحديث) وتباين مذاهبها واختلاف فقهائها، وأنّ المعتزلة والرافضة وأهل الأهواء يعيبونهم بهذا الاختلاف، ويقولون الحق واحد، فكيف يكون في وجهين مختلفين؟

قال ابن بطّة: أمّا ما تحكيه عن أهل البدع ممّا يعيبون به أهل التوحيد والإثبات (الحنابلة) من الاختلاف فإنّي قد تدبّرت كلامهم في هذا المعنى، فإذا هم ليس الاختلاف يعيبون ولا له يقصدون، وإنّما هم قوم علموا أنّ أهل الملّة وأهل الذمّة والملوك والسوقة والخاصّة والعامّة، وأهل الدنيا كافّة إلى الفقهاء يرجعون، ولأمرهم يطيعون، وبحكمهم يقضون، في كلّ ما أشكل عليهم، وفي كلّ ما يتنازعون فيه. وكلّ ذلك فيه غيظ لأهل الأهواء واضمحلال للبدع، فهم يوهون أمر الفقهاء، ويضعفون أُصولهم، ويطعنون عليهم بالاختلاف لتخرج الرعية عن طاعتهم والانقياد لأحكامهم فيفسد الدين.

أمّا أهل البدع فإنّهم يقولون على الله ما لا يعلمون. ويتّهمون أهل العدالة والأمانة في النقل. وهم أكثر الناس اختلافاً، وأشدّهم تنافياً وتبايناً. . فاختلافهم كاختلاف اليهود والنصارى.

وأمّا الرافضة فأشدّ الناس اختلافاً وتبايناً وتطاعناً، وكلّ طائفة تنتحل مذهباً وإماماً وتلعن مَن خالفها عليه وتكفّره.

ص:۶۴

ولولا ـ ما نؤثر من صيانة العلم الذى أعلى الله أمره، وشرّف قدره ونزّهه أن يخلط به نجاسات أهل الزيغ وقبيح أقوالهم ومذاهبهم. لذكرت من ذلك ما فيه عبرة للمعتبرين.

وروى عن طلحة بن مص-رف قال: لولا أنّى على طهارة لأخبرتكم بما تقوله الرافضة.

وهذه اللغة المتطرّفة ورثها ابن تيمية عن ابن بطّة فيما بعد، واستخدمها فى مواجهة خصومه من الشيعة وغيرهم، وتلقّفها منه الوهّابيّون ليشكّلوا بها أزمة فى واقع المسلمين اليوم.

وفى الختام نستعرض لبابين تحت عنوان: كفر تارك الصلاة ومانع الزكاة، وإباحة قتالهم وقتلهم، وذكر الذنوب التى تصير بصاحبها إلى كفر غير خارج عن الملّة.

وقد حشد ابن بطّة كعادته العديد من الروايات التى تقول بكفر تارك الصلاة والزكاة، والتى تكفّر على أساس ذنوب هى من صنع الروايات ولا أساس لها فى القرآن.

وفيما يتعلّق بالصلاة والزكاة جاء برواية تقول:

ما بين العبد والشرك أو الكفر ترك الصلاة.

وأُخرى تقول: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا: لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا منّى دماءهم.

وفيما يتعلّق بالذنوب المكفّرة جاء بالروايات التالية:

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

مَن أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه فقد كفر بما أُنزل على محمّد.

ثلاثٌ هنّ من الكفر بالله: النياحة، وشقّ الجيوب، والطعن فى النسب.

المراء فى القرآن كفر.

مَن قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما.

ص:۶۵

لا ترجعوا بعدی کفّاراً یضرب بعضکم رقاب بعض.

مَن أتی امرأةً فی دبرها فقد کفر.

کفر بالله عزّ وجلّ ادّعاء نسب لا یعرف، وکفر بالله تعالی تبرؤ من نسب وإن دق.

مَن رغب عن أبیه فقد کفر.

وهذه الروایات جمیعها منسوبة للرسول، والروایتین الأخیرتین نُسبتا إلی أبی بکر وعمر مع نسبتهما للرسول (ص) .

وجاء ابن بطّة بروایةٍ منسوبةٍ لأبی هریرة، تقول: إتیان أدبار النساء والرجال کفر.

إلاّ أنّ ما یمکن قوله حول الروایات التی تتعلّق بالـذنوب المکفّرة أنّها تنطبق بدقّةٍ شدیدةٍ علی: الحنابلة القدامی، وابن تیمیة، وابن عبد الوهاب وأتباعه من حنابلة العصر.

ص:66

ص:۶۷

اللالكائى المُخالِفون لا حُرْمةَ لهم

اشارة

ومن بين المنشورات الوهّابيّة التى قام الوهّابيّون بنش-رها: منشور تحت عنوان: (شـرح اعتقاد أهل السـنّة والجماعة) من الكتاب والسنّة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم.

قال المحقّق الوهّابى فى مقدّمته: نشر هذا الكتاب وأمثاله من الكتب التى تعتبر مرجعاً لعقيدة أهل السنّة والجماعة ممّا ينبغى أن يهتم به طلبـة العلم، فإنّ العالم الإسـلامى قد ابتُلى بكتب علم الكلام التى قامت على مناهج الأُمم الوثنية قبل الإسـلام، والتى لا تتفق مع مناهج الإسلام، وللأسف نجد أنّ علماء الكلام تركوا ما جاء من عند الله عزّ وجلّ وولّوا وجوههم جهة العلوم البشرية الجاهلية التى كانت قبل الإسلام.

وكما هو نهـج الحنابلـة والوهّابيّين، هاجم المحقّق الفلاسـفة والمعتزلـة والأشاعرة والماتريدية، وركّز على الأشاعرة والماتريدية؛ لكون معتقـداتهم لاـ تزال باقيـة ومنتش-رة بين المسـلمين وتـدرّس فى أكثر البلـدان الإسـلامية، ممّـا يـدعو إلى نش-ر الكتب السـليمة التى تصحّح الانحراف وتقوّمه، وتُعيد الأُمّة إلى كتاب ربِّها وسنّة نبيّها، ونبذ تلك

ص:۶۸

المناهج الجاهلیة التی لا تجتمع مع مناهج النبوّة والتی تشتمل علی مفاسد عظیمة تخلخل الدین وتفقد الثقة به حسبما ذکر.

وحدّد المحقّق منهج أهل السنّة فیما یلی:

– اتّباع کتاب الله وسنّة رسوله (ص) فی کلّ قضیّةٍ من قضایا العقیدة، وعدم ردّ شیءٍ منها أو تأویله.

– الالتزام بما کان علیه أصحاب رسول الله.

– عدم مجادلة أهل البِدَع، أو مجالستهم، أو سماع کلامهم، أو عرض شبههم.

– عدم الخوض فی الأُمور الاعتقادیة ممّا لا مجال فیه للعقل البش–ری من الأُمور الغیبیّة.

– الحرص علی جماعة المسلمین ووحدة کلمتهم.

وقال معلِّقاً: ولم یحدث الانحراف فی الأُمّة إلّا عندما انحرفت عن هذا المنهج، وأعرضت عن وحی الله إلی مناهج بشریة بعضها من مخلّفات الفلسفة الیونانیة الوثنیة، وبعضها من نتاج العقول المنحرفة الجاهلة بدین الله، فتفرّقت الأُمّة إلی طوائف ومذاهب لکلٍّ منها منهجه وطریقته وإمامه وأتباعه.

وقال: یتضمّن هذا الکتاب الذی أقوم بتحقیقه بیان عقیدة أهل السنّة والجماعة، والردّ علی المخالفین لها الذین أحدثوا فی دین الله عقائد مبتدعة تخالف العقیدة التی جاء بها رسول الله (ص) ، وعاش علیها الصدر الأوّل من هذه الأُمّة.

وعدّ المحقّق الأسباب التی أدّت إلی ظهور البِدَع بین المسلمین فیما یلی:

– الغلو ویمثّله فی تصوّره الخوارج والشیعة.

– الردّ علی البِدعة بمثلها أو أشدّ منها.

– المؤثِّرات الأجنبیة، وعدّها فیما یلی:

– ابن سبأ بالنسبة للشیعة.

– النصاری بالنسبة للقدریة.

ص:۶۹

- الفلاسفهٔ، والصابئهٔ، والیهود بالنسبهٔ للجهمیهٔ.

- تحکیم العقل فی القضایا الشرعیهٔ، أی: فی أُمور العقیدهٔ والروایات.

- تعریب کتب الفلسفهٔ.

ویقول عن اللالکـائی: لم تف کتب التاریـخ والتراجم بتاریـخ الحافظ اللالکائی، فلم تـذکر شـیئاً عن نشأته ولا أُسـرته، ولا بدایـهٔ طلبه للعلم، ولا رحلاته العلمیهٔ، ولا بدایهٔ تدریسه.

نصوص الکتاب

یقول اللالکائی فی مقـدّمته: هـذه الوصایا الموروثـهٔ المتبوعـهٔ، والآثار المحفوظـهٔ المنقولـهٔ، وطریق الحقّ المسـلوکهٔ، والدلائل اللایحهٔ المشـهورهٔ، والحجـج البـاهرهٔ المنصورهٔ، التی عملت علیهـا الصـحابهٔ والتابعون ومن بعـدهم، من خاصّـهٔ الناس وعامّتهم من المسـلمین، واعتقدوها حجّهً فیما بینهم وبین الله ربّ العالمین، ثمّ اقتدی بهم من الأئمّهٔ المهدیین، واقتفی آثارهم من المتبعین، واجتهد فی سلوک سبیل المتقین، وکان مع الذین اتّقوا والذین هم محسـنون، فمَن أخذ فی مثل هذه الحجّهٔ، وداوم بهذه الحجج علی منهاج الشـریعهٔ أمن فی دینه وتمسّک بالعروهٔ الوثقی، واتّقی بالجنّهٔ التی یتّقی بمثلها لیتحصّن بجملتها ویستعجل برکتها ویحمد عاقبتها.

ومَن أعرض عنهـا وابتغی الحق فی غیرهـا ممّـا یهواه أو یروم سواهـا ممّـا تعـدّاه، أخطـأ فی اختیار بغیته وأغواه وسـلکه سبیل الضـلالهٔ، وأرداه فی مهاوی الهلکهٔ فیما یعترض علی کتاب الله وسـنّهٔ رسوله (ص) بضـرب الأمثال ودفعهما بأنواع المحال، والحیدهٔ عنهما بالقیل والقال ممّا لم یُنزل الله به من سلطان، ولا عرفه أهل التأویل واللسان، ولاخطر علی قلب عاقلٍ بما یقتضیه من برهان، ولا انشرح له صدر موحِّدٍ عن فکرٍ أو عیان، فقد استحوذ علیه الشیطان، وأحاط به الخذلان، وأغواه بعصیان الرحمن، حتّی کابر نفسه بالزور والبهتان.

ص:۷۰

ويبدو من خلال هذا الكلام اللغة المتطرّفة التى يستخدمها الحنابلة على الدوام فى مواجهة خصومهم، تلك اللغة التى تحوى صوراً من التهديدات والإنذارات التى صيغت بصورة سجعيّة لتحريك مشاعر العامّة وضعاف العقول، وتحريضهم على المخالفين.

ويبدو – أيضاً – الغرور والتعصّب لما هو عليه وكأنّه ملك ناصية الحق واحتكر الدين عن بقيّة الخلق.

ولاشك أنّ النتيجة الطبيعية لهذه اللغة هى تأسيس التطرّف والإرهاب والعدوانية بين الأتباع، وهو ما تطبّع به الحنابلة من قبل، وما تطبّع به الوهّابيّون اليوم.

ومثل هذه اللغة لا صلة لها بالفقه، وهى تدلّ دلالةً واضحةً على افتقاد أدوات العلم والخُلُق لدى هؤلاء الحنابلة المتعصّبين، فمن شيم الفقهاء: التواضع، والاعتدال، والقناعة أنّ ما بين أيديهم ليس هو نهاية المقال، وإنّما هو خاضع للاحتمال والقيل والقال.

وليس هذا هو منطق الحنابلة الذين جرموا العقل وركنوا إلى الروايات والآثار.

وهذا يبدو بوضوح من خلال كلام اللالكائى عن نتائج تحكيم العقل فى أُمور الدين والشريعة حيث يقول عن الخصم: فهو دائب الفكر فى تدبير مملكة الله بعقله المغلوب وفهمه المقلوب: بتقبيح القبيح من حيث وهمه، أو بتحسين الحسن بظنّه، أو بانتساب الظلم والسفه من غير بصيرةٍ إليه، أو بتعديله تاه كما يخطر بباله، أو بتجويره أُخرى كما يوسوسه شيطانه، أو بتعجيزه عن خلق أفعال عباده، أو بأن يوجب حقوقاً لعبيده عليه قد ألزمه إيّاه بحكمه لجهله بعظيم قدره، وأنّه تعالى لا تلزمه الحقوق، بل له الحقوق اللازمة والفروض الواجبة على عبيده، وأنّه المتفضِّل عليهم بكرمه وإحسانه.

فهو راكضٌ ليله ونهاره فى الردّ على كتاب الله وسنّة رسوله (ص) والطعن عليهما، أو مخاصماً بالتأويلات البعيدة فيهما، أو مسلّطاً رأيه على مالا يوافق مذهبه بالشبهات المخترعة الركيكة؛ حتّى يتّفق الكتاب والسنّة على مذهبه وهيهات أن يتّفق.

ص:۷۱

وهـذا الكلام كما هو واضـح موجّه للمعتزلـة الـذين كانوا يشـكّلون جبهـةً قويـةً فى مواجهة الحنابلة بزمانهم، فمن ثمّ ركّزوا عليهم فى كتبهم ومقالاتهم موجِّهين نحوهم شتّى الحراب والسهام، وشتّى صور الشتم والسب واللعن والتشويه، كما فعلوا مع الشيعة والجهمية.

وهذا كلّه يدلّ على افتقادهم أدوات العلم، ولغة الحوار والخُلق فى مواجهة الآخر.

وقـد واصـل المؤلِّف حملته على المعتزلـة باتّهـامهم بالجهل بالكتاب والسـنّة، وأنّهم لم يتـديّنوا بمعرفـة آيـةٍ من كتاب الله فى تلاوةٍ أو دراية، ولم يتفكّروا فى معنى آيةٍ ففس-ّروها أو تأوّلوها على معنى اتّباع مَن سلف من صالح علماء الأُمّة إلّا على ما أحدثوا من آرائهم الحديثـة، ولا اغبرّت أقـدامهم فى طلب سُـنّة، أوعرفوا من شـرائع الإسـلام مسألة فيعدّ رأى هؤلاء حكمة وعلماً وحججاً وبراهين، ويعدّ كتاب الله وسنّة رسوله حشواً أو تقليداً، وحملتها جهالاً وبلهاء ذلك ظلماً وعدواناً وتحكّماً وطغياناً.

وكمـا عـادة الحنابلـة فى الخلط بين الأُمور، فقـد خلط اللالكائى بين كتاب الله والسـنّة معتبراً أنّ المعتزلـة يعـدّونها حشواً، بينما هم فى الحقيقة يقصدون الروايات التى غرق فيها الحنابلة ولا يقصدون القرآن.

وكلمة حشوية إنّما أطلقها المعتزلة على الحنابلة وأهل الحديث بسـبب انغماسـهم فى الروايات والآثار وإهمال العقل؛ فمذهبهم محشـو بالروايات وأقوال الرجال ولا مجال فيه للاجتهاد والرأى.

ويبدو الخلط واضحاً أيضاً فى قوله عن المعتزلة: ثمّ ما قذفوا به المسلمين من التقليد والحشو، فهو فى مقالته الأُولى ربط رواياته وآثاره بالكتاب، وفى مقالته الثانية ربط مذهبه بالمسلمين، وكأنّه بهذا يريد التأكيد على أنّ الحنابلة يمثّلون المسلمين دون غيرهم.

وهذا الخلط إنّما هو من أوهام الحنابلة، التى عاشوا فيها ويعيش فيها الوهّابيون اليوم، بتصوّرهم أنّهم أهل الحق والفرقة الناجية من النار.

ص:۷۲

ولاشکّ أنّ فرقةً تتبنّى هـذا التصوّر لابـدّ وأن تکون متعصّـبة ومتطرّفـة فی مواجهة المخالفین لها، لا تعترف بهم ولا تتحاور معهم ولا تنصفهم.

ویبدو لنا أنّ الحنابلة انزعجوا انزعاجاً شدیداً بظهور الاتّجاه العقلی بین المسلمین؛ فشنّوا علیه حرباً شعواء وحرّضوا علیه العامّة والحکّام.

والسؤال هنا هو: لماذا ینزعج الحنابلة من الاتّجاه العقلی ویشنّون علیه هذه الحرب؟

والجواب أنّه من الطبیعی علی مذهب یتعبّد بالروایات وأقوال الرجال أن یعادی العقل؛ لکونه یشکّل خطراً علی روایاتهم وآثارهم التی یربطونها بالکتاب مخافة أن تنهار وتزول.

من هنا رفع الحنابلة فی مواجهة التیّار العقلی وأهل الرأی العدید من الشعارات، منها:

شعار الفرقة الناجیة.

أهل الحدیث أولی الناس بالاتّباع.

التمسّک بالسلف.

ومن خلال الباب الأوّل من الکتاب الـذی حمل عنوان: سـیاق من رسم بالإمامـة فی السـنّة والـدعوة والهدایـة إلی طریق الاسـتقامة بعد رسول الله (ص) وثواب مَن حفظ السـنّة وأحیاها ودعا إلیها، والحث علی التمسّک بما روی فی الکتاب والسـنّة عن الصـحابة والتابعین ومَن بعدهم والخالفین لهم من علماء الأُمّة. یحاول اللالکائی التأکید علی لزوم الصحابة والتابعین وتابعی التابعین ذاکراً أسماءهم بدایةً من أبی بکر.

واسـتعرض العدیـد من الروایات والآثار فی النهی عن مناظرة أهل البـدع وجـدالهم، والمکالمـة معهم والاسـتماع إلی أقوالهم المحدثة وآرائهم الخبیثة، مؤکّداً فشل العقائد المبتدعة أمام عقیدة أهل السنّة والجماعة التی هی سبیل الحق حسب تعبیره.

نماذج من الروایات والآثار الواردة فی هذا الباب:

ص:۷۳

- مَن سنّ فی الإسلام سنّةً حسنةً کان له أجرها وأجر مَن عمل بها إلی یوم القیامة، ومَن سَنّ فی الإسلام سنّةً سیّئةً کان علیه وِزْرها ووِزْر مَن عمل بها إلی یوم القیامة.

- مَن أحیا سنّتی فقد أحبّنی ومَن أحبّنی کان معی فی الجنّة.

- النظر إلی الرجل من أهل السنّة یدعو إلی السنّة عبادة.

- الاعتصام بالسنّة نجاة.

- إذا کان الرجل صاحب سنّة وجماعة فلا تسأل عن أیّ حالٍ کان فیه.

- إنّ الذین یتمنّون موت أهل السنّة یریدون أن یطفئوا نور الله بأبصارهم.

- امتحن أهل الموصل بمعافی بن عمران فإن أحبّوه فهم من أهل السنّة، وإن أبغضوه فهم أهل بِدعة.

وروایة: من أحیا سنّتی فقد أحبّنی، ومَن أحبّنی کان معی فی الجنّة، قال فیها المحقّق: سنده ضعیف، فیه راویان مجهولان.

ولم یکتف اللالکائی بالاستشهاد بالروایات والآثار، بل اتّجه إلی القرآن لیستنجد ببعض نصوصه التی أوّلها البعض لصالح أهل السنّة.

ومن هذه النصوص:

قوله تعالی: ثُمَّ جَعَلْناکَ عَلی شَرِیعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها (الجاثیة: ۱۸) ، قال: علی السنّة.

وقوله تعالی: إِنْ کُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِی (آل عمران: ۳۱) ، قال: اتّباع سنّة رسول‌الله.

وقوله تعالی: وَ إِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدی (طه: ۸۲) ، قال: لزوم السنّة والجماعة.

وقوله تعالی: یَوْمَ تَبْیَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ (آل عمران: ۱۰۶) ، قال: فأمّا الذین ابیضت وجوههم فأهل السنّة، وأمّا الذین اسودّت وجوههم فأهل البِدَع والضلالة.

وفی الوقت الذی یقبل فیه اللالکائی بتأویل نصوص القرآن لصالح مذهبه، یرفض رفضاً قاطعاً تأویلات الآخرین لنصوصه بما یخدم مذهبهم، وهی سنّة الحنابلة

ص:۷۴

الدائمة فی مواجهة خصومهم، فکما احتکروا الروایات احتکروا القرآن أیضاً.

حتّی أنّ واحداً من کبار الحنابلة ألّف کتاباً أسماه (إبطال التأویلات) أنکره علیه الفقهاء فی زمانه؛ لما تضمّنه من روایات وآثار واهیة وموضوعة تقود إلی التجسیم فی صفات الله تعالی، وتصدّی له شیخ الحنابلة ورئیسهم فی بغداد أبو محمّد رزق الله الحنبلی الذی قال فیه: لقد شان المذهب شیناً قبیحاً لا یُغسل إلی یوم القیامة، وقد أتی فی کتابه هذا بکلّ عجیبة، وترتیب أبوابه یدلّ علی التجسیم المحض، کما ذکر.[(۱)]

ومن بین الروایات التی جاء بها اللالکائی فی هذا الباب روایة تقول: إنّی تارک فیکم ثقلین: أوّلهما کتاب الله عزّ وجلّ فیه الهدی والنور، مَن استمسک به وأخذ به کان علی الهدی، ومَن ترکه وأخطأه کان علی الضلالة، وأهل بیتی، أذکّرکم الله فی أهل بیتی، ثلاث مرّات.

والاستدلال بهذه الروایة هو حجّة علی الحنابلة وأهل السنّة، وهو من جانبٍ آخر یشیر إلی أنّ الحنابلة لایستخدمون عقولهم حتّی فی الروایات التی تقوم علیها عقائدهم.

والحنابلة وأهل السنّة یقولون بأنّ الرسول (ص) مات ولم یجمع القرآن وترکه متفرّقاً فی صدور الناس، وقام بجمعه أبوبکر وعمر، بینما هذه الروایة تؤکّد أنّ الرسول (ص) أوصی بکتاب الله وهی إشارة إلی کونه کان مجموعاً، ووصیّته بأهل بیته إشارة أُخری إلی کونه کان مبیّناً، وهذا البیان لدی أهل البیت، وهو المقصود من قوله فیه الهدی والنور.

والهدی والنور لابدّ له من مرشد، فلا یعقل أن یکون الکتاب مجموعاً ومتروکاً دون جهة تهدی الناس إلی نوره.

۱- هو القاضی أبو یعلی الحنبلی المتوفّی عام ۴۵۸ه؛ انظر الکامل فی التاریخ، ج۹، ص ۴۶۰، حوادث عام ۴۲۹، ج ۱۰، ص۵۲، عام ۴۵۹ه، وسِیَر أعلام النبلاء، ج ۱۸، ص۸۹، ترجمة أبی یعلی؛ وانظر التحذیرات من کتاب إبطال التأویلات للأزهری.

ص:٧٥

والطريف أنّ اللالكائى جاء بروايـة عن أبى هريرة، تقول: إنّى قد خلّفت فيكم ما لن تضـلّوا بعدهما، إن ما أخذتم بهما أو عملتم بهما: كتاب الله، وسنّتى؛ لن يتفرقا حتّى يردا علىّ الحوض.

قال المحقّق معلّقاً على هذه الرواية: سـنده ضـعيف، فيه صالح بن موسى الطلحى، قال فيه الذهبى: ضعيف، وقال يحيى: ليس بشىء ولا يكتب حديثه، وقال البخارى: منكر الحديث، وقال النسائى: متروك.

هذا مع الإشارة إلى أنّ هناك روايات أُخرى فى كتب السنن بنفس النص ولكن فى أهل البيت، أى: ربطت الكتاب بأهل البيت وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

وروى اللالكائى عن جابر قال: خطّ لنا رسول الله (ص) خطّاً، فقال: هـذا سبيل، ثمّ خطّ خطوطاً، فقال: هذه سُبُل الشيطان فما منها من سبيـلٍ إلاّ عليه شـيطان يـدعو إليه الناس، فإنّما أنا بشـر يوشك أن يأتينى رسول ربّى فأُجيبه، وأنا تارك فيكم الثقلين: أوّلهما كتاب الله عزّ وجلّ: فيه الهـدى والنور، مَن اسـتمسك به وأخـذ به كان على الهدى، ومَن تركه وأخطأه كان على الضـلالة، وأهل بيتى، أذكّركم الله عزّ وجلّ فى أهل بيتى، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا.

قال المحقّق: سنده ضعيف، فيه مجالد بن سعيد: ضعيف، والحديث رواه: أحمد، والمروزى، وابن ماجة، وابن أبى عاصم.

قال الألبانى: حـديث صـحيح، إسـناده ضـعيف، رجاله ثقات غير مجالـد وهو ابن سـعيد، لكنّه قد توبع فى الطريق الثالثة فالحديث بهما صحيح.

وتجدر الإشارة هنا إلى معظم الروايات التى اعتمد عليها اللالكائى كأسانيد لمعتقدات أهل السـنّة وكأسـلحة فى مواجهة الخصوم، هى روايات ضعيفة، وهو ما شهد به المحقّق.

ومن هذه الروايات:

تفترق أُمّتى على ثلاث وسبعين ملّة كلّها فى النار إلاّ واحدة.

ص:۷۶

- فقالوا: يارسول الله ما هى؟

قال: ما أنا عليه وأصحابى، لا تجتمع أُمّتى على ضلالة، إنّ الله أمرنى بالجماعة، وأنّه مَن خرج من الجماعة شبراً فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه.

- ما ضلّ قومٌ من بعد هدى إلاّ أوتوا الجدل.

- مراء فى القرآن كفر.

- لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم.

- إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا.

- القدرية مجوس هذه الأُمّة فإذا مرضوا فلا تعودوهم، وإذا ماتوا فلا تشهدوهم.

- صنفان من أُمّتى ليس لهما فى الإسلام سهم: المرجئة والقدرية.

- صنفان من أُمّتى لا يردان علىَّ الحوض: القدرية والمرجئة.

- لُعنت القدرية على لسان سبعين نبيّاً منهم نبيّنا.

وإذا كان هذا هو حال الروايات المنسوبة للرسول (ص) فكيف يكون حال الآثار المنسوبة للرجال؟

وجاء اللالكائى بروايةٍ تقول: لا ألفين أحدكم متّكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى ممّا أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما وجدنا فى كتاب الله اتّبعناه.

وعلّق المحقّق على هذه الرواية بقوله: وفى هذا الحديث دليل على أنّه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على القرآن، وما ورد من الآثار فى عرض الأحاديث على القرآن لم تثبت.

ونقل قول الخطابى: وأمّا ما رواه بعضهم: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فخذوه، وإن خالفه فدعوه، فإنّه حديثٌ باطلٌ لا أصل له.

ونقل قول يحيى بن معين: وضعته الزنادقة.

وبالطبع فإنّ قبول مثل هذه الرواية من قِبَل الحنابلة يعنى هدم مذهبهم وضياع

ص:۷۷

معتقداتهم وفقدانهم أهمّ الأسلحة التی یشهرونها فی وجه خصومهم.

ومثل هذه الروایة تضع قاعدةً هامّةً لضبط ما یُنسب للرسول (ص) من أقوالٍ وأفعالٍ تصطدم بالقرآن والعقل، وهو ما التزم به الشیعة فی روایاتهم.

ویظهر لنا اعتماد اللالکائی کثیراً علی الآثار التی تُعدّ بمثابة سهام وحراب موجّهة لخصوم الحنابلة من التیارات والمذاهب الأُخری.

ومن هذه الآثار:

- إنّ الصغیر إذا أخذ بقول رسول الله والصحابة والتابعین فهو کبیر، والشیخ الکبیر إن أخذ بقول أبی حنیفة وترک السنّة فهو صغیر.

- لیس طریق أقصد إلی الجنّة من طریق مَن سلک الآثار.

- اقتصاد فی السنّة خیر من الاجتهاد فی بِدْعة.

- البِدْعة أحبّ إلی إبلیس من المعصیة.

- مَن طلب الدین بالکلام تزندق.

- لیس لأهل البِدْعة غیبة.

- أهل الأهواء لا حرمة لهم.

فتاوی إرهابیّة

وفی الجزء الثانی من الکتاب حشد المؤلِّف العدید من الروایات التی توجب معرفة الله تعالی وصفاته بالسمع لا بالعقل، وما ورد فی کتاب الله من الآیات ممّا فسّر أو دلّ علی أنّ القرآن کلام الله غیر مخلوق، وما رُوی من إجماع الصحابة علی أنّ القرآن کلام‌الله غیر مخلوق، وذکر إجماع التابعین وتابعی التابعین علی ذلک.

ثمّ ذکر مجموعةً من الفتاوی فیمن قال: القرآن مخلوق:

قال مالک: بکفره وقتله، وفی روایة یُستتاب فإن تاب وإلاّ ضُربت عنقه.

وقال سفیان بن عیینة: جیئونی بشاهدین حتّی آمر الوالی بضرب عنقه.

وقال عبد الرحمن بن مهدی: ما کنت أعرض أحداً من أهل الأهواء علی السیف

ص:۷۸

إلّا الجهمية.

وقال الربالى: هم واللهِ كفّار.

وقال وكيع: يُستتاب فإن تاب وإلّا ضُربت عنقه.

وقال الخريبى: مَن قال القرآن مخلوق فعلى الإمام – الحاكم – أن يستتبه فإن تاب وإلّا ضُربت عنقه.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: إنّ هذا كفر فإن رجع وإلّا ضُربت عنقه.

والبعض قال: مَن شكّ فى كفره فهو كافر.

وقام اللالكائى بعد ذلك بحشد العديد من الأسماء ممّن قال: إنّه لا يرث ولا يورث، ومَن قال: إنّ امرأته طالق، ومن قال: لا ينكحون ولا يصلّى خلفهم ولا تعاد مرضاهم ولا تُشهد جنائزهم، وأنّ موالاة الإسلام انقطعت بينهم وبين المسلمين.

ثمّ حشد العديد من الأسماء ممّن قال بتكفير مَن وقف فى القرآن شاكّاً فيه: أنّه غير مخلوق، وفى تكفير مَن قال لفظى بالقرآن مخلوق.

والطريف أنّه وضع باباً فيمَن رأى الرسول (ص) فى المنام وسأله عن القرآن فأجاب بأنّه غير مخلوق، وما روى من الرؤيا السوء لمَن قال بخلق القرآن فى الدنيا، وما أعدّ له فى الآخرة أكثر.

وما روى عن النبى والصحابة والتابعين فى مجانبة أهل القدر وسائر أهل الأهواء.

وما روى من المأثور عن الصحابة ونقل عن أئمّة المسلمين من إقامة حدود الله فى القدرية من القتل والنكال والصلب.

وما روى فى منع الصلاة خلف القدرية والتزويج إليهم وأكل ذبائحهم وردّ شبهاتهم.

وما روى فى تضليل المرجئة وهجرانهم وترك السلام عليهم والصلاة خلفهم والاجتماع إليهم.

وما روى من رؤية النبى (ص) فى النوم وما حفظ من قوله فى المرجئة.

ص:۷۹

وما روى عن النبى (ص) فى طاعة الأئمّة والأُمراء ومنع الخروج عليهم.

وما روى عن النبى (ص) من الوعيد على مَن لعن الصحابة، أو تنقّصهم، أو نال منهم وتتبع عوراتهم.

وما روى من دعاء السلف الصالح على اللعّانين، وما أظهر الله من تعجيل العقوبة والنكال لهم فى الدنيا، وما أعدّ الله لهم فى الآخرة أكثر.

وما روى عن السلف فى أجناس العقوبات والحدود التى أوجبوها وأقاموها على مَن سبّ الصحابة.

ومثل هذه الروايات والآثاركانت تُعدّ مبرّرات شرعيّة للبطش بالخصوم والمخالفين فى منظور الحنابلة القدامى، وهى تؤدّى نفس الدور اليوم على يد حنابلة العصر من الوهّابيّين.

ص:۸۰

ص:۸۱

ابن تيمية إمام المتطرّفين. . .

اشارة

ورث ابن تيمية نهج الحنابلة ومعتقداتهم، وعمل على بعثها من جديد، بعد أن طواها الزمان لقرون طويلة منذ سقوط الدولة العبّاسية وتحوّل الحنابلة إلى مذهب من أقلّ المذاهب الإسلامية شأناً.

ورث فكر ابن حنبل والبربهارى وابن بطّة ولالكائى واصطدم به مع واقعه وفقهاء عصره.

إلّا أنّ التوقيت الذى برز فيه ابن تيمية بأفكار ومعتقدات الحنابلة لم يكن مناسباً له وللحنابلة، وكانت النتيجة هى الثورة عليه من قِبَل فقهاء عص-ره ومن بينهم فقهاء الحنابلة.

برز ابن تيمية فى عصر سلاطين المماليك العبيد، ذلك العص-ر الذى سادته المظالم وصور الاستبداد والفساد والانتهاكات والتلاعب بالمذاهب والفِرَق من قِبَل الحكّام.

ولم يعلن ابن تيمية الحرب على المماليك، بل أعلن الحرب على المسلمين المخالفين لفكره ومعتقداته، والذين أطلق عليهم اسم أهل البدع وأصحاب العقائد الفاسدة، وهو بهذا السلوك إنّما يتقمّص شخصية الحنابلة ويتبنّى مواقفهم التى تركّزت على

ص:۸۲

المسلمين، وأُشهرت الحراب فی وجوههم وتغاضت عن الحكّام ومنكراتهم وجرائمهم.

والحنابلة لم يكن يعنيهم أمر المسلمين ولا مصالحهم، وإنّما كان يعنيهم رواياتهم وآثارهم التی تمثّل الدين فی تصوّرهم القاصر والفرقة الناجية من النار، وكلّ مَن يحاول المساس بهذه الروايات والآثار أو يقلّل من شأنها هو من الضآلين الهالكين.

وأبصار الحنابلة كانت متّجهة دائماً نحو الآخرة، ولم يكن يعنيهم من أمر الدنيا شیء، فمن ثمّ تسلّحوا بعقل الماضی وغابوا عن الواقع وعن قضاياه ومستجدّاته التی اعتبروها من عمل الشيطان بمثابة بِدع، وتضل الناس عن سبيل الله.

وقد حمل ابن تيمية هذا العقل وتصدّی به لخصومه من المسلمين ليخلق لنا صوراً جديدة من فتن الحنابلة لم يحتملها الواقع آنذاك.

الفقهاء وابن تيمية

وكان ردّ الفعل من قِبل الفقهاء هو مايلی:

منهم مَن طالب بقطع لسانه.

ومنهم مَن طالب بنفيه.

ومنهم مَن طالب بحبسه.

كان ابن تيمية طويل اللسان وكثير السبّ لمخالفيه، ولم يسلم من لسانه أحد، فقد سبّ: الغزالی، والأشاعرة، وسيبويه، وابن عربی، والرازی الذی كان كثير الحطّ عليه، وكان لسانه مسلّطاً علی الشيعة أكثر من غيرهم.

فی ربيع الأوّل من عام ۶۹۸ه- ثار عليه الفقهاء بسبب فتوی له سمّيت بالفتوی الحموية وعقدت له جلسات، وأعلنت عليه الحرب من قِبَل الجميع.

وطلب إلی مصر أيّام ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وعقد له مجلس فی مقالة قال بها، فطال الأمر وحكموا بحبسه بالإسكندرية، ثمّ إنّ الملك الناصر لمّا جاء من الكرك أخرجه.

ص:۸۳

ولم یزل العوام بمصر یعظّمونه إلی أن أخذ فی القول علی السیّدة نفیسة فأعرضوا عنه، وثار علیه فقهاء مصر وأفتوا بقتله إلّا أنّ السلطان عارضهم ولم یوافقهم.(۱)

وحضر إلی دمشق فی أیّام القاضی جلال الدین فتکلّموا معه فی مسألة الزیارة، أی: قوله بتحریم زیارة قبر الرسول (ص) وکتبوا فی ذلک إلی مصر، فورد مرسوم السلطان باعتقاله فی القلعة، فلم یزل بها إلی أن مات سنة ثمّان وعشرین وسبعمائة.(۲)

وسوف یأتی تفصیل أقواله ومواقفه.

والسؤال الذی یفرض نفسه هنا هو:

لماذا اختار الوهّابیّون ابن تیمیة، ورکّزوا علیه واعتبروه شیخ الإسلام من دون بقیّة فقهاء أهل السنّة؟

والجواب هو مایلی:

أوّلاً: إنّ شخصیّة ابن تیمیة هی صورة من شخصیّة ابن حنبل.

ثانیاً: إنّ محمّد بن عبد الوهاب لم یکن صاحب فقه أو مؤهّلات دعویة أو مقوّمات قیادیة تمنحه القدرة علی إبراز دعوته معتمداً علی ذاته.

ثالثاً: إنّ الوهّابیّین هم امتداد للحنابلة، ضعاف العقول، المتعصّبین الباحثین لهم عن سند ورکنٍ یرکنون إلیه فی وسط واقع یعارضهم وینبذهم.

رابعاً: إنّ الوهّابیّین یتمیّزون بغلظة القلوب والعدوانیة وأصحاب طبیعة بدویة.

لأجل هذه الأسباب وغیرها مال الوهّابیّون لابن تیمیة واعتبروه مرجعهم وسندهم فی مواجهة مخالفیهم من المسلمین.

وشکّل ابن تیمیة بمواقفه المتطرّفة وفتاواه الشاذّة نموذجاً جاذباً لمحمّد بن عبدالوهاب، صاحب المیول العدوانیة الباحث عن دور وسند یرکن إلیه فی دعواه

۱- السیّدة نفیسة جدّها الإمام الحسن ع ، وکان الشافعی من مریدیها، ولمّا توفّی فی عام ۲۰۴ ه- صلّت علیه، توفّیت فی عام ۲۰۹ ه-.

۲- انظر الدرر الکامنة فی أعیان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانی ترجمة ابن تیمیة ج ۱، ص ۱۴۴.

ص:۸۴

المخالفة لجمهور المسلمين المتصادمة مع الواقع، ووجد فيه ضالّته المنشودة، ووجد فيه أيضاً الوعاء الذى يغرف منه بلا حساب، فليس هو إلاّ مجرّد ناقل ومقلّد لا بن تيمية، كما هو حال الحنابلة.

من هنا قام ابن عبد الوهاب ببعث تراث ابن تيمية الذى كان قد طواه النسيان وتحصّن به ورفع من قدره وضخّمه، وتناول الوهّابيّون منه هذا التراث وتعصّبوا له وقدّسوه.

ولم يكن لتراث ابن تيمية أن يبعث على يد أصحاب العقول وأهل الفقه، وإنّما قُدّر له أن يبعث على يد أنصار التقليد وأعداء العقل، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أنّ هذا التراث شاذٌّ ولا يتّفق مع روح الإسلام.

ضدّ الفقهاء

يُروى أنّ ابن تيمية تكلّم فى حقّ مشايخ الصوفية - أى: سبّهم وهاجمهم - وقال: لا يُستغاث بالنبى (ص) فقُبض عليه وحُبس، ثمّ نقل أنّ جماعة يتردّدون عليه فى السجن وأنّه يتكلّم فى نحو ما تقدّم فأمر بنقله من محبسه.(۱)

يقول عنه الذهبى، وهو أحد تلاميذه، واصفاً شخصيّته: تعتريه حدّة فى البحث وشظف للخصم تزرع له عداوة فى النفوس، أى: أنّه حادٌّ فى حواراته، عصبىّ، يظن أنّ الحقّ معه، ويسخر من الخصم ولا يحترمه، والناس فى نظره جُهّال.(۲)

وأطلق ابن تيمية مدافعه على سيبويه العالم النحوى عندما ذكر أمامه على لسان ابن حبّان صاحبه ممّا أدّى إلى مقاطعة ابن حبّان له وصيّر ذلك ذنباً لا يُغفر وأصبح لا يذكره بخير.(۳)

۱- انظر الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى ترجمة ابن تيمية ج ۱، ص ۱۴۴؛ وانظر دفع شبه من شبّه وتمرّد على الإمام أحمد، للحصنى الدمشقى، ت عام ۸۳۹ ه-.

۲- انظر تاريخ الإسلام، ترجمة ابن تيمية.

۳- الدرر الكامنة.

ص:۸۵

وكـان ابن تيميـة قـد قـال فى سـيبويه: ما كان سـيبويه نبى النحو ولا كان معصوماً، بل أخطأ فى (الكتاب) فى ثمانين موضـعاً ما تفهمها أنت، يقصد ابن حبان.(۱)

وقد نسب إلى أصـحاب ابن تيمية الحنابلة الغلو فيه – أى: الإيمان الشديد المتطرّف به – واقتضى له ذلك العجب بنفسه حتّى زها على أبناء جنسه واستشـعر أنّه مجتهـد، فصار يرد على صـغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتّى انتهى إلى عمر بن الخطاب فخطأه فى شيء فبلغ ذلك الشيخ إبراهيم فأنكر عليه.(۲)

وكان كثير الوقوع فى الأشاعرة حتّى أنّه سبّ أبا حامد الغزالى؛ فقام عليه قوم وكادوا يقتلونه، وكانت له وقائع شهيرة.

وإذا حوقق – نوقش – فأُفحم وقام عليه الدليل وألزم يقول: لم أر هذا، وإنّما أردت كذا، فيذكر احتمالاً بعيداً.

ويُروى أنّه أفتى يوماً فى مسألةٍ وأفتى فقيه آخر بخلافه، فردّ عليه ابن تيمية قائلاً: مَن قال هذا فهو كالحمار الذى فى داره.(۳)

ولم يسـلم أحـد ممّن هو خارج دائرة ابن تيميـة وتلاميـذه وأتباعه منه، حتّى فقهاء الحنابلة الآخرين أُوذوا منه وخشوا على المذهب من أفكاره وفتاويه.

ويروى أنّ كثيراً من العلماء والفقهاء والمحدِّثين والصالحين كرهوا له التفرّد ببعض المسائل التى أنكرها السلف على مَن شذّ بها، حتّى أنّ بعض قضاة العدل الحنابلة منعه من الإفتاء.(۴)

وعندما قال ابن تيمية بإنكار المجاز نُسب إليه التجسيم حيث اعتبرت جميع صفات

۱– الدرر الكامنة؛ «والكتاب» مصنّف ضخم فى النحو والصرف.

۲– المرجع السابق.

۳– المرجع السابق.

۴– انظر طبقات الحنابلة ج۲.

ص:۸۶

الله الواردة فی القرآن والروايات حقيقهٔ، وأنّ الله سبحانه له يد وعين ورجل ويصعد ويهبط وما شابه ذلك.(۱)

وقام الفقهاء على ابن تيميهٔ وعقدوا له مجلس محاكمهٔ ومُنع من الكلام، وحدثت فتنهٔ بين أتباعه وبين الشافعيهٔ فی دمشق ولحق الأذی بأتباع ابن تيميهٔ ممّا اضطرّه إلى الرجوع عن مقالته، ثمّ ارتدّ مرّهً أُخرى فصدر مرسوم أنّ من يتكلّم فی العقائد فُعل به كذا وكذا، ونُودی فی دمشق مَن اعتقد عقيدهٔ ابن تيميهٔ حلّ دمه وماله، ثمّ جمع الحنابلهٔ فی الصالحيهٔ وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنّهم على معتقد الإمام الشافعی. (۲)

وأطلق ابن تيميهٔ مدافعه نحو ابن عربی فكفّره ونسب الإلحاد إليه وإلى أصحابه. ونسب الشرك إلى مَن توسّل بالنبی واستغاث به، وأنكر زيارهٔ قبر النبی (ص)(۳)

قال مهاجماً الأشاعرهٔ والجوينی الذی لُقّب بإمام الحرمين: وهذه الطريقهٔ التی سلكها مَن وافق المعتزلهٔ فی ذلك كصاحب الإرشاد - الجوينی - وأتباعه هؤلاء يردّون دلالهٔ الكتاب والسنّهٔ، فهذه طرقهم التی وافقوا فيها الجهميهٔ ونحوهم من المبتدعهٔ أسقطوا بها حرمهٔ الكتاب والرسول عندهم، وحرمهٔ الصحابهٔ والتابعين لهم بإحسان، حتّى يقولوا إنّهم لم يحقّقوا أُصول الدين كما حقّقناها.

ولهم من جنس هذا الكلام الذی يوافقون به الرافضهٔ ونحوهم من أهل البدع ويخالفون به الكتاب والسنّهٔ والإجماع. وإنّما نبّهنا على أصول دينهم وحقّقنا أقوالهم، وغايتهم أنّهم يدعون فی أصول الدين المخالفهٔ للكتاب والسنّهٔ والمعقول والكلام، وكلامهم فيه من التناقض والفساد ما ضارعوا به أهل الإلحاد، فهم من جنس الرافضهٔ لا عقل صريح، ولا نقل صريح، بل منتهى السفسطهٔ فی العقليات والقرمطهٔ فی

۱- انظر الفتوى الحمويهٔ الكبرى، والعقيدهٔ الواسطيهٔ، والرسالهٔ المدنيهٔ فی تحقيق المجاز والحقيقهٔ فی صفات الله تعالى، وانظر الدرر ودفع شبه مَن شبّه وتمرّد.

۲- انظر الدرر الكامنهٔ ودفع شبه مَن شبّه وتمرّد.

۳- الدرر الكامنهٔ.

ص:٨٧

السمعيات، وهذا منتهى كلّ مبتدع خالف شيئاً من الكتاب والسنّة حتّى فى المسائل العلمية والقضايا الفقهية.(١)

ونتيجة لهذا كلّه انقسم الفقهاء فى مواجهة ابن تيمية أربعة أقسام:

- منهم مَن نسبه إلى الكفر والزندقة.

ومنهم مَن نسبه إلى النفاق.

ومنهم مَن نسبه إلى السعى للإمامة.

وفوق هذا هناك مَن طالب بقتله.

وكان ابن تيمية قد عاش عصر المماليك البحرية، وحاز شهرةً بسبب مشاغباته فى الشام ومصر حتّى تمكّن من استمالة محمّد بن قلاوون إلى صفّه، كذلك الأمير سلار نائب السلطنة فى عصر بيبرس الجاشنكير الذى أطاح بابن قلاوون من الحكم.

ونظام حكم المماليك كان يعتمد على الفقهاء فى استمالة العامّة وتحقيق الأمن والاستقرار للحكم، فلم تكن هناك فى هذا العص-ر مؤسّسة دينية محدّدة مرتبطة بالحكم.

ولم يستطع ابن تيمية أن يأخذ مكانه بين كبار الفقهاء القريبين من السلطة إلّا أنّه تمكّن من كسب عطف بعض أُمراء المماليك الذين كان لهم دورهم البارز فى التخفيف عليه فى حبسه الذى تكرّر عدة مرّات.(٢)

وكان بيبرس الجاشنكير ضدّ ابن تيمية وله ميول صوفية. وحين أمر بحسبه كان (سلار) يهرِّب له الأقلام والقراطيس ويدخل عليه أصحابه، فكان ابن تيمية يكتب ويفتى ويراسل أُمّه ويوجّه أتباعه وهو داخل السجن، وحين حُبس بمص-ر كانوا ينقلونه إلى قلعة الإسكندرية صيفاً وقلعة القاهرة شتاءً.(٣)

١- انظر الدرر، وتاريخ الإسلام للذهبى، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد.

٢- المرجع السابق.

٣- المرجع السابق.

ص:۸۸

ولمّـا جـاء محمّـد بن قلاوون إلى السـلطة اسـتقبل ابن تيميـة بالأحضان وأطلق يـده فانطلق هو وأتباعه فى الأسواق يعتـدون على العامّة ويكسـرون الحانـات ويعتـدون على زوّار القبور ممّـا أقلق ابن قلاـوون فقرّر الحـدّ من نشاطه، فكتب ابن تيميـة له كتاباً يثبت فيه بطلان زيارات القبور وما يجرى فيها.(۱)

مقالته فى الفلاسفة والجهمية والمعتزلة

والمتأمّل فى تراث ابن تيميـة وأقواله يتبيّن له بوضوح أنّ هـذا التراث ينسـجم مع طبيعـة الوهّابيّين وميولهم العدوانيـة وضـعف عقولهم أيضاً، وأنّ هـذه الأقوال هى بمثابـة آثار تضم إلى آثار الحنابلـة السابقين، وتعفيهم من البحث والتنقيب وإعمال عقولهم، الأمر الذى لا يقدرون عليه ولا يملكونه.

وما يسـرّ على الوهّابيّين الأمر وجعلهم يتمسّكون بابن تيمية هو أنّه يتكلّم دائماً بلغة الإجماع، وعقيدة السلف، ونصب نفسه ناطقاً بلسان أهل السـنّة والجماعـة، فمن ثمّ تبـدو الأمور لـديه محسومـة ومقرّرة، ولا حـاجة للاجتهاد أو إعادة النظر فيها، وهو ما يسـرّ الوهّابيّون منه ويجعلهم يتعصّبون له؛ لكونه فى تصوّرهم ينطق بلسان الفرقة الناجية.

ويمكن لأىّ بـاحثٍ متأمّـلٍ فى تراث ابن تيميـة أن يكتشف أنّه لاـ يعبّر عن إجمـاع الأُمّـة ولا ينطق بلسانها، وهو ما كشـفه العديـد من الفقهاء المعاصرين له، وكذلك العديد من المعاصرين.(۲)

يقول ابن تيمية: ومن شأن المصنّفين فى العقائد المختصرة على مذهب أهل السنّة

۱- هو كتاب الجواب الباهر فى زوّار المقابر، وفى مقدّمته أثنى على ابن قلاوون ومدحه.

۲- انظر الـدرّة المضـيئة فى الردّ على ابن تيميـة، والمواعظ والاعتبار ببقاء الجنّة والنار، للسـبكى؛ والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيتمى؛ والردود الأُخرى عليه فى الـدرر الكامنـة ودفع شـبه من شـبّه وتمرّد؛ وانظر ابن تيميـة ليس سـلفياً لمنصور عويس، ط القاهرة، وانظر لنا أكاذيب الوهّابيّة.

ص:۸۹

والجماعة أن يذكروا ما تتميّز به أهل السنّة والجماعة عن الكفّار والمبتدعين، فيذكروا إثبات الصفات، وأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنّه تعالى يرى فى الآخرة خلافاً للجهمية من المعتزلة وغيرهم، ويذكرون أنّ الله خالق أفعال العباد، وأنّه مريد لجميع الكائنات، وأنّه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، خلافاً للقدرية من المعتزلة وغيرهم، ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، وأنّ المؤمن لا يكفر بمجرّد الذنب ولا يخلد فى النار خلافاً للخوارج والمعتزلة، ويحقّقون القول فى الإيمان، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملاً خلافاً للمرجئة، ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافاً للشيعة من الرافضة وغيرهم.(۱)

وهذا الكلام يبدو منه: أنّ ابن تيمية ينصح المصنّفين من أهل السنّة أن يكونوا على شاكلته من الحدّة والتطرّف فى مواجهة المخالفين؛ فيبرزوا مواقفهم العدائية منهم بوضوح، ويعلنوا كفر الجهمية والمعتزلة والقدرية والرافضة والخوارج وابتداعهم فى الدين ما ليس منه.

وهو بكلامه هذا يؤكّد لنا أنّ مصنّفى العقائد من أهل السنّة لا يتبنّون هذه اللغة الإرهابية المتطرّفة التى يتبنّاها فى مواجهة خصومهم.

ويقول: إنّ مَن انتسب إلى الملل منهم من المسلمين واليهود والنصارى هم مضطربون فى ما جاءت به الأنبياء فى المعاد، فالمحقّقون منهم يعلمون أنّ حججهم على قِدَم العالم ونفى معاد الأبدان ضعيفة فيقبلون من الرسل ما جاؤوا به، ومنهم قوم واقفة متحيّرون لتعارض الأدلّة وتكافئها عندهم، ومنهم: قوم أصرّوا على التكذيب، ثمّ زعموا أنّ ما جاءت به الرسل هو أمثال مضروبة لتفهم المعاد الروحانى، وهؤلاء إذا حقّق عليهم الأمر صرّحوا بأنّ الرسل تكذب لمصلحة العالم، وإذا أحسنوا العبارة قالوا: إنّهم يخيّلون الحقائق فى أمثال خيالية، وقالوا: إنّ خاصّة النبوّة تخيّل الحقائق

۱- انظر شرح العقيدة الإصفهانية، ط الرياض.

ص:۹۰

للمخاطبين، وإنّه لا يمكن خطاب الجمهور إلّا بهذا الطريق، كما يزعم ذلك الفارابى وأمثاله، مع أنّ الفارابى له فى معاد الأرواح ثلاثة أقوال متناقضة، تارةً يقول: لا تُعاد. وينكر المعاد بالكلية، وتارةً يقول: إنّها تُعاد، وتارةً يفرّق بين الأنفس العالمة والجاهلة فيقرّ بمعاد العالمة دون الجاهلة، ولهم فى تفضيل النبى على الفيلسوف أو بالعكس نزاع، فعقلاؤهم كابن سينا وأمثاله يفضّل النبى على الفيلسوف وأمّا غلاتهم فيفضّلون الفيلسوف.

ولا ـ ريب أنّ أوليهم ليس لهم فى النبوّات كلام محصّل، وكلامهم فى الإلهيّات قليل، وإنّما توسّع القوم فى الأُمور الطبيعية والرياضية ومصنّفات معلّمهم الأوّل أرسطو عامّتها من ذلك، والذى فيها من الإلهيّات أمر فى غاية القلّة مع اضطرابه وتناقضه، فإذا عرف ذلك فما جاء به السمع من أمر المعاد قرّره عليهم النظّار بطريقين:

أحدهما: ببيان الكلام الصريح فى إثبات معاد الأبدان وتفاصيل ذلك.

وثانيهما: إنّ العلم بأنّ الرسل جاءت بذلك علم ضرورى، فإنّ كلّ مَن سمع القرآن والأحاديث المتواترة وتفسير الصحابة والتابعين لذلك علم بالاضطرار أنّ الرسول (ص) أخبر بمعاد الأبدان، وأنّ القدح فى ذلك كالقدح فى أنّه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، وحج البيت العتيق، ونحو ذلك.

والقرامطة الباطنية، وهم من الفلاسفة، أنكروا هذا وزعموا أنّ هذه كلّها رموز وإشارات إلى علوم باطنة كما يقولون: إنّ الصلاة معرفة أسرارنا، والصيام كتمان أسرارنا، والحج زيارة شيوخنا المقدّسين، ونحو ذلك ممّا هو مذكور فى الكتب المؤلّفة فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم، ولهؤلاء القرامطة صُنّفت رسائل أخوان الصفا، وهم الذين يقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى محمّد بن إسماعيل بن جعفر.

قال ابن سينا: كان أبى وأخى من أهل دعوتهم؛ ولهذا اشتغلت بالفلسفة، وأمّا الفلاسفة الذين لم يدخلوا فى القرامطة المحضة فهم لا ينكرون العبادات والشرائع العملية، بل قد يوجبون اتّباعها والعمل بها لا سيّما مَن دخل منهم فى التصوّف أو الكلام،

ص:۹۱

لكن منهم مَن يوجب اتّباعها على العامّة دون الخاصّة، أو يوجبها من غير الوجه الذى أوجبها الرسول، كما يجوّزون أن يكون بعد محمّد (ص) مَن يأتى بشريعة أُخرى، ويقولون: إنّ أحدهم يخاطبه الله سبحانه وتعالى كما خاطب موسى بن عمران، ويعرج به كما عرج بالنبى، وأمثال هذه المقالات التى كثرت لمّا ظهرت الفلسفة التى أفسدت طوائف من أهل التصوّف والكلام، أنّه إذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول ممّا ينكره بعض أهل البِدَع، كعذاب القبر وسؤال منكر ونكير وكالصراط والشفاعة والحوض، ونحو ذلك ممّا استفاضت به الأحاديث الصحيحة عن النبى، وقد يستدل عليه بدلائل من القرآن أيضاً لكن ليس التصريح به في القرآن، والتصريح بالجنّة والنار، وقيام القيامة، وحشر الخلق؛ ولهذا لم ينكر القيامة ومعاد الأبدان أحد من أهل القِبلة، وأنكر هذه الأُمور التى جاءت بها الأحاديث المستفيضة بل المتواترة عند علماء أهل الحديث طوائف من أهل البِدَع إمّا من المعتزلة وإمّا من الخوارج وإمّا من غيرها.(۱)

وسُئل عن رجلٍ مسلم يقول: إنّ معجزات الأنبياء قوى نفسانيّة؟

فأجاب: هذا الكلام – وهو قول القائل: إنّ معجزات الأنبياء قوى نفسانيّة – باطل، بل هو كفر يستتاب قائله ويبيّن له الحق، فإن أصرّ على اعتقاده بعد قيام الحجّة الشرعية عليه كفر، وإذا أصرّ على إظهاره بعد الاستتابة قُتل، وهو من كلام طائفة من المتفلسفة والقرامطة الباطنية الإسماعيلية ونحوهم كابن سينا وأمثاله، وأصحاب رسائل إخوان الصفا والعبيدين الذين كانوا بمصر من الحاكمية وأشباههم، وهؤلاء كانوا يتظاهرون بالتشيّع وهم فى الباطن ملاحدة ويسمّون القرمطة والباطنية وغير ذلك.(۲)

ويقول: لكن باطل الفلاسفة أكثر وهم أعظم مخالفة للحق المعلوم بالأدلة الشرعية والعقلية فى الأُمور الإلهيّة والدينية من أولئك المبتدعين من أهل الكلام. وقد تكلّم أهل البِدَع فى مسألة حدوث العالم والمعاد والصفات والنبوّات بما أضافوا إلى دين

۱– انظر نقض المنطق أو الردّ على المنطقيين.

۲– انظر الصفدية.

ص:۹۲

المسلمين من الأقوال التی ليست فی كتاب الله، ولا فی حديث عن رسول الله (ص) ، ولا قالها أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا أحد من أئمّة المسلمين، وإنّما هی مأخوذة عن أهل الكلام المبتدع المحدث المذموم عند السلف والأئمّة، الذی أصله مأخوذ من الجهمية والمعتزلة.(۱)

وقال: والفلاسفة المتظاهرون بالإسلام يقولون: إنّهم متّبعون للرسول، لكن إذا كشف حقيقة ما يقولونه فی الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، تبيّن لمَن يعرف ما جاء به الرسول وما يقولونه فی نفس الأمر، أنّ قولهم ليس هو قول المؤمنين بالله ورسوله والمسلمين، بل فيه من أقوال الكفّار والمنافقين شیء كثير.(۲)

وفی مقدّمة كتابه درء تناقض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لص-ريح المعقول، قال المحقّق الوهّابی مقدّماً ابن تيمية بعظيم المدح والإطراء متباهياً بتطرّفه وتطرّف شيخه: قال شيخ الإسلام عَلَم الأعلام، مفتی الأنام، المجاهد الصادق الصابر سيف السنّة المسلول على المبتدعين، والقاطع البتّار لألسنة المارقين الملحدين: إذا تعارضت الأدلّة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات، فإمّا أن يجمع بينهما وهو محال؛ لأنّه جمع بين النقيضين، وإمّا أن يردّا جميعاً، وإمّا أن يقدّم السمع وهو محال؛ لأنّ العقل أصل النقل فلو قدّمناه عليه كان ذلك قدحاً فی العقل الذی هو أصل النقل، والقدح فی أصل الشیء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً فی النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل ثمّ النقل، إمّا أن يتأوّل، وإمّا أن يفوّض، أمّا إذا تعارضا تعارض الضدّين امتنع الجمع بينهما، ولم يمتنع ارتفاعهما.

هذا الكلام قد جعله الرازی وأتباعه قانوناً كليّاً فيما يستدلّ به من كتب الله تعالى

۱- انظر الصفدية.

۲- المرجع السابق.

ص:۹۳

وكلام أنبيائه، وما لا يستدل به؛ ولهذا ردّوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون فى صفات الله تعالى، وغير ذلك من الأُمور التى أنبأوا بها وظنّ هؤلاء أنّ العقل يعارضها، أمّا هذا القانون الذى وضعوه فقد سبقهم إليه طائفة منهم أبو حامد وجعله قانوناً فى جواب المسائل، وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التى جعلوها عقيدة إيمانهم وردّوا نصوص التوراة والإنجيل إليها، والنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء من هؤلاء، لكنّ النصارى يشبههم مَن ابتدع بدعة بفهمه الفاسد من النصوص، أو بتصديقه النقل الكاذب عن الرسول (ص) كالخوارج الوعيدية والمرجئة والإمامية وغيرهم، بخلاف بدعة الجهمية والفلاسفة.

وقد شنّ ابن تيمية فى هذا الكتاب حرباً شعواء على: الجهمية، والمعتزلة، والفارابى، وإخوان الصفا، والسهروردى المقتول، وابن رشد الحفيد، ومَن سمّاهم بملاحدة الصوفية كابن عربى، وابن سبعين، وابن الطفيل صاحب رسالة حى يقظان، وغيرهم.

وتحت عنوان شرك الفلاسفة أشنع من شرك الجاهلية قال: العرب مع شركهم وكفرهم يقولون: إنّ الملائكة مخلوقون، وكان مَن يقول منهم: إنّ الملائكة بنات، ويقولون أيضاً: إنّهم محدثون، ويقولون: إنّه صاهر إلى الجن فولدت له الملائكة، وقولهم هذا من جنس قول النصارى فى أنّ المسيح ابن الله، وقول الفلاسفة شرّ من قول هؤلاء كلّهم.

هؤلاء يقولون ما ذكره ابن سينا وأتباعه، ومَن وافقهم من القرامطة والباطنية من الملاحدة والجهّال الذين دخلوا فى الصوفية، وأهل الكلام كأهل وحدة الوجود، وغيرهم.

يقولون إذا توجّه المستشفع إلى مَن يعظّمه، مثل بعض الصالحين، فإنّه يتّصل بذلك المعظم المستشفع به، فإذا فاض على ذلك ما يفيض من جهة الرب فاض على هذا المستشفع من جهة شفيعه.

لهذا يرى هؤلاء دعاء الموتى، عند القبور وغير القبور، ويتوجّهون إليهم

ص:۹۴

ويستعينون بهم. وكثير منهم ومن غيرهم من الجهّال يرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين من أهل البيت وغيرهم أفضل من الصلوات الخمس والدعاء في المساجد، وأفضل مَن حجّ البيت العتيق.

ومعلوم أنّ كفر هؤلاء بما يقولونه في الشفعاء أعظم من كفر مشركي العرب.

وهذا الكلام موجّه للشيعة، ولازال يردّده الوهّابيّون اليوم من أنّهم يفضّلون زيارة المراقد على الحج، وأنّ ذلك هو أفضل من الصلوات عندهم.

وقال ابن تيمية عن ابن سينا: وابن سينا تكلّم في أشياء من الإلهيّات والنبوّات والمعاد والشرائع. فإنّه استفادها من المسلمين وإن كان إنّما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد، أحسن ما يظهرونه دين الرفض، وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض.

وقد صنّف المسلمون في كشف أسرارهم وهتك أستارهم كتباً كباراً وصغاراً، وجاهدوهم باللسان واليد، إذ كانوا أحق بذلك من اليهود والنصارى.

وقال: مَن قال من المتأخّرين أنّ تعلّم المنطق فرض على الكفاية فإنّه يدل على جهله بالشرع وجهله بفائدة المنطق وفساد هذا القول معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وأجهل منه مَن قال: إنّه فرض على الأعيان، مع أنّ كثيراً من هؤلاء ليسوا مقرّين بإيجاب ما أوجبه الله ورسوله وتحريم ما حرّم الله ورسوله.

و قال: ما معهم - أي: الفلاسفة - من الحق أقل ممّا مع اليهود والنصارى والمشركين.

وقال: من ملاحدة المتصوّفة مَن يزعم أنّ أرسطو كان هو الخضر، وهؤلاء منهم مَن يفضّل الفلاسفة على الأنبياء في العلم، ومَن يفضّل فرعون على موسى.

أمثال ذلك من المقالات التي تقولها الملاحدة المتفلسفة المنتمون إلى الإسلام في الظاهر، من متشيّعٍ ومتصوّفٍ كابن سبعين وابن عربي وأصحابه، لهم من هذا الجنس

ص:۹۵

ما یطول حکایته، ممّا یدلّ علی أنّهم من أجهل الناس بالمعقول والمنقول، ولم یکفهم جهلهم بما جاءت به النبوّات حتّی ضمّوا إلی ذلک الجهل بأخبار العالم وأیّام الناس والجهل بالعقلیات.

لهذا کان هؤلاء المتفلسفة إنّما راجوا علی أبعد الناس عن العقل والدین کالقرامطة والباطنیة الذین رکّبوا مذهبهم من فلسفة الیونان ودین المجوس وأظهروا الرفض، وکجهّال المتصوّفة وأهل الکلام.

وصنّف الغزالی کتاباً فی مقاصدهم، وصنّف کتاباً فی تهافتهم وبیّن کفرهم بسبب مسألة قِدَم العالم وإنکار العلم بالجزئیات وإنکار المعاد.

وکلّ ما تُبّتته المتفلسفة من العقل باطل عند المسلمین، بل هو أعظم من الکفر.

أمّا شهادة سائر العلماء وطوائف أهل الإیمان بضلالهم وکفرهم فهذا البیان عام لایدفعه إلاّ مکابر.

وإنّ کثیراً من الفلاسفة وغیرهم من الزنادقة یدخلون فی دین المسلمین والیهود والنصاری من الشرائع الظاهرة، وإن لم یکونوا فی الباطن مقرّین بحقیقة ما جاءت به الأنبیاء، کالمنافقین فی المسلمین یجری علیهم أحکام الإسلام فی الظاهر، وهم فی الآخرة فی الدرک الأسفل من النار.

هؤلاء لیسوا مسلمین ولا یهود ولا نصاری، بل کثیر من المشرکین أحسن حالاً منهم، وهؤلاء أئمّة النظار والمتفلسفة، وصوفیتهم وشیعیتهم کان من أسباب تسلّطهم وظهورهم هو بدع أهل البِدَع من الجهمیة والمعتزلة والرافضة، ومَن نحا نحوهم فی بعض الأُصول الفاسدة، فإنّ هؤلاء اشترکوا هم وأُولئک الملاحدة فی أُصولٍ فاسدةٍ یجعلونها قضایا عقلیة صادقة وهی باطلة کاذبة مخالفة للشرع والعقل. (۱)

۱- انظر الردّ علی المنطقیین.

ص:۹۶

مقالته فی الشیعة

وضع ابن تیمیة قاعدةً لأتباعه والسائرین علی نهجه تجاه الشیعة تقول: إنّ تبیین السنّة وفضائل الصحابة وتقدیمهم الصدِّیق والفاروق من أعظم أُمور الدین عند ظهور بِدَع الرافضة ونحوهم.(۱)

وابن تیمیة بقوله هذا قد أسّس للصراع المذهبی ووطّن له بین المسلمین، وهو ما نراه واقعاً عند الوهّابیّین، ویبدو بوضوح من خلال کمّ المنشورات التهدیدیة المتطرّفة التی تحرّم الخوض فی أمر الصحابة، وتبالغ فی إضفاء القداسة علیهم، وتنذر بالعقاب الشدید لکلّ مَن یخوض فی أمرهم، والتی یظهرونها ما بین الحین والآخر لإرهاب المسلمین.

وکان بعض أنصار ابن تیمیة قد أحضروا له نسخة من کتاب (منهاج الکرامة فی معرفة الإمامة) للعلّامة ابن المطهّر الحلّی أحد فقهاء الشیعة المعاصرین لابن تیمیة، فاستفزّه الکتاب وقرّر أن یردّ علیه فی کتاب عرف باسم (منهاج السنّة النبویّة) اعتبره الوهّابیّون المرجع الأساس والقول الفصل فی الشیعة.

قال ابن تیمیة فی مقدّمة کتابه: قد أحضر إلیّ طائفة من أهل السنّة والجماعة کتاباً صنّفه بعض شیوخ الرافضة فی عصرنا منفقاً لهذه البضاعة، یدعو إلی مذهب الرافضة الإمامیة مَن أمکنه دعوته من ولاة الأُمور وغیرهم من أهل الجاهلیة ممّن قلّت معرفتهم بالعلم والدین، ولم یعرفوا أصل دین المسلمین، وأعانه علی ذلک من عادتهم إعانة الرافضة من المتظاهرین بالإسلام من أصناف الباطنیة الملحدین، الذین هم فی الباطن من الصابئة الفلاسفة الخارجین عن حقیقة متابعة المرسلین، الذین لا یوجبون اتّباع دین الإسلام، ولا یحرّمون اتّباع ما سواه من الأدیان، بل یجعلون الملل بمنزلة

۱- مجموع الفتاوی، ج ۲، ص۳۹۶.

ص:۹۷

المذاهب والسیاسات التی یسوغ اتّباعها، وأنّ النبوّة نوع من السیاسة العادلة التی وضعت لمصلحة العامّة فی الدنیا.

إنّ هذا الصنف یکثرون ویظهرون إذا کثرت الجاهلیة وأهلها، ولم یکن هناک من أهل العلم بالنبوّة والمتابعة لها مَن یظهر أنوارها الماحیة لظلمة الضلال، ویکشف ما فی خلافها من الإفک والشرک المحال.

هؤلاء لا یکذبون بالنبوّة تکذیباً مطلقاً، بل هم یؤمنون ببعض أحوالها ویکفرون ببعض الأحوال، وهم متفاوتون فیما یؤمنون به ویکفرون به من تلک الخلال، فلهذا یلتبس أمرهم بسبب تعظیمهم للنبوّات علی کثیر من أهل الجهالات.

والرافضة الجهمیة هم الباب لهؤلاء الملحدین منهم، منه یدخلون إلی سائر أصناف الإلحاد فی أسماء الله وآیات کتابه المبین، کما قرّرت ذلک رؤوس الملحدة من القرامطة الباطنیة وغیرهم من المنافقین.

هذا المصنِّف سمّی کتابه: منهاج الکرامة فی معرفة الإمامة، وهوخلیق بأن یسمّی منهاج الندامة، کما أنّ مَن ادّعی الطهارة وهو من الذین لم یرد الله أن یطهّر قلوبهم، بل من أهل الخبث والطاغوت والنفاق، وکان وصفه بالنجاسة والتکدیر أولی من وصفه بالتطهیر.

وقد قام الذهبی تلمیذ ابن تیمیة بتلخیص کتابه منهاج السنّة وأسماه: (منهاج الاعتدال فی نقض أهل البدع والاعتزال) .

ونقل عن ابن حنبل قوله: مَن لم یربّع بعلی فی الخلافة فهو أضلّ من حمار أهله، ونهی عن مناکحته، وهو متفق علیه، وإنّما یخالفهم فی ذلک بعض أهل الأهواء من أهل الکلام ونحوهم کالرافضة الطاعنین فی خلافة الثلاثة.(۱)

وتحدّث عن أنواع البِدَع بقوله عن الاحتفال بعید الغدیر وعاشوراء: ما جری فیه

۱- انظر السیاسة الشرعیة.

ص:۹۸

حادثة کما کان یجری فی غیره من غیر أن یوجب ذلک جعله موسماً، ولا کان السلف الصالح یعظّمونه کثامن عشرة ذی الحجّة الذی خطب فیه النبی (ص) بغدیر خم مرجعه من حجّة الوداع فإنّه خطب فیه خطبة وصّی فیها باتّباع کتاب الله، ووصّی فیها بأهل بیته، کما روی مسلم، فزاد بعض أهل الأهواء فی ذلک حتّی زعموا أنّه عهد إلی علی باطلاً وعملاً، وقد علم بالاضطرار أنّه لم یکن من ذلک، وزعموا أنّ الصحابة تمالؤا علی کتمان هذا النص، وغصبوا الوصی حقّه وفسقوا وکفروا إلاّ نفراً قلیلاً، وهو عید محدث لا أصل له.

کذلک مایحدثه بعض الناس إمّا مضاهاةً للنصاری فی میلاد عیسی (ع) ، وإمّا محبّةً للنبی (ص) وتعظیماً له، والله قد یثیبهم علی هذه المحبّة والاجتهاد لا علی البدع من اتّخاذ مولد النبی عیداً، ومثل ما أحدث بعض أهل الأهواء فی یوم عاشوراء، فأحدث بعض أهل البدع فی مثل هذا الیوم خلاف ما أمر به الله عند المصائب، وضمّوا إلی ذلک من الکذب والوقیعة فی الصحابة، وأحدث بعض الناس فیه من أشیاء مستندة إلی أحادیث موضوعة لا أصل لها، والأشبه أنّ هذا وضع لما ظهرت العصبیة بین الناصبة والروافض، فإنّ هؤلاء أعدّوا یوم عاشوراء مأتماً فوضع أُولئک فیه آثاراً تقتضی التوسّع فیه واتّخاذه عیداً، وکلاهما باطل، وهؤلاء فیهم بِدَع وضلال، وأُولئک فیهم بِدَع وضلال، وإن کانت الشیعة أکثر کذباً وأسوأ حالاً.(۱)

وسُئل ابن تیمیة: عمّن یزعمون أنّهم یؤمنون بالله عزّ وجلّ وملائکته وکتبه ورسله والیوم الآخر، ویعتقدون أنّ الإمام الحق بعد رسول الله (ص) هو علی بن أبی طالب، وأنّ رسول الله نصّ علی إمامته، وأنّ الصحابة ظلموه ومنعوه حقّه، وأنّهم کفروا بذلک، فهل یجب قتالهم، ویکفّرون بهذا الاعتقاد أم لا؟

۱- اقتضاء الصراط المستقیم فی مخالفة أصحاب الجحیم، وهو أحد الکتب المتطرّفة لابن تیمیة، الذی صبّ فیه غضبه علی أهل الکتاب والمسلمین الذین وصفهم بالقبوریین، وهو واحد من أهمّ مصادر الوهّابیّین المعاصرین.

ص:۹۹

فأجاب: أجمع علماء المسلمين على أنّ كلّ طائفة ممتنعة عن شريعةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنّه يجب قتالها حتّى يكون الدين كلّه لله.

فالرافضة يوالون مَن حارب أهل السنّة والجماعة، ويوالون التتار، ويوالون النصارى، فقد كان بالساحل بين الرافضة والإفرنج مهادنة.

وقد ذكر أهل العلم أنّ مبدأ الرفض إنّما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنّه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الإسلام كما فعل بولص النص–رانی الذی كان يهودياً فی إفساد دين النصارى، وأيضاً فغالب أئمّتهم زنادقة، إنّما يظهرون الرفض؛ لأنّه طريق إلى هدم الإسلام.

وقد أشبهوا اليهود فی أُمور كثيرة، ولا سيّما السامرة من اليهود، فإنّهم أشبه بهم من سائر الأصناف: يشبّهونهم فی دعوى الإمامة فی شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكلّ مَن جاء بحق غير ما يدّعونه، وفی اتّباع الأهواء وتحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر، وصلاة المغرب، وتحريم ذبائح غيرهم، وغير ذلک.

ويشبّهون النصارى فی الغلو فی البشر والعبادات المبتدعة، وفی الشرک وغير ذلک، وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وهم لا يرون جهاد الكفّار مع أئمّة المسلمين ولا الصلاة خلفهم ولا طاعتهم فی طاعة الله ولا تنفيذ شیء من أحكامهم؛ لاعتقادهم أنّ ذلک لا يسوّغ إلّا خلف إمام معصوم، ويرون أنّ المعصوم قد دخل فی السرداب.

وهم مع هذا يعطّلون المساجد التی أمر الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، فلا يقيمون فيها جمعةً ولا جماعة، ويبنون على القبور المكذوبة وغير المكذوبة مساجد يتّخذونها مشاهد، ويرون أنّ حجّ هذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من أعظم العبادات حتّى أنّ من مشائخهم مَن يفضّلها على حج البيت الذی أمر الله به ورسوله، ووصف حالهم يطول.

ص:۱۰۰

وقـد اختتم ابن تیمیـة جوابه للسائل بقوله: ومَن اعتقـد من المنتسبین إلی العلم أنّ قتال هؤلاء - الرافضـة - بمنزلـة قتال البغاة الخارجین علی الإمـام بتأویـلٍ سـائغ، کقتـال أمیر المؤمنین لأهـل الجمـل وصـفِّین، فهو غالـط جاهـل بحقیقـة شـریعة الإسـلام وتخصـیصه هؤلاء الخارجین عنها.

أمّا قتل الواحد المقدور علیه من الخوارج کالحروریة والرافضة ونحوهم، فهذا فیه قولان للفقهاء هما روایتان عن أحمد، والصـحیح أنّه یجوز قتـل الواحـد منهم کالداعیـة إلی مـذهبه ونحو ذلـک ممّـا فیه فسـاد، وأمّـا تکفیرهم وتخلیـدهم فی النار ففیه أیضاً للعلماء قولان مشهوران وهما روایتان عن أحمد.(۱)

ونصوص ابن تیمیة العدوانیة ضدّ الشیعة کثیرة، ولا یتّسع المجال لذکره هنا.(۲)

فتاوی متطرّفة

وفتاوی ابن تیمیة أکثر من أن تُحصـی، وهی تشـکّل تراثه الفکری، فالرجل لم یدوّن کتباً بالمعنی المألوف، وإنّما کتب رسائل وردوداً وأصـدر فتاوی، جُمعت فیما بعـد من قبل أتباعه وتلامیـذه، وقد انتقینا هنا بعض الفتاوی الخاصّة بالخصوم والمعارضـین، والتی تعکس مدی تطرّفه وعدوانیّته علی الآخرین:

- مَن قامت علیه الحجّة من أهل البِدَع استحقّ العقوبة.

- إنّ الکتب المشتملة علی الکذب والبِدعة یجب إتلافها وإعدامها، وهی أولی بذلک من آلات اللهو والمعازف، وإتلاف آنیة الخمر، فإنّ ضررها أعظم من ضرر هذه.

- جواز قتل معطّلی الشرائع من المسلمین وقتالهم (فتوی الیاسق) .

- وحَوْل ابن الفارض، وابن سبعین، وابن حمویه، الذین اتّهمهم بالقول بوحدة

۱- مجموع الفتاوی، ج ۲۸، ص۴۹۹.

۲- انظر لنا الحق والحقیقة بین الشیعة والسنّة، فصل ابن تیمیة وقفات ومراجعات.

ص:۱۰۱

الوجود والحلول أفتی بقوله: مَن یعاونهم وینصرهم علی أهل الإیمان - ابن تیمیة وأتباعه - فهو شر ممّن ینصر النصاری علی المسلمین، فإنّ هؤلاء شر من قول النصاری، بل هم شر ممّن ینصر المشرکین علی المسلمین.

وقال: الراد علی أهل البِدَع مجاهد.

وقال: جوّز طائفة من أصحاب الشافعی وأحمد وغیرهما، قتل الداعیة إلی البدع المخالفة للکتاب والسنّة، وکذلک کثیر من أصحاب مالک، وقالوا: إنّما جوّز مالک وغیره قتل القدریة لأجل الإفساد فی الأرض لا لأجل الردّة.

وقال: والرجل البالغ اذا امتنع عن صلاة واحدة من الصلوات الخمس، أو ترک بعض فرائضها المتفق علیها فإنه یُستتاب، فإن تاب وإلّا قتل، فمن العلماء مَن یقول یکون مرتدّاً کافراً لا یُصلّی علیه ولا یُدفن بین المسلمین، ومنهم مَن یقول یکون کقطّاع الطُرُق وقاتل النفس والزانی المحصن.

وقال: وهذه حقیقة قول مَن قال عن السلف والأئمّة: إنّ الدعاة إلی البِدَع لا تقبل شهادتهم ولا یُصلّی خلفهم ولا یؤخذ عنهم العلم ولا یناکحون.

وقال: ولا أستثنی أحداً من أهل البِدَع لا من المشهورین بالبِدَع الکبار من معتزلی ورافضی ونحو ذلک، ولا من المنتسبین إلی السنّة والجماعة من کرامی وأشعری وسالمی ونحو ذلک، وکذلک مَن صنّف علی طرقهم من أهل المذاهب الأربعة.

ولابن تیمیة فتوی شهیرة فی حکم مَن بدّل شرائع الإسلام تُسمّی (فتوی الیاسق) واعتمد علیها تیّار الجهاد فی الحکم بکفر الحکومات المعاصرة وأعوانها واستباحتهم، وهی الفتوی التی قُتل السادات علی أساسها.

وهذه فتاوی مفتوحة من ابن تیمیة متحصّنة بالشافعیة والمالکیة بالإضافة إلی الحنابلة للقضاء علی أهل البِدَع المخالفة للکتاب والسنّة من منظور فقهاء أهل السنّة، ویقصد بهم - بالطبع - کلّ مَن تصدّی للدعوی والبیان لأیّ طرحٍ خارج دائرتهم،

ص:۱۰۲

وعلی رأس هؤلاء الشیعة والمعتزلة.(۱)

وکلمـة بِدْعـة کلمـة مطّاطـة یمکن أن تُسـتخدم علی وجوه عـدّة، وهنا تکمن خطورتها عندما تُطلق علی لسان حَمَلة الأسـفار والفقهاء الصغار من الوهّابیّین، وعناصر الفِرَق المتطرّفة التی یریقون علی أساسها الدماء ویرفعون لأجلها رایة الجهاد.

والواقع المعاصـر محکوم علیه بالجاهلیـة مقدّماً من قِبَل هذه الجماعات، فمن ثمّ هو مسـتنقع للبِدَع وتکفی فتوی کهذه لإشـعال النیران فیه.

وکان ابن تیمیة قد أفتی فی عام ۷۰۴ ه-باستباحة دماء الشیعة، وأقنع السلطان محمّد بن قلاوون بتسییر حملة اشترک فیها لمقاتلة الشیعة فی جبال کسروان بلبنان.

وکانت نتیجة هذه الحملة أن خربت کسروان وقتل النساء والشیوخ والأطفال.

ولم یقصـر ابن تیمیـة فتاواه علی المسـلمین، بل تعـدّاهم إلی المسـیحیین، وأفتی بوجوب هـدم الکنائس فی: مصـر، والقاهرة، والکوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، ونحوها من الأمصار، سواء کانت تلک المعابد قدیمة قبل الفتح أو محدثة.

ومثل هذه الفتاوی وغیرها یوجد منها الکثیر فی کتب ابن تیمیة.

والسؤال هنا هو:

هل بعد حبس ابن تیمیة وموته سکتت مدافعه؟

والإجابة: إنّ بعض تلامذته، مثل: ابن قیّم، وابن کثیر، حاولا تسـلیط هذه المدافع نحو المسـلمین إلّا أنّ مصـیرهما کان کمصیر إمامهما أن ضربا وضُیّق علیهما، ولحق بهما الأذی، فاتّجها نحو الکتابة والتصنیف.

ومنذ ذلک الحین أُسدل الستار علی ابن تیمیة وعُطِّلت مدافعه، وحلّ بها الخراب،

۱- انظر ردود ابن تیمیة علی مخالفیه وأحکامه المتطرّفة علیهم من خلال الردّ علی المنطقیین والردّ علی الأخنائی، ودرء تعارض العقل والنقل، ومنهاج السـنّة، والفتاوی الکبری، وغیرها، وانظر نص فتوی الیاسق ضمن ملاحق الکتاب، وسوف تأتی نماذج أُخری من فتاویه المتطرّفة فی الفصول القادمة.

ص:۱۰۳

حتّی ظهر محمّد بن عبد الوهاب فی جزیرة العرب، فکشف عنها، وقام بتنظیفها وتجهیزها، ثمّ سلّطها مرّةً أُخری علی المسلمین، وبنصرة ابن سعود قامت لأوّل مرّةٍ فی التاریخ دولة للحنابلة، وأصبح ابن تیمیة شیخ الإسلام بعد أن کان منبوذاً.

وببرکات النفط أصبحت له هیئات وجامعات ورموز تنش-ر فکره وتعرضه للمسلمین فی کلِّ مکان.

وعن طریق هذه المؤسّسات والجامعات والرموز اخترقت التیّارات والجماعات الإسلامیة وتشبّعت بفکره وتقمّصت شخصیته حتّی بدا وکأنّه لا یوجد فقهاء فی تاریخ المسلمین سواه.

وأصبحت کتب ابن تیمیة التی لم یکن یسمع عنها أحد تُطبع وتُوزّع مجاناً، وتُهدی ولا تُباع، بل تُوزّع فتاواه (۳۷ مجلّداً) مجاناً علی المساجد والمؤسّسات والأفراد.

ومن هنا حملت الفِرَق الإسلامیة مدافع ابن تیمیة من جدید وأخذت توجّهها نحو المسلمین وأیضاً المسیحیین والآمنین والمسالمین فی کلِّ مکان.

ص:۱۰۴

ص:۱۰۵

ابن القيّم تلميذ ابن تيمية وحامل مدافعه

اشارة

يُعدّ ابنُ القيّم (ت ۷۵۱ه) الصاحب الأمين، والتلميذ النجيب، الذى دان بأفكار أُستاذه ابن تيمية، ولازمه وتعصّب له وامتحن بسببها وثبت عليها حتّى حبس معه فى حبسه الأخير الذى توفّى فيه.

واستمرّ ابن القيّم على مقالة ابن تيمية بعد وفاته ليُقبض عليه ويُحبس بسبب إنكاره شدّ الرحال لزيارة قبر الخليل (ع) وجرس فى الطرقات وهو على حمار، ومعه ابن كثير الدمشقى أحد تلاميذ ابن تيمية.(۱)

ويقول الوهّابيّون عنه: لم يخلف ابن تيمية مثله.

من مؤلِّفاته:

الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطّلة.

اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطّلة والجهمية.

حكم تارك الصلاة.

أحكام أهل الذمّة.

۱- انظر ترجمته فى الدرر الكامنة، ج۳، ص۴۰۱، ترجمة رقم ۱۰۶۷.

ص:۱۰۶

جوابات عابدى الأصنام وأنّ ما هم عليه دين الشيطان.

الصراط المستقيم فى أحكام أهل الجحيم.

الشافية الكافية فى انتصار الفرقة الناجية.

بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً.

الطُرُق الحكمية فى السياسة الشرعية.

ويبدو من عناوين هذه المؤلّفات نزعة التطرّف والعدوان على الآخرين المخالفين، وهى النزعة التى ورثها عن أُستاذه ابن تيمية.

صواعق وسهام

وسيراً مع نهج ابن تيمية التزم ابن القيّم بتوجيه الحراب والسهام وإنزال صواعقه على الخصوم والمخالفين.

فى كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية، الذى يُعدّ صورة موسّعة ومطوّرة من رسالة إمامه أحمد بن حنبل (الردّ على الجهمية والزنادقة) ، سلك فيه مسلك إمامه ابن حنبل وأُستاذه ابن تيمية فى مواجهة المخالفين، معتمداً على الروايات وأقوال سلفه من الحنابلة المتطرّفين وشعاراتهم التى رفعوها، وبدا وكأنّه صورة طبق الأصل من ابن حنبل وابن تيمية.

وضع فى هذا الكتاب باباً تحت عنوان: منزلة صاحب السنّة وصاحب البِدْعة.

وقال: صاحب السنّة حىّ القلب ومستنيره، وصاحب البِدْعة ميت القلب مظلمه.

وفى بابٍ تحت عنوان: بيان أهل الجهل والظلم وقد قسّمه إلى قسمين:

الأوّل: أهل الجهل.

والثانى: أصحاب الظلمات.

وفى الصواعق المرسلة قال: من المحال أن يكون تلاميذ المعتزلة الصابئين، وأفراخ اليونان، أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأعرف به ممّن شهد الله ورسوله لهم بالعلم

ص:١٠٧

والإيمان، وفضّلهم على مَن سبقهم، ومن يجيئ بعدهم إلى يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، وهل يقول هذا إلّا غبيٌّ جاهل لم يقدّر قدر السلف ولا عرف الله ورسوله وما جاء به.

وقال: وأمّا المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلّمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره، وهذا هو الشائع فى عرف المتأخّرين من أهل الأُصول والفقه، ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل، والتأويل يحتاج إلى دليل، هذا التأويل هو الذى صنّف فى تسويغه وإبطاله من الجانبين:

فصنّف جماعة فى تأويل الصفات وأخبارها كأبى بكر بن فورك، وابن مهدى، والطبرى، وغيرهم.

وعارضهم آخرون فصنّفوا فى إبطال تلك التأويلات كالقاضى أبى يعلى وابن قدامة.

وقد انحاز ابن القيّم للقسم الثانى، بالطبع، الذى رفع رايته أئمّته من الحنابلة.

وقام واحد من الوهّابيّين بشرح نونيّة ابن القيّم وسمّاها: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد فى شرح قصيدة ابن القيّم المسمّاة: الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية.

وقال فى مقدّمة شرحه مادحاً: لم يُنسج على منوالها، ولم تسمح الدهور بشكلها وأمثالها، نظم الشيخ الإمام والعمدة القدوة الهمام شيخ الإسلام والمسلمين القائم ببيان الحق ونصر الدين. ليس بخفيٍّ ما تضمّنته من أُصول الفصول، واشتملت عليه من من قواعد العقائد التى هى الحاصل والمحصول، واحتوت عليه من الردّ على أهل البِدَع والضلالة، والأقوال الباطلة المحالة والمحدثات المضلّة المخذولة، والخزعبلات المرذولة كالوجودية والجهمية والمعتزلة والرافضة والحرورية والكلابية والمرجئة والمجبرة، وغيرهم من أهل الضلالات والأقوال المحالات، وقمع أباطيلهم وردع أضاليلهم بالحُجج الظاهرة والبراهين الباهرة، من صحيح المنقول وصريح المعقول، موضوعها المحاكمة بين الطوائف، وإثبات صفات البارى سبحانه رغم كلّ مخالف.

ص:۱۰۸

ونونيـة ابن القيّم هذه قصـيدة عقدية تنتهى بحرف النون، أكّد فيها على عقيدة التجسـيم والتشبيه، كما ورثها عن أُسـتاذه، وقد ردّ عليها العديد من الفقهاء.(۱)

وقد وضع فيها فصلاً تحت عنوان: إنّ أهل الحديث هم أنصار الرسول (ص) وخاصّته، ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر.

وفصل آخر تحت عنوان: فى تلاعب المكفّرين لأهل السنّة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان.

وفصل تحت عنوان: الردّ عليهم وتكفيرهم أهل العلم والإيمان، وذكر انقسامهم إلى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران.

ومن أبيات هذه القصيدة:

لكن أولوا التعطيل منهم أصبحوا

مرضـى بـداءِ الجهلِ والخـذلانِ فسألت عنهم رفقتى وأحبّتى أصـحاب جهمٍ حزب جنكسـتانٍ مَن هؤلاء ومَن يقال لهم فقـد جاؤوا بأمرٍ مالئ الآذانِ واحكم بسـفك دمائهم وبحبسـهم أو لا فشرّدوهم عن الأوطانٍ حذّر صحابك منهُم فهُم أضلّ من اليهودِ وعابدى الصلبانِ واحذر تجادلهم بقال الله أو قال الرسول فتنثنى بهوانِ فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأويل للأخبار والقرآنِ ولنا الأئمة كالفلاسفة الأُلى لم يعبأوا أصلاً بذى الديانِ منهم أرسطو ثمّ شيعته إلى هذا الآوان وكلّ آوان وكذا ابن سينا لم يكن منكم ولا أتباعه بل صانعوا بدهانِ وكذا الطوسى لما أن غدا ذا قدرةٍ لم يخش من سلطانِ قتل الخليفة والقضاة وحاملى القرآن والفقهاء فى البلدانِ

۱- انظر السيف الصقيل فى الردّ على ابن زفيل – ابن القيم – تحقيق زاهد الكوثرى.

ص:۱۰۹

إذ هم مشبِّهةٌ مجسِّمةٌ وما

دانوا بـدين أكابر اليونان وأتى ابنُ سـينا القرمطى مصانعاً للمسـلمين بإفك ذى بهتانٍ يا مبغضاً أهل الحـديث وشاتماً أبشـر بعقـد ولاية الشيطانِ أو ما علمت بأنّهم أنصار دينِ الله والإيمان والقرآنِ أو ما علمت بأنّ أنصار الرسول هُم بلا شكٍّ ولا نُكرانِ هل ينقص الأنصار عبـدٌ مؤمنٌ أو مدركٌ لروائح الإيمانِ قال الشارح: وقد بيّن الناظم فى غير هذا الموضع أنّ هؤلاء الفلاسـفة أكفر من اليهود والنصارى، وإن تظاهروا بالإسلام فإنّهم يظهرون من مخالفة الإسلام أعظم ممّا كان يظهره المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله (ص) .

أهل الذِّمَّة

وكحـال أُسـتاذه تجـاوز ابـن القيّـِم دائرة الهجـوم على المخـالفين من المسـلمين، وأطلـق سـهامه على أهـل الكتـاب داعيـاً إلى نبـذهم وحصارهم والتضييق عليهم قدر الإمكان.

وصـنّف فى هذا كتابه (أحكام أهل الذمّة) الذى حوى العديد من الفصول التى تعلن الحرب عليهم وتحرّض المسـلمين على كراهيتهم وإذلالهم.

وقد حشا ابن القيّم كتابه هذا بشتّى الروايات الثقيلة الموجَّهة لأهل الذمّة.

ومن هذه الروايات التى حشدها فى كتابه:

رواية تقول: لا خصاء فى الإسلام ولا كنيسة.

وهذه الرواية منسوبة للرسول (ص) .

وثانى هذه الروايات منسوبة لابن عبّاس قال: أيّما مص-ر مص-ّرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه، ولا يضـربوا فيه ناقوساً، ولا يش- ربوا فيه خمراً، ولا يتّخذوا فيه خنزيراً، وأيّما مصر مصّرته العجم ففتحه الله على العرب فنزلوا فيه، فإنّ للعجم ما فى عهدهم وعلى العرب أن يوفوا بعهدهم ولا يكلّفوهم فوق طاقتهم.

ص:۱۱۰

وثالث هذه الروايات منسوبة لعمر بن عبد العزيز أنّ عمر كتب أمراً بهدم الكنائس التى فى أمصار المسلمين.

ورابع هذه الروايات عن الحسن البصرى تقول: من السنّة أن تُهدم الكنائس التى بالأمصار القديمة والحديثة.

وخامس هـذه الروايات تقول: سُئل ابن حنبل عن البيعة والكنيسة تحدث - أى: تُبنى من جديد - فقال: يرفع أمرها إلى السلطان، أى: ليأمر بهدمها.

وسادس هذه الروايات رواية منسوبة للرسول (ص) تقول: لا تكون قبلتان فى بلدٍ واحد.

وأُخرى تقول: لا تُبنى كنيسة فى الإسلام ولا يجدّد ما خرب منها.

وهـذه الروايـات وغيرهـا ممّـا تكتـظّ به كتب السـنن فيما يتعلّق بأصـحاب الـديانات الأُخرى موضع شكّ فقهاء الحـديث، ورغم ذلك يسترشد بها الفقهاء، كما أنّ هذه الروايات جميعها رُويت عن طريق أحمد بن حنبل.

ثمّ حشد ابن القيّم بعد هذه الروايات كمّاً من فتاوى الفقهاء التى ترتكز على هذه الروايات وغيرها من الروايات التى تتعلّق بأهل الذمّة.

وجميع هذه الفتاوى تتركّز فى دائرة منع بناء الكنائس ومنع ترميمها والعلاقة بين الحاكم والذمّى.

ومثـل هـذه الروايات التى اسـتند عليها ابن القيّم والفتاوى التى اسـتحضـرها هى التى ارتكز عليها حنابلـة العصـر، من الفرق الوهّابيّـة، واسـتباحوا دمـاء وأمـوال غير المسـلمين على أساسـها، مرتكزين على أنّ المجتمـع المعاصـر يُعـدّ حسب المفهوم الفقهى الـذى وضـعه الفقهـاء دار حرب، لا يوجـد فيها إمام ولا توجـد بين المسـلمين وغيرهم عقود ذمّـة تُحفظ على أساسـها أموالهم ودمائهم، فمن ثمّ هم عُرضـة للاسـتحلال من قِبَل هـذه الفرق التى جعلت من نفسـها قيّماً على الدين ومعبّراً عنه وناطقةً بلسانه، وقد منحتها هذه الصـلاحيات عقيدة أهل السنّة ونصوص الفقهاء، وعجز فقهاء العصـر وتحالفهم مع الحكّام من جانبٍ آخر.

ص:۱۱۱

مثل هـذا الفقه المتطرّف الـذى بُنى على روايـات ضـعيفة، وعلى الأعراف وقرارات الحكّام، يجب أن يُعاد ضـبطه مع القرآن، وهو لن ينضبط معه بحال، فالقرآن لم ينص على شيء من هذا تجاه أصحاب الديانات الأُخرى.

هذا الفقه إنّما هو وليد مرحلة سياسية خاصّة هى مرحلة الحروب والغزوات السياسية، وليس وليد النصوص.

ونقل ابنُ القيّم فى كتابه (الطُرُق الحكمية) فتوى شيخه ابن تيمية فى أهل الذمّة التى تجيز هدم كنائسهم ومعابدهم.

وفى فصل تحت عنوان: منزلـة السـنّة من الكتاب أنكر ابن القيّم على التيّارات والمـذاهب الأُخرى قولها برفض الروايـة التى تتناقض مع القرآن وتصطدم بأحكامه، أو تضيف حكماً جديداً فوق أحكام القرآن.

وقال: أنكر أحمـد والشافعى على مَن ردّ أحاديث رسول الله (ص) لزعمه أنّها تخالف ظاهر القرآن، وقال: الـذى يجب على كلّ مسـلمٍ اعتقاده أنّه ليس من سنن رسول‌الله (ص) الصحيحة سنّة واحدة تخالف كتاب الله، بل السنن مع كتاب الله على ثلاث منازل:

الأُولى: سنّة موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل.

الثانية: سنّة تفسّر الكتاب وتبيّن مراده منه وتقيّد مطلقه.

الثالثة: سنّة متضمّنة لحكم سكت عنه الكتاب فتبيّنه بياناً مبتدأً.

ولا يجوز ردّ واحدةٍ من هذه الأقسام الثلاثة.

وليس للسنّة مع الكتاب منزلة رابعة.

ونقل قول أحمد: ما من أحدٍ يحتج عليه بسـنّةٍ صحيحة تخالف مذهبه ونِحْلته إلاّ ويمكنه أن يتشبّث بعموم آيةٍ أو إطلاقها، ويقول هذه مخالفة لهذا العموم والإطلاق فلا تُقبل.

حتّى الرافضـة قبّحهم الله سـلكوا هذا المسـلك بعينه فى ردّ السـنن الثابتة المتواترة، فردّوا قوله (ص) : لا نورث ما تركناه صدقة، وقالوا: هذا حديث يخالف كتاب الله /يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ/. (النساء: ١١)

ص:۱۱۲

وردّت الجهمية ماشاء الله من الأحاديث الصحيحة فی إثبات الصفات بظاهر قوله تعالی: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. (الشوری: ١١)

وردّ الخوارج من الأحاديث الدالّة علی الشفاعة وخروج أهل الكبائر من الموحِّدين من النار بما فهموه من ظاهر القرآن.

وردّت الجهمية أحاديث الرؤية مع كثرتها وصحّتها بما فهموه من ظاهر القرآن فی قوله تعالی: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ. (الانعام: ١٠٣)

وردّت القدرية أحاديث القدر الثابتة بما فهموه من ظاهر القرآن.

وردّت كلّ طائفة ما ردّته من السنّة بما فهموه من ظاهر القرآن.

وفی فصل الحكم بشهادة الفُسّاق قال وذلك فی صور:

أحدهما الفاسق باعتقاده إذا كان متحفّظاً فی دينه فإنّ شهادته مقبولة، وإن حكمنا بفسقه كأهل البِدَع والأهواء الذين نكفّرهم كالرافضة والخوارج والمعتزلة ونحوهم، هذا منصوص الأئمّة.

قال الشافعی: أقبل شهادة أهل الأهواء علی بعض إلّا الخطابية.

وقال أحمد: لا تجوز شهادة القدرية والرافضة وكلّ مَن دعا إلی بِدْعة ويخاصم عليها.

وقال فی الرافضة: لعنهم الله لا تقبل شهادتهم ولا كرامة لهم.

وقال: مَن أخاف عليه الكفر مثل الروافض والجهمية لا نقبل شهادتهم ولا كرامة لهم، وإذا كان القاضی جهمياً لا نشهد عنده.

وقد نصّ مالك علی أنّ شهادة أهل البدع كالقدرية والرافضة ونحوهم لا تقبل وإن صلّوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا.

وجميع أهل البدع قد كذبوا علی الله ورسوله، والخوارج من أصدق الناس لهجةً، وقد كذبوا علی الله ورسوله، كذلك القدرية والمعتزلة وهم يظنون أنّهم صادقون غير كاذبين فهم متديّنون بهذا الكذب ويظنّونه من أصدق الصدق.

ص:١١٣

وتحوّل ابن القيّم نحو الصور والتماثيل والكتب وأصحاب الرأى فقال: والمنكرات من الأعيان والصور يجوز إتلاف محلّها تبعاً لها مثل الأصنام المعبودة من دون الله، لما كانت صورها منكرة جاز إتلاف مادتها، فإذا كان حجراً أو خشباً ونحو ذلك جاز تكسيرها وإحراقها، وكذلك آلات اللهو كالطنبور يجوز إتلافها عند أكثر الفقهاء، كذلك لا ضمان فى تحريق الكتب المضلِّلة وإتلافها.

ونُقل عن ابن حنبل قوله عندما سُئل عن الرأى؟

فقال: لا نثبت شيئاً من الرأى، عليكم بالقرآن والحديث والآثار.

وقال عن كتب المخالفين: هذه الكتب بِدْعة، ومن وضع شيئاً من الكتب فهو مبتدع.

وقال ابن القيّم: وكلّ هذه الكتب المتضمّنة لمخالفة السنّة غير مأذون فيها، بل مأذون فى محوها وإتلافها، وما على الأُمّة أضرّ منها، وقد أحرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان لما خافوا على الأُمّة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التى أوقعت الخلاف والتفرّق بين الأُمّة؟

ونقل قول الخلّال: أهلكهم وضع الكتب، تركوا آثار رسول الله (ص) وأقبلوا على الكلام.

ونقل قول المروذى: يضعون البدع فى كتبهم، إنّما أحذر منها أشدّ التحذير.

قال ابن القيم معلِّقاً: وكلام أحمد فى هذا كثير قد ذكره الخلّال فى كتاب العلم.

وقال: ومسألة وضع الكتب فيها تفصيل ليس هذا موضعه، وإنّما كره أحمد ذلك الوضع منه لما فيه من الاشتغال به والإعراض عن القرآن والسنّة والذبّ عنهما، وأمّا كتب إبطال الآراء والمذاهب المخالفة لهما فلا بأس، وقد تكون واجبة مستحبّة ومباحة بحسب اقتضاء الحال. والمقصود أنّ هذه الكتب المشتملة على الكذب والبِدْعة يجب إتلافها وإعدامها، وهى أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر، فإنّ ضررها أعظم من ضرر هذه، ولا ضمان فيها كما لا ضمان فى كسـر أوانى الخمر.

ص:۱۱۴

والسؤال هنـا: أليس هـذا الكلام ينطبق على كتب الوهّابيّـة التى أوقعت الفرقـة والخلاف بين المسلمين، ونشرت التطرّف والإرهاب وسطهم؟

ثمّ يقول ابن القيّم: وأمّا أهل البِدَع الموافقون لأهل الإسلام ولكنّهم مخالفون فى بعض الأُصول - كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم - فهؤلاء أقسام:

أحدها: الجاهل المقلّد الذى لا بصيرة له، فهذا لا يُكفّر ولا يُفسّق ولا تُردّ شهادته، إذا لم يكن قادراً على تعلّم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والوِلْدان الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً، فأُولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّاً غفوراً.

القسم الثانى: المتمكّن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياه ورياسته ولذّته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركى بعض الواجبات فإن غلب ما فيه من البِدْعة والهوى على ما فيه من السنّة والهدى رُدّت شهادته، وإن غلب ما فيه من السنّة والهدى قُبلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسأل فيطلب ويتبيّن له الهدى، ويتركه تقليداً أو تعصّباً أو بُغضاً أو معاداةً لأصحابه، فهذا أقلّ درجاته: أن يكون فاسقاً، وتكفيره، محل اجتهاد وتفصيل، فإن كان معلناً داعية رُدّت شهادته وفتاويه وأحكامه مع القدرة على ذلك، ولم تقبل له شهادة ولا فتوى ولا حكم إلاّ عند الضرورة كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم، وكون القضاة والمفتين والشهود منهم، ففى ردّ شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير، ولا يمكن ذلك فتقبل للضرورة.

ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ ابن القيّم شكّل الدعامة الثانية لفكر الإرهاب والتطرّف التى ارتكز عليها الوهّابيّون.

ص:۱۱۵

محمّد بن عبدالوهاب باعث الإرهاب

اشارة

لاـ ينكر أنّ فترة القرن الثامن عشر كانت تحتاج إلى صحوة إسلامية وتجديد فعلى للفكر الإسلامى، إلّا أنّ ما فعله محمّد بن عبد الوهاب وما دعا إليه لم يكن صحوةً ولم يكن إصلاحاً لحال المسلمين.

ولم يكن محمّدبن عبدالوهاب ليبرز بدعوته لولاـ تراث ابن تيمية ودعم آل سعود، وهذا يعنى افتقاده المقوّمات الذاتية من الفقه والاجتهاد والزعامة.

من هنا فإنّ الخوض فى تراث محمّد بن عبد الوهاب يعنى الخوض فى تراث ابن حنبل، وابن تيمية، وابن القيّم، وغيرهم من الحنابلة المتطرّفين، فهو لم يأت بجديد وإنّما قام ببعث هذا التراث الذى طواه النسيان وغاب عن الأذهان.

قرن الشيطان

ينتمى محمّد بن عبد الوهاب إلى منطقة نجد، وهى نفس منطقة آل سعود، وقد وُلد عام (۱۱۱۵ هـ - ۱۷۰۳ م) فى بلدة العيينة شمال الرياض.

وكان حادّ المزاج يعشق ابن تيمية ويتقمّص شخصيته.

ص:۱۱۶

وتروى كتب الأحاديث أنّ رسول الله (ص) ذمّ نجد وأهلها وحذّر المسلمين من شرّهم.

الرواية الأُولى تقول: ألا إنّ الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان، وأشار إلى نجد.

والرواية الثانية تقول: الفتنة من قِبَل المشرق؛ حيث يطلع قرن الشيطان.

والرواية الثالثة تقول: اللّهمّ بارك لنا فى شامنا وفى يمننا.

قالوا: وفى نجدنا يا رسول الله: فكرّروا ثلاثاً ورسول الله يدعو للشام واليمن، ثمّ قال: تلك مواضع الزلازل والفتن. (۱)

إلّا أنّ فقهاء الوّهابيّة لم يتركوا هذه الروايات تمرّ مرور الكرام؛ خوفاً من أن يستثمرها خصومهم، فعملوا على تأويلها وصرفها عن معناها.(۲)

وكان محمّد بن عبد الوهاب قد درس الفقه والحديث على يد والده إلّا أنّه لم يفلح، ثمّ تنقّل فى البلاد طلباً للعلم وقد طاب له المقام بالبصرة، إلّا أنّ أهلها أخرجوه منها وطردوه حافياً، بسبب دخوله فى صدام مع الفقهاء، وإنكاره عليهم زياراتهم لمقابر الأولياء والتوسّل بهم، فتوجّه بعدها إلى الشام ولم يوفّق فيها، وعاد إلى نجد حيث لازم أباه، وعكف على كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم.

ثمّ بدأ بعد ذلك فى الاحتكاك بالناس ودعوتهم إلى أفكاره فكان أن اصطدم به والده وشقيقه سليمان، وحارباه، ولم يتسطع الجهر بدعوته إلّا بعد وفاة أبيه، إلّا أنّه أُجبر على الفرار من (حريملا) بعد أن نجا من محاولة لقتله، واتّجه نحو (العيينة) مسقط رأسه، واحتمى بحاكمها ودعاه إلى مذهبه فمال إليه، ثمّ تراجع عن نصرته بعد أن أحسّ بغضب حاكم الأحساء، الذى أرسل يطلب رأس ابن عبد الوهاب، فأمر بإخراجه، وأرسل معه فارساً وكّله بقتله فى الطريق.(۳)

۱- انظرالبخارى ومسلم كتاب الفتن.

۲- أصدر الوهّابيون منشوراً يشرحون فيه هذا الحديث بما يدفع الشبهات عن ابن عبد الوهاب وآل سعود.

۳- انظرمحمّد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، لابن باز، ط السعودية، يُهدى ولا يُباع.

ص:۱۱۷

وتروى الکتب الوهّابیّـهٔ أنّ هـذا الفارس ارتعدت یداه ولم یتمکّن من قتله، فنزل ابن عبد الوهاب (الدرعیهٔ) وهناک تعرّف علیه أمیرها محمّد بن سعود.(۱)

– الدم. . الدم، والذهب. . الذهب.

ویروی أنّ ابن سعود دخل علی ابن عبد الوهاب قائلًا: أبشر بالخیر والعِزّ والمنعهٔ.

وکان ردّ ابن عبد الوهاب: وأنت أبشر بالیُمن والغلبهٔ علی جمیع بلاد نجد.

ورجاه أن یکون إماماً یجتمع علیه المسلمون ویکون له الملک والسیادهٔ ومن بعده فی ذرّیّته.

قال ابن سعود: أبشر بالنصر لما أمرت به والجهاد لمَن خالف التوحید ولکنّی أشترط علیک شرطین:

الأوّل: إذا نحن قمنا بنصرتک والجهاد فی سبیل الله وفتح الله لنا ولک البلاد لا ترحل عنّا ولا تستبدلنا بغیرنا.

الثانی: أنّ لی علی أهل الدرعیهٔ خراجاً آخذه منهم فی وقت اقتطاف الثمّار فلا تمنعنی من استیفائه منهم.

فقال ابن عبد الوهاب: أمّا الأُولی فامدد یدک لأبایعک، فمدّها له وقبض علیها الشیخ قائلًا: الدم بالدم والهدم بالهدم.

وأمّا الثانیهٔ فلعلّ الله یفتح لنا الفتوحات فیعوّضک من الغنائم ما هو خیر منها.(۲)

وتمّ الاتّفاق وبدأ ابن عبد الوهاب یخطّط لدعوته.

وابن سعود یخطّط لملکه.

وهکذا تمّ تقسیم السلطات وتوزیع الاختصاصات.

وهکذا أعمل السیف فی رقاب المسلمین فی جزیرهٔ العرب، المناهضین لدعوهٔ التوحید التی یرفع رایتها محمّد بن عبد الوهاب.

۱- المرجع السابق، وانظر تاریخ الجزیرهٔ العربیهٔ فی عصر محمّد بن عبد الوهاب لخزعل.

۲- محمّد بن عبد الوهاب لابن باز.

ص:۱۱۸

وأُحلّت لابن سعود الغنائم بفتوی ابن عبد الوهاب.

وسار کلاهما فی طریق جانبه ذهب وجانبه الآخر دماء.

وربح ابن سعود الملک والذهب.

وربح ابن عبد الوهاب منصب شیخ الإسلام فی جزیرة العرب.

وکان هذا الاتّفاق بمثابة تأکید لشرعیة فصل الدین عن الدولة.

عقیدة ابن عبدالوهاب

لکن السؤال الذی یفرض نفسه هنا هو: هل جاء محمّد بن عبد الوهاب بش-یءٍ جدید؟

والإجابة: أنّ عقیدة ابن عبد الوهاب هی عقیدة الحنابلة وابن تیمیة علی وجه الخصوص، تلک العقیدة التی تقوم علی ما یلی:

* الروایات.

* السلف من الحنابلة.

* تکفیر المخالفین واستحلالهم.

وعلی أساس الروایات وأقوال الحنابلة بنی ابن عبد الوهاب عقیدته التی أسماها عقیدة التوحید.

وما دامت عقیدته هی عقیدة التوحید فإنّ مَن یخالفه أو یناهضه فهو من المش-رکین المستباحین.

من هنا فإنّ محمّد بن عبد الوهاب نهض بسیف ابن سعود للقضاء علی ما أسماه بالشرک والضلال فی جزیرة العرب.

نهض ابن عبـد الوهاب لیـدعوا إلی توحیـد العبودیة لله؛ حیث إنّ الناس فی زمانه قد أشـرکوا فی عبادة الله الأنبیاء والأولیاء والأشـجار، ونذروا لها، وحلفوا بها، وقدّسوها. . !

ص:۱۱۹

ويدعو إلى رفض التوسّل بالأموات من الأنبياء والصالحين. .

ويدعو إلى منع شدّ الرحال إلى مساجد الأنبياء والصالحين (الزيارة) ،

ويدعو إلى منع البناء على القبور وكسوتها وإنارتها.

ويدعو إلى توحيد الأسماء والصفات، أى: وصف الله بما ورد فى الروايات من أنّ له يداً وعيناً ورجلاً ويضحك ويغار ويفرح ويهبط ويصعد وما شابه ذلك، ورفض تأويل هذه الروايات وصرفها عن معناها الظاهرى إلى معنى مجازى.

ويدعو إلى إنكارالاحتفال بمولد الرسول (ص) ، وإحياء المناسبات والصلاة على الرسول بعد الآذان والتلفّظ بالنيّة، وغيرها من الأُمور الشكلية والهامشية التى لاـ تُقدّم ولاـ تُؤخّر، بل كانت النتيجة - من وراء إثارتها - أن ازداد واقع المسلمين تصدّعاً وسادته الفرق المتطرّفة المعوجّة التفكير، التى نشرت الإرهاب فى كلّ مكان، وشوّهت الإسلام.

ويبدو من خلال هذه الأُمور - التى دعا إليها ابن عبد الوهاب -أنّه لم يأت بجديد، وأنّ مثل هذه الأفكار طرحها من قبل ابن تيمية وتمّ ضربها وانتهت بموته فى الحبس.

إلاّ أنّ الفارق بين ابن تيمية وابن عبد الوهاب، أنّ ابن تيمية لم يجد له نصيراً يدعمه بسيفه، بينما تحقّق لابن عبد الوهاب ذلك.

من هنا يمكن القول: إنّ عقيدة ابن عبد الوهاب فُرضت على الناس بالسيف لابالدعوة والحوار.

ولو كانت دعوته تعتمد على الحوار والتبليغ لما كانت هناك حاجة لسيف ابن سعود.

الرسول ومحمّد بن عبدالوهاب

وفتن الوهّابيون بشيخهم كما فتن أنصار وتلامذة ابن تيمية بإمامهم من قبل، ورفعوه عالياً فوق مقام الأئمّة والمصلحين حتّى ساووه بالرسول (ص) .

ص:۱۲۰

وإليكم التفاصيل:

يحدّد أحد تلامذة الوهّابية وجه المشابهة بين عص–ر الرسول (ص) وعص–ر محمّد بن عبدالوهاب بقوله:

* (عصر الرسول كان عصراً قد بلغ من فساد العقائد والعادات والأخلاق مبلغاً عظيماً، وكان عصر ابن عبد الوهاب شبيهاً بهذا العصر.

* بُعث الرسول (ص) بعد فترةٍ من الرسل، والبشرية متعطّشة إلى بعثته الكريمة.

وجاء محمّد بن عبد الوهاب فی وقتٍ كانت جزيرة العرب فی أمس الحاجة إلى مصلح يرجع بها إلى تعاليم الرسول (ص) .

* كما وُفّق نبيّنا فی الدعوة إلى الله وتوحيده ونبذ الشرك، وُفّق محمّد بن عبدالوهاب فی دعوته.

* أُخرج الرسول (ص) من مكّة وأُوذی من قريش وأجمعوا على قتله فهاجر، وكذلك ابن عبد الوهاب أُوذی وحاول البعض قتله فهاجر إلى الدرعية.

* كما جرى للرسول (ص) وهو فی طريقه نحو المدينة أن تبعه سراقة وحاول قتله، كذلك جرى ذلك لابن عبد الوهاب حين أُخرج من العيينة.

* وكان ابن عبد الوهاب يعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل رسول الله.

* ومثلما اعترض الرسول (ص) الخطر والكوارث والهلاك، اعترضت حياة ابن عبدالوهاب الويلات والكوارث.

* وكما كان الرسول (ص) يغزو بنفسه، كان ابن عبد الوهاب يغزو بنفسه مع ابن سعود.

* وكما كان الرسول (ص) يرسل الرسل إلى الملوك والحكّام يدعوهم إلى دين التوحيد، كان ابن عبد الوهاب يفعل نفس الشیء.

* وكما ابتُلی الرسول (ص) بأعداء أقوياء يتّهمونه بالسحر والكذب، ابتُلی ابن عبدالوهاب أيضاً بأعداء أقوياء اتّهموه بالكذب والسحر، حتّى أخوه سليمان كان عدوّاً لدوداً له.

ص:۱۲۱

* وكما انتصر الرسول (ص) على أعدائه وخضعوا له، كذلك ابن عبد الوهاب انتصر على أعدائه وخضعوا له.

ويعتبر الوهّابيون أنّ الاتّفاق الذى وقع بين ابن عبد الوهاب ومحمّد بن سعود هو نفس الاتّفاق الذى تمّ بين الرسول (ص) والأنصار فى بيعة العقبة الثانية حتّى أنّ ابن عبدالوهاب قال نفس ما قاله الرسول: الدم بالدم والهدم بالهدم.

وكما آخى الرسول (ص) بين المهاجرين والأنصار آخى محمّد بن عبد الوهاب بين المهاجرين إليه من مريديه وأهل الدرعية التى اتّخذها مقرّاً لدعوته.۹(۱)

رسائل وقذائف

وتدور مؤلّفات ابن عبد الوهاب فى أغلبها حول ما اعتبره من الشرك والبدع التى قام لمناهضتها باعتبارها متناقضة مع التوحيد، حسب منظوره، وهى لاتُعدّ مؤلّفات بالمعنى المعروف؛ لكونها لا تخرج عن كونها رسائل صغيرة محشوّة بالروايات المبعثرة، ولا أثر فيها لجهد علمى أو اجتهاد شخصى سوى بعض الكلمات الصارخة المتطرّفة فى وجه المخالفين، وهو ما دفع بالوهّابيين إلى الإسراع لسدّ عورات هذه الرسائل بشرحها والإضافة عليها، ودعمها بالروايات وأقوال ابن تيمية وابن القيّم وغيرهما من الحنابلة المتطرّفين.(۲)

ومن هذه الرسائل:

التوحيد الذى هو حقّ الله على العبيد.

مسائل الجاهلية.

۱- انظر محمّد بن عبد الوهاب.

۲- انظر فى هذا مقدّمة رسائل لخّصها محمّد بن عبد الوهاب من كتب ابن تيمية حيث قال المحقّق: وقد تبيّن لى من خلال قراءة الكتاب أنّه غير منتظم العبارات، ويوجد به انقطاع فى بعض الكلام، وأرجع ذلك إلى تص-رّف بعض الناسخين، ثمّ قال: وقد قمنا بإصلاح ما قدرنا على إصلاحه بمراجعة كتب ابن تيمية.

ص:۱۲۲

أُصول الإيمان.

الكبائر.

مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد.

كشف الشبهات، وهو الكتاب الذى فرضه آل سعود على أهل مكّة حين سقطت فى أيديهم، وأجبروا الناس على قراءته وتدريسه بالحرم المكّى.

وقد قسّم ابن عبد الوهاب التوحيد إلى ثلاث أقسام سيراً مع نهج ابن تيمية:

القسم الأوّل: توحيدالأُلوهية.

القسم الثانى: توحيد الربوبية والملك.

القسم الثالث: توحيد الاسماء والصفات.

يقول: ولا إله إلّا الله اشتملت على نفى وإثبات فنفت الأُلوهية عن كلّ ما سوى الله تعالى، فكلّ ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلًا عن غيرهم، فليس بإله ولا له من العبادة شىء، وأُثبتت الأُلوهية لله وحده بمعنى: أنّ العبد لا يأله غيره، أى: لايقصده بشىءٍ من التألّه وهو تعلّق القلب الذى لا يوجب قصده بشىء من أنواع العبادة، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك، وبالجملة فلا يأله إلّا الله، أى: لا يعبد إلّا هو، فمَن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملًا بمقتضاها من نفى الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمّنه من ذلك والعمل به؛ فهذا هو المسلم حقّاً، فإن عمل به ظاهراً من غير اعتقاد فهو المنافق، وإن عمل بخلافها من الشرك فهو كافر ولو قالها، وكذلك مَن يقولها مَن يصرف أنواع العبادة لغير الله كعبادة القبور والأصنام؛ فلا تنفعهم ولا يدخلون فى الحديث الذى جاء فى فضلها وما أشبهه من الأحاديث.

وعبّاد القبور لمّا رأوا النبى (ص) دعا قومه إلى قول لا إله إلّا الله ظنّوا إنّما دعاهم إلى النطق بها فقط، وهذا جهلٌ عظيم، إنّما دعاهم إليها ليقولوها ويعملوا بمعناها ويتركوا عبادة غير الله.

وأمّا عبّاد القبور فلم يعرفوا معنى هذه الكلمة، ولا عرفوا الإلهيّة المنفيّة عن غير الله

ص:۱۲۳

الثابتة له وحده لا شريك له، بل لم يعرفوا من معناها إلاّ ما أقرّ به المؤمن والكافر واجتمع عليه الخلق كلّهم /وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ/. (يوسف: ۱۰۶)

وعبّاد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها وأبوا عن الإتيان به فصاروا كاليهود الذين يقولونها ولا يعرفون معناها ولا يعملون به، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله، والمدفون فى التراب أعظم فى قلبه من ربّ الأرباب، وأكثرهم يرى أنّ الاستغاثة بإلهه الذى يعبده عند قبره أو غيره أنفع وأنجع من الاستغاثة بالله فى المسجد ويصرّحون بذلك.

وكثير منهم عطّلوا المساجد وعمّروا القبور والمشاهد.

قال رسول الله (ص) : أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا؛ لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا منّى دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله تعالى.

فهذا الحديث كآية براءة بيّن فيه ما يقاتل عليه الناس ابتداءً، فإذا فعلوه وجب الكفّ عنهم إلاّ بحقّه، فإن فعلوا بعد ذلك ما يناقض هذا الإقرار والدخول فى الإسلام وجب القتال، حتّى يكون الدين كلّه لله، بل لو أقرّوا بالأركان الخمسة وفعلوها وأبوا عن فعل الوضوء للصلاة ونحوه، أو عن تحريم بعض محرمات الإسلام كالربا والزنا أو نحو ذلك، وجب قتالهم إجماعاً ولم تعصمهم لا إله إلاّ الله ولا ما فعلوه من الأركان، وهذا من أعظم ما بيّن معنى لا إله إلاّ الله، وأنّه ليس المراد منها مجرّد النطق، فإذا كانت لا تعصم مَن استباح محرّماً، أو أبى عن فعل الوضوء مثلاً، بل يقاتل على ذلك حتّى يفعله، فكيف تعصم مَن دان بالشرك وفعله وأحبّه ومدحه وأثنى على أهله ووالى عليه وعادى عليه، وأبغض التوحيد الذى هو إخلاص العبادة لله، وتبرّأ منه وحارب أهله وكفّرهم وصدّ عن سبيل الله كما هو شأن عبّاد القبور.

وقد أجمع العلماء على أنّ مَن قال: لاإله إلاّ الله وهو مشرك أنّه يقاتل حتّى يأتى بالتوحيد.

ص:۱۲۴

واستشهد الشارح بفتوى ابن تيمية (الياسق) التى أشرنا إليها سابقاً.

ونقل قول ابن تيمية: وهؤلاء عند المحقّقين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام بمنزلة مانعى الزكاة، ومثل هذا كثير فى كلام أهل العلم.

ثمّ قال: ويكفى للعاقل المنصف ما ذكره العلماء من كلّ مذهب فى باب حكم المرتد، فإنّهم ذكروا فيه أشياء كثيرة يكفر بها الإنسان، ولو أتى بجميع الدين، وهو صريح فى كفر عبّاد القبور، ووجوب قتالهم إن لم ينتهوا؛ حتّى يكون الدين لله وحده، فإذا كان مَن التزم شرائع الدين كلّها إلّا تحريم الميسر، أو الربا، أو الزنا، يكون كافراً يجب قتاله، فكيف بمَن أشرك بالله، ودعا إلى إخلاص الدين لله والبراءة والكفر بمَن عبد غير الله فأبى عن ذلك واستكبر وكان من الكافرين؟

ونقل عن ابن تيمية قوله فى الرسالة السنية: فإذا كان فى عهد النبى (ص) مَن انتسب إلى الإسلام ومرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أنّ المنتسب للإسلام والسنّة فى هذا الزمان – أيضاً – قد يمرق من الإسلام؛ وذلك لأسباب، منها: الغلو فى بعض المشايخ، بل الغلو فى على بن أبى طالب، بل الغلو فى المسيح (ع) ، فكلّ مَن غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: يا سيّدى فلان انصرنى أو أغثنى أو ارزقنى وأجرنى، أو أنا حسبك ونحو هذه الأقوال، فكلّ هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلّا قُتل؛ فإنّ الله إنّما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُعبد وحده ولا يُدعى معه إله آخر.

ونقل عنه أيضاً قوله: مَن جعل بينه وبين الله وسائط يتوكّل عليهم يدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً.

قلت – أى: الشارح –: وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين.

ونقل عن ابن النحاس الشافعى قوله فى كتاب الكبائر: ومنها إيقادهم السرج عند الأحجار والأشجار والعيون والآبار، ويقولون: إنّها تقبل النذور، وهذه كلّها بِدَع شنيعة ومنكرات قبيحة تجب إزالتها ومحو آثارها، فإنّ أكثر الجهّال يعتقدون أنّها تنفع

ص:۱۲۵

وتضر، وتجلب وتدفع، وتشفى المرض، وتردّ الغائب إذا نذر لها، وهذا شرك ومحادة لله تعالى والرسول.

قال الشارح: فصرّح أنّ الاعتقاد فى هذه الأُمور أنّها تضرّ وتنفع، وتجلب وتدفع، وتشفى المريض وتردّ الغائب إذا نذر لها، إنّ ذلك شرك، وإذا ثبت أنّه شرك فلا فرق فى ذلك بين اعتقاده فى الملائكة والنبيين، ولا بين اعتقاده فى الأصنام والأوثان.

ونقل عن ابن القيّم قوله فى شرح المنازل عن الشرك: ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجّه إليهم، وهذا أصل شرك العالم. وأمرنا النبى (ص) إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحّم عليهم وندعوا لهم، فعكس المش-ركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعبد، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى التنقّص بالأموات، وهم قد تنقّصوا الخالق سبحانه بالشرك وأولياءه الموحّدين بذمّهم ومعاداتهم، وهؤلاء هم أعداء الرسل (ص) فى كلّ زمانٍ ومكان.

ونقل قول ابن تيمية: مَن تشبّه من هذه الأُمّة باليهود والنصارى وغلا فى الدين بإفراطٍ فيه أو تفريط، وضاهاهم فى ذلك؛ فقد شابههم كالخوارج المارقين من الإسلام، وكذلك مَن غلا فى دينه من الرافضة والقدرية والجهمية والمعتزلة والأشاعرة.(۱)

وكان محمّد بن عبد الوهاب قد كتب العديد من الرسائل التى وجّهها إلى خصومه؛ يدافع فيها عن نفسه وعن أفكاره ومعتقداته وما نُسب إليه من الخروج عن الإجماع وتكفير المسلمين، وقد جمع الوهّابيون هذه الرسائل فى كتابٍ أسموه: (مؤلّفات محمّد ابن عبدالوهاب فى العقيدة) .

قال فى الرسالة الأُولى: أمّا أنّى أقول: لا يتمّ إسلام الإنسان حتّى يعرف معنى لاإله إلاّ الله، وأنّى أعرف مَن يأتينى بمعناها، وأنّى أكفّر الناذر إذا أراد بنذره التقرّب لغير الله

۱- انظر تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد.

ص:۱۲۶

وأخذ النذر لأجل ذلک، وأنّ الذبح لغیر الله کفر والذبیحهٔ حرام، فهذه المسائل حقّ وأنا قائل بها.

وفی الرسالهٔ الثالثهٔ التی تتکوّن من أربعهٔ مسائل، کان عنوان المسألهٔ الأُولی: بیان التوحید مع أنّه لم یطرق آذان أکثر الناس.

والثانیهٔ کان عنوانها: بیان الشرک ولو کان فی کلام مَن ینتسب إلی العلم أو عباده.

والثالثهٔ کان عنوانها: تکفیر من بان له أنّ التوحید هو دین الله ورسوله ثمّ أبغضه ونفّر الناس منه وجاهد من صدّق الرسول فیه.

والرابعهٔ کان عنوانها: الأمر بقتال هؤلاء خاصّهٔ حتّی لا تکون فتنهٔ ویکون الدین کلّه لله.

وفی الرسالهٔ الثانیهٔ والعشرین قال: اعلم أنّ المشرکین فی زماننا قد زادوا علی الکفّار فی زمن النبی (ص) بأنّهم یدعون الملائکهٔ والأولیاء والصالحین ویریدون شفاعتهم والتقرّب إلیهم، وقد یکون لأعداء التوحید علوم کثیرهٔ وکتب وحجج /فَلَمَّا جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ/. (غافر: ۸۳)

فإذا عرفت ذلک وعرفت أنّ الطریق إلی الله لابدّ له من أعداء قاعدین علیه، أهل فصاحهٔ وعلم وحجج، کما قال تعالی: /وَ لا تَقْعُدُوا بِکُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ/ (الاعراف: ۸۶) ، فالواجب علیک أن تعلم عن دین الله ما یصیر لک سلاحاً تقابل به هؤلاء الشیاطین الذین قال إمامهم ومقدّمهم لربّک عزّ وجلّ: /لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَکَ الْمُسْتَقِیمَ * ثمّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَکْثَرَهُمْ شاکِرِینَ/ (الاعراف: ۱۶و۱۷) ، ولکن إذا أقبلت علی الله وأصغیت إلی حجج الله وبیانه فلا تخف ولا تحزن إنّ کید الشیطان کان ضعیفاً، والعالم من الموحّدین یغلب ألفاً من علماء هؤلاء المشرکین کما قال الله تعالی: /وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ/ (الصافات: ۱۷۳) ، فجند الله هم الغالبون بالحجّهٔ واللسان، کما أنّهم الغالبون بالسیف والسنان.

ص:۱۲۷

وأمّا التكفير فأنا أكفّر من عرف دين الرسول ثمّ بعد ما عرفه سبّه ونهى الناس عنه وعادى مَن فعله، فهذا الذى أُكفّر.

وفى الرسالة الثانية والثلاثين قال: إنّ من أعظم نواقض الإسلام عشرة:

الأوّل: الشرك فى عبادة الله وحده لا شريك له، ومنه الذبح لغير الله كمَن يذبح للجن والقباب /إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ/. (النساء: ۴۸)

الثانى: مَن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة؛ كفر إجماعاً.

الثالث: مَن لم يكفّر المشركين أو شكّ فى كفرهم أو صحّح مذهبهم كفر إجماعاً.

الرابع: مَن اعتقد أنّ غير هدى النبى أكمل من هديه، أو حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضّلون حكم الطاغوت على حكمه، فهو كافر.

الخامس: مَن أبغض شيئاً ممّا جاء به الرسول ولو عمل به كفر إجماعاً، والدليل قوله تعالى: /ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ/. (محمد: ۹)

السادس: مَن استهزأ بشىء من دين الله أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: قُلْ أَ بِاللَّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ. (التوبة:۶۵و۶۶)

السابع: السحر فمن فعله أو رضى به كفر، والدليل قوله تعالى: /وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ/. (البقرة: ۱۰۲)

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: /وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ/. (المائدة: ۵۱)

التاسع: مَن اعتقد أنّ بعض الناس لا يجب عليه اتّباعه (ص) ، وأنّه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلّمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثمّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ . (السجدة: ۲۲)

ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلاّ المكره، وكلّها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً.

ص:١٢٨

ومن المعروف أنّ الإنجليز عندما برزوا في المشرق الإسلامي دعموا مجموعة من الفرق التي برزت في واقع المسلمين من أجل هدم الإسلام وتفريق المسلمين وزرع العداوة والبغضاء بينهم، وعلى رأس هذه الفرق كانت القاديانية في الهند، والبهائية في فارس، ثمّ الوهّابية في جزيرة العرب.

وهذا يعني أنّ الوهّابية تعاونت مع المشركين وتحالفت معهم على المسلمين ممّا يُشير إلى أنّ ابن عبد الوهاب نقض إسلامه حسبما ذكر في البند الثامن.

وكذلك أتباعه من الوهّابيّين وعلى رأسهم ابن باز الذين أفتوا بجواز الاستعانة بالمشركين وتظاهروا معهم على المسلمين، بل ومنحوهم الفرصة للتمكّن في جزيرة العرب من أجل ضرب المسلمين.(١)

وفي الرسالة الثالثة والثلاثين قال: ولو ذهبنا لعدد من كفّره العلماء مع ادّعائه الإسلام وأفتوا بردّته وقتله لطال الكلام، لكن من آخر ما جرى قصّة بني عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدّعون أنّهم من أهل البيت، ويصلّون الجمعة والجماعة، ونصّبوا القضاة والمفتين، أجمع العلماء على كفرهم وردّتهم وقتالهم، وأنّ بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم.

مسائل الجاهلية

قال ابن عبد الوهاب في مقدّمة هذا الكتاب: هذه مسائل طالب فيها رسول الله (ص) ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأُمّيين ممّا لا غنى لمسلم عن معرفتها، فالضدّ يظهر حسنه الضدُّ، وبأضدادها تتميّز الأشياء، أهمّ ما فيها وأشدّها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به رسول الله، فإنّ انضاف إلى ذلك استحسان دين الجاهلية والإيمان به تمّت الخسارة، والعياذ بالله تعالى، كما قال الله تعالى: /وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا

١- قام ابن باز بشرح هذه النواقض العشر ونشرها.

ص:۱۲۹

بِاللَّهِ أُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ/. (العنکبوت: ۵۲)

- إنّهم یتعبّدون بإشراک الصالحین فی دعاء الله تعالی.

وهذه المسألة هی الدین کلّه، ولأجلها تفرّق الناس بین مسلمٍ وکافرٍ، وعندها وقعت العداوة، ولأجلها شُرّع الجهاد.

- إنّهم متفرّقون ویرون السمع والطاعة مهانة ورذالة.

- إنّ مخالفة ولیّ الأمر وعدم الانقیاد له عندهم فضیلة، وبعضهم یجعله دیناً.

وهذه الثلاث هی التی ورد فیها ما فی الصحیح عنه (ص) : یرضی لکم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشرکوا به شیئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جمیعاً، وأن تناصحوا مَن ولّاه الله أمرکم.

- الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل.

- الاقتداء بفلسفة أهل العلم وجهّالهم وعبّادهم.

- الاحتجاج بما کان علیه أهل القرون السالفة من غیر تحکیم العقل والأخذ بالدلیل الصحیح.

- الاعتماد علی الکثرة والاحتجاج بالسواد الأعظم، والاحتجاج علی بطلان الشیء بقلّة أهله.

- الاستدلال علی بطلان الشیء بکونه غریباً.

- الاستدلال علی المطلوب والاحتجاج بقوم أعطوا من القوّة فی الفهم والإدراک، وفی القدرة والملک ظنّاً أنّ ذلک یمنعهم من الضلال.

- الاستدلال بعطاء الدنیا علی محبّة الله تعالی.

- الاستدلال بالقیاس الفاسد وإنکار القیاس الصحیح وجهلهم بالجامع والفارق.

- الغلو فی الصالحین من العلماء والأولیاء.

- لا یقبلون من الحق إلّا ما تقول به طائفتهم.

- الاعتیاض عن کتاب الله بکتب السحر.

ص:۱۳۰

- تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وكم في هذا العصر مَن هو على شاكلتهم.

- معاداة الدين وموالاتهم لمذهب الكفّار، ومثل هؤلاء في الأُمّة كثير هجروا السنّة وعادوها، ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم.

- الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

- الشركة في الملك، كما تقوله المجوس، وهم فرق شتّى منهم المزدكية، ومنهم الخرمية وهم شرّ طوائفهم، وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والإسماعيلية والنصيرية والكيسانية والزرارية والحكمية وسائر العبيديين، الذين يسمّون أنفسهم الفاطميين، فالمجوس شيوخ هؤلاء كلّهم وأئمّتهم وقدوتهم، وإن كان المجوس قد يتقيّدون بأصل دينهم وشرائعهم، وهؤلاء لا يتقيّدون بدين من ديانات العالم ولا شريعة من الشرائع.

- اشتراء كتب الباطل واختيارها عليها، أي: على الآيات.

- التعصّب للمذهب والإقرار بالحق للتوصّل إلى دفعه.

- لبس الحق بالباطل وكتمانه.

- تلقيب أهل الهدى بالصابئة والحشوية.

- إنّ أصحاب البِدَع سمّوا أهل الحديث بالحشوية والنابتة والمتجبرة والجبرية، وسمّوهم الغثاء، وهذه كلّها لم يأت بها خبر عن رسول الله (ص) .

- دعاؤهم الناس إلى الضلال بغير علم.

- دعاؤهم الناس إلى الكفر مع العلم.

- الزيادة في العبادة كفعلهم يوم عاشوراء.

- أئمّتهم إمّا عالم فاجر، وإمّا عابد جاهل.

- اتّخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.

- اتّخاذ آثار أنبيائهم مساجد.

- اتّخاذ السرج على القبور.

ص:۱۳۱

مفید المستفید فی کفر تارک التوحید

ویبدأ ابن عبد الوهاب کتابه هذا باستعراض صور من حرکة الرسول (ص) بمکّة ومواجهاته مع المشرکین فیها، ثمّ یخرج بنتیجةٍ یستشهد بها علی صحّة دعوته وکونها امتداداً لدعوة الرسول (ص) .

قال: فتبیّن أنّ زبدة الرسالة الإلهیّة والدعوة النبویة هو توحید الله بعبادته وحده لا شریک له وکسر الأوثان، ومعلوم أنّ کسرها لا یستقیم إلّا بشدّة العداوة وتجرید السیوف، فتأمّل زبدة الرسالة.

من هنا انطلق محمّد بن عبد الوهاب رافعاً رایة التوحید، معتبراً مَن خالفه من المسلمین خارج دائرة التوحید وفی دائرة المشرکین، فشهر سیفه فی وجوههم وهدّم القباب والقبور معتبراً أنّها من الأوثان، وحرّم شدّ الرحال لزیارة قبور الأنبیاء والأولیاء والصالحین.

ومن الواضح من عنوان هذا الکتاب أنّه یحکم بکفر تارک التوحید الذی یدعو إلیه، وهذا یقود إلی تکفیر جمیع المسلمین المخالفین واعتبارهم أعداء التوحید، وینبنی علی هذا الحکم إراقة دماء المسلمین واستحلال أموالهم، وهو ما قام ابن عبدالوهاب بتطبیقه علی المسلمین المخالفین لدعوته فی جزیرة العرب وخارجها.

یقول فی کتابه: علی أنّ الذی نعتقده وندین به، ونرجو أن یثبّتنا الله علیه أنّه لو غلط فی مسألة المسلم إذا أشرک بالله بعد بلوغ الحجّة، أو المسلم الذی یفضّل هذا علی الموحّدین، أو یزعم أنّه علی الحق، أو غیر ذلک من الکفر الصریح، الذی بیّنه الله ورسوله، وبیّنه علماء الأُمّة، أما تؤمن بما جاءنا عن الله ورسوله من تکفیره ولو غلط من غلط.

وهذا الکلام شدید التطرّف یفصّل فیه ابن عبد الوهاب الأمر تجاه المخالفین لدعوته، ویعتبرهم کفّاراً ومن أهل الشرک والضلال.

فهو قد صنّف المسلمین المخالفین وبرّر حکمه علیهم کما یلی:

المشرک بالله بعد بلوغ الحجّة.

ص:۱۳۲

المفضّل للمشركين - أى: المخالفين من المسلمين - على الموحّدين.

الذى يزعم أنّه على حق.

كلّ ذلك عنده من الكفر الصريح.

الذى يدين بالتشيّع أو التصوّف ويعتقد بالتوسّل بالأنبياء والأولياء ويستمر على هذا المعتقد رافضاً حجج الوهّابيّين.

والذى يفضّل المخالفين على الوهّابيّين.

والذى يزعم بأنّه على حق دون الوهّابيّين.

وقد استشهد ابن عبد الوهاب فى هذا الكتاب بالكثير من كلام ابن تيمية، الذى ورد ذكره فى كتاب اقتضاء الصراط المستقيم وغيره من كتبه.

قال بعد أن استعرض كلام ابن تيمية حول استحلال دماء وأموال مَن قتلهم أبوبكر:

ومن أعظم ما يحل الإشكال فى مسألة التكفير والقتال عمّن قصر عن اتّباع الحق، إجماع الصحابة على قتال مانعى الزكاة وإدخالهم فى أهل الردّة وسبى ذراريهم وفعلهم فيهم ما صحّ عنهم، وهو أوّل قتال وقع فى الإسلام على مَن ادّعى أنّه من المسلمين. ثمّ ختم ابن عبد الوهاب كتابه باطلاق قذيفة شديدة الانفجار على المسلمين المخالفين بوضعه باب تحت عنوان:

باب فى وجوب عداوة أعداء الله الكفّار والمرتدين والمنافقين.

وقد دعم هذا الباب بعدد من النصوص القرآنية الموجّهة الى الكفّار والمستهزئين بالدين والذين يتولّونهم.

وتطبيق مثل هذه النصوص على المسلمين إنّما هى سنّة الحنابلة وابن تيمية ومَن سار على دربهم.

ولأبناء محمّد بن عبد الوهاب الكثير من الكتابات التى تدور فى نفس الدائرة، منها:

ص:۱۳۳

الکلمات النافعة فی المکفرات الواقعة (عبـد الله بن محمّـد بن عبد الوهاب) ، وخمس رسائل فی التوحید وأنواع الشـرک وطروّه علی المسلمین (عبـد الرحمـن بن حسن بن محمّـد بن عبـد الوهـاب) ، وثلاثـة رسائـل فی حکم السـفر إلی بلاـد الش-رک، وأوثـق عری الإیمان، وحکم موالاة أهل الإشـراک (سـلیمان بن عبـد الله بن محمّد بن عبد الوهاب) ، وفی رسالة حکم موالاة أهل الإشـراک فتوی تنصّ علی أنّ الذین یخطّئون أهل التوحید ویتّبعون المشـرکین من (أهل القباب) ویشهدون أنّهم علی حق وینص-رونهم هم کفّار من أشدّ الناس عدواة لله ورسوله (ص) .

وعلی أساس هذه الفتوی یصـبح جمیع المسلمین الذین لا یدینون بالوهّابیّة، ولا یتّبعون مذهب محمّد بن عبد الوهاب هم کفّاراً حلال الدم والمال، وهو ما طبّق بالفعل فی جزیرة العرب بسیوف البدو الأجلاف جنود ابن عبد الوهاب.

وهو ما یُطبّق الیوم فی بلاد المسلمین وغیرها علی ید الفرق الوهّابیة الإرهابیة المنتشرة فی کلِّ مکان.

ص:۱۳۴

ص:۱۳۵

ابن باز فقيه الفِرَق الوهّابيّة و ممثّل السَّلف

اشارة

تسلّم ابن باز مدافع ابن تيمية من إمامه محمّد بن عبد الوهاب، ومكمن الخطورة فی مدافع ابن باز أنّها تضرب فی جميع الاتّجاهات متّخذةً الحرم المكّی مقرّاً لها.

والأخطر من ذلک أنّها لاقت قبولاً لدی الفِرَق الوهّابيّة فحملتها نيابةً عنها.

وهكذا يمكن تحديد مسيرة هذه المدافع كما يلی:

من ابن تيمية إلی محمّد بن عبد الوهاب.

ومن محمّد بن عبد الوهاب إلی ابن باز.

ومن ابن باز إلی الفِرَق الوهّابيّة.

من هو ابن باز؟

يقول ابن باز عن نفسه: أنا عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمّد بن عبدالله آل باز، وُلدت بمدينة الرياض فی ذی الحجّة عام (۱۳۳۰ه- ۹۰۹ م) ، وكنت بصيراً فی أوّل الدراسة، ثمّ أصابنی المرض فی عينی عام (۱۳۴۶ه) فضعف بصری بسبب ذلک، ثمّ ذهب بالكلّية فی مستهلّ محرّم من عام ۱۳۵۰ه.(۱)

۱- انظر مجوع فتاوی ومقالات ابن باز ج۱، ص۹.

ص:۱۳۶

وقد بدأ ابن باز الدراسة صغيراً، وما أن بلغ حتّى تسلّمه فقهاء الوهّابيّة من أبناء الشيخ محمّد بن عبد الوهاب، فتربّى على أيديهم ورضع منهم الفقه الحنبلى حتّى صار علماً من أعلام الوهّابيّة المعاصرة.

وفى عام (۱۳۵۷ ه-۱۹۳۶ م) رُشِّح للقضاء من قِبَل أحد أبناء الشيخ محمّد بن عبد الوهاب الذين تتلمّذ على أيديهم، ثمّ تولّى مهمّة التدريس فى علوم الفقه والحديث والتوحيد الوهّابى، ثمّ عُيّن نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة، وتولّى رئاستها بعد ذلك فى عام (۱۳۹۰ ه-) ، ثمّ بعد ذلك بخمس سنوات صدر الأمر الملكى بتعيينه فى منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد برتبة (وزير) واستمرّ يقبض بزمام هذا المنصب حتّى توفّى، وذلك بالإضافة إلى مناصب أُخرى كثيرة كان يشغلها، منها:

عضوية هيئة كبار العلماء.

رئاسة المجلس الأعلى للمساجد.

رئاسة المجمع الفقهى.

رئاسة المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى.

عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية بالمملكة.(۱)

ويلاحظ من خلال هذا العرض الموجز لحياة ابن باز أنّه رجل نشأ نشأة تقليدية، وتعلّم بطريقة تقليدية، وأنّ تعليمه لم يخرج عن الدائرة الحنبلية الوهّابيّة، وأنّه لم يخرج عن محيط المملكة فمن ثمّ ليس فى حياته أو نشأته ما يُلفت النظر، والشىء الملفت للنظر هو إمساكه بزمام هذه المناصب الدينية التى لا تتلاءم مع قدراته.

۱- انظر مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، ج۱.

ص:۱۳۷

مؤلفاته

وإذا ما أردنا أن نتعرّف على مدى ما يتحلّى به الرجل من فقه وعلم فيجب علينا إلقاء الضوء على مؤلَّفاته التى سوف ننتقى منها ما يلى:

* التحذير من البِدَع: حكم الاحتفال بالمولد النبوى وليلة الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان.

* وجوب العمل بسنّة رسول الله وكفر مَن أنكرها.

* حكم السفور والحجاب.

* نقد القومية العربية.

* الجواب المفيد فى حكم التصوير.

* حكم الإسلام فيمَن طعن فى القرآن أو فى رسول الله (ص) .

* محمّد بن عبدالوهاب: دعوته وسيرته.

* وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه.

* الأدلّة الحسّيّة على جريان الشمس وسكون الأرض.

* ما هكذا تعظّم الآثار.

* خطر مشاركة المرأة للرجل فى ميدان عمله.

* وجوب لزوم السنّة والحذر من البِدْعة.

* وجوب عداوة اليهود والمشركين وغيرهم من الكفّار.

* إقامة البراهين على حكم مَن استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرّافين.

* نواقض الإسلام.

* العقيدة الصحيحة وما يضادّها.

وجميع هذه المؤلّفات هى عبارة عن فتاوى ومحاضرات جمعها التلاميذ والأتباع وقاموا بنشرها وتوزيعها مجّاناً على المسلمين فى كلِّ مكان.

ص:۱۳۸

وجميعها تكفّلت بنشره وتوزيعه الجامعة الإسلامية فى المدينة، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد التى كان يهيمن عليها ابن باز.

ويبدو من ظاهرها أنّها تركّز على قضايا ومفاهيم قشرية وهامشية لا تسهم إلاّ فى خلق الخلاف وتأخّر المسلمين.

ويبدو منها – أيضاً – أنّها تحمل نزعة عدائية لكلّ مَن خرج عن دائرة الخطّ الوهّابى الحنبلى.

فتاوى ابن باز

تكتظّ الساحةُ الإسلامية اليوم بفتاوى ابن باز، بعضها مكتوب ومنشور، وبعضها كان يأتى عن طريق الهاتف، وبعضها كان يأتى عن طريق المراسلة.

ومن نماذج هذه الفتاوى:

* فتوى بالحكم بالشرك على مَن استغاث بالنبى (ص) أو الأولياء.

* فتوى بكفر مَن حلف بغير الله.

* فتوى بكفر الذين يأتون العرّافين والمنجمّين والسحرة وما شابههم.

* فتوى بكفر الذين يتعاملون مع أبراج الحظ والطالع.

* فتوى بوجوب إزالة الكنائس من دول الخليج وغيرها من بلاد المسلمين.

* فتوى بتحريم دراسة القوانين الوضعية أو تدريسها.

* فتوى بحرمة حلق اللحية.

* فتوى بحرمة الإحتفالات الدينية كالمواليد والمناسبات الأُخرى.

* فتوى بوجوب التحاكم لشرع الله ونبذ ما خالفه.

* فتوى بحرمة الأسورة النحاسية التى يُعالج بها مرض الروماتيزم.

* فتوى بكفر مَن أنكر سنّة الرسول (ص) .

ص:۱۳۹

* فتوى بحرمة الاختلاط بأهل الكتاب أو التشبّه بهم.

* فتوى بكفر مَن دعا أو طالب بتحكيم المبادئ الاشتراكية والشيوعية.

* فتوى بحرمة عمل المرأة.

* فتوى بحرمة قيادة المرأة السيّارة.

* فتوى بحرمة تعظيم الآثار (تدمير بيت الرسول (ص) والسيّدة خديجة بمكّة وسدّ غار حراء) .

* فتوى بحرمة الحداد على الملوك والزعماء.

* فتوى بحرمة التمثيل.

* فتوى بحرمة الصور والمجلّات المصوّرة.

* فتوى بحرمة ارتداء المرأة للساعة فى فترة العدّة للمتوفّى عنها زوجها.

* فتوى بحرمة بناء المساجد على القبور أو زيارتها والصلاة فيها.

* فتوى بعدم جواز الصلاة وراء المدخِّن، أو مرتدى الملابس العصرية.

* فتوى بجواز الصلح مع إسرائيل.

* فتوى بجواز الاستعانة بالمشركين (الأمريكان) .

* فتوى بثبوت الأرض وعدم دورانها، وبطلان الادّعاء بصعود القمر والكواكب.

* فتوى بحرمة ذهاب المرأة إلى الكوافير.(۱)

ويبدو من هذه الفتاوى أنّ الكثير منها صورة طبق الأصل من فتاوى ابن تيمية ومحمّد بن عبدالوهاب.

ويبدو - أيضاً - أنّها فتاوى موجّهة إلى المسلمين لردعهم عمّاهم فيه من غىّ وضلال وخروج عن نهج التوحيد الذى يرفع رايته ابن باز.

۱- انظر مجوع فتاوى ومقالات ابن باز ج۱.

ص:۱۴۰

عقیدهٔ ابن باز

وعقیـدهٔ ابن باز هی عقیـدهٔ ابن تیمیـهٔ، ومحمّد بن عبدالوهاب، ولا یوجد فارق بینهما سوی أنّ عقیدهٔ ابن باز ضـمّت فی دائرتها البِدَع والمنکرات، وصور الش-رک العص-ریهٔ التی لم یعایشـها ابن تیمیهٔ ومحمّد بن عبد الوهاب، وهی بِدَع ومنکرات وشـرک من منظور الحنابلهٔ الوهّابیّین بالطبع.

یؤکّد ابن باز أنّ المسـلم قد یرتد عن دینه بأنواع کثیرهٔ من النواقض التی تحل دمه وماله، ویکون بها خارجاً عن الإسـلام، ومن أخطر هـذه النواقض وأکثرهـا وقوعـاً النواقض العشـرهٔ التی ذکرهـا شـیخه ابن عبـد الوهـاب، والتی قام هو بش-رحها وتبسـیطها لیحـذّر منها المسلمین رجاء السلامهٔ والعافیهٔ.

ویعلّق ابن باز علی هذه النواقض بقوله: ولا فرق فی جمیع هذه النواقض بین الهازل والجاد والخائف، إلاّ المکره.

ومن خلال هـذا العرض الموجز لعقیدهٔ ابن باز یتبیّن لنا أنّ مدافع ابن باز جمیعها مدافع تکفیر تصـیب المسـلمین فی عقائدهم، وتخرج بهم عن ملّـهٔ الإسـلام. ویؤکّـد ابن باز، من خلال عقیدته، کفر وضـلال الذین یرفضون الروایات التی تؤدّی إلی التجسـیم والتشبیه فیما یتعلّق بصفات الله تعالی.

یقول ابن باز: وأمّا المنحرفون عن هذه العقیدهٔ والسائرون ضدّها فهم أصـناف کثیرهٔ، فمنهم: عباد الأصنام والأوثان والملائکهٔ والأولیاء والجن والأشجار والأحجار.

ومن العقائد الکفریهٔ ما یعتقده الملاحدهٔ فی هذا العصر من أتباع مارکس ولینین، وغیرهما من دعاهٔ الإلحاد والکفر، سواء سمّوا ذلک: اشتراکیهٔ، أو شیوعیهٔ، أو بعثیهٔ، أو غیر ذلک من الأسماء. . .

ومن العقائد المضادّهٔ للحق ما یعتقده المتصوّفهٔ فی الأولیاء، وهذا من أقبح الش-رک وهو شر من شرک الجاهلیهٔ.(۱)

۱- انظر مجموع فتاوی ومقالات ابن باز، ج۱.

ص:۱۴۱

ولا يزال ابن باز يطلق مدافعه على الشيعة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

ومَن سلك سبيلهم وتصدّى للروايات التى تتعلّق بصفات الله سبحانه وحاول أن يعطى للعقل دوراً فى مواجهتها.

وهكذا يؤكّد لنا ابن باز أنّه يعيش بعقل الماضى، عقل قدامى الحنابلة، حيث لا زال يتصوّر أنّ الناس تعكف على القبور والأضرحة كما كان مشركو العرب يعكفون حول الأصنام.

ولا زال يتصوّر أنّ خصوم الحنابلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لا زالوا يهدّدونهم.

وهو يستخدم فى مواجهة جميع هؤلاء وغيرهم من التيّارات الحديثة مصطلح أهل البِدَع.

وينصح ابن باز المسلمين - على الدوام - بضرورة معرفة التوحيد الصحيح، من خلال كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومَن سار فى ركابهما، فهؤلاء هم أهل الحق والفرقة الناجية مَن تخلّف عنهم ضلّ وهوى وكان من أهل النار!

بركات النفط

ولكن كيف أصبح لابن باز هذا الشيوع والانتشار بين المسلمين فى بقاع الأرض؟

والجواب ببساطة: إنّه النفط.

النفط هوالذى أتاح لابن باز أن يفتح الأبواب المغلقة، ويستقطب الرموز الإسلامية، ويموّل حركة النشر، ويغرق سوق الكتاب بآلاف المطبوعات المجّانية التى تمجّد ابن باز والوهّابيّة وخادم الحرمين.

عن طريق دعم دور النشر السلفية، وما أكثرها فى مصر وغيرها.

وعن طريق استقطاب الرموز الإسلامية وتيّاراتها.

وعن طريق توزيع الهبات والعطايا على المؤسّسات والمراكز الإسلامية فى العالم.

ص:۱۴۲

من هنا أصبحت الوهّابيّة هی الإسلام.

وأصبح ابن باز هو شيخ الإسلام وكبير الفقهاء فی هذا الزمان.

ابن باز أصبح كبير الفقهاء عندما تحوّل أهل الفقه وأرباب العلم إلى طلّاب دنيا.

ولو كان هناك سبب آخر مكّن ابن باز ورفع من مقامه غير هذا؛ لجزعنا وأنبنا وتبنا إلى الله توبةً نصوحاً.

وببركات النفط تمكّن ابن باز من تجنيد الرموز والتيارات والجماعات الإسلامية للوقوف صفّاً واحداً بجوار إخوانهم المجاهدين الموحّدين فی أفغانستان.

وببركات النفط تمكّن من تجنيدهم أيضاً للوقوف صفّاً واحداً ضدّ إيران أثناء حربها مع العراق.

وببركات النفط - أيضاً - تمكّن من تجنيدهم للوقوف صفّاً واحداً ضدّ صدّام بعد غزوه الكويت.

وهو الذی قد ختم حياته الحافلة بالفتاوی والمواقف الرجعيّة بجمع كلمة المسلمين للوقوف صفّاً واحداً مع أمريكا وإسرائيل.

فقاعات النفط

واليوم لا يقف فی مواجهة أصحاب العقل والرأی والفكر ابن باز ونفطه وحده، إنّما يقف فی مواجهتهم أيضاً الحنابلة الجدد، أو ما يمكن تسميته بفقاعات النفط من حداث الأسنان وسفهاء الأحلام، الذين لا يجاوز القرآن حناجرهم، والذين يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية كما بشّر بهم الرسول (ص) .

هذه الفِرَق التی أدارت ظهرها للواقع، ورفضت التعايش معه، ورفعت فی مواجهته لواء التكفير والاستحلال، هی من نتاج مدرسة ابن باز والفقه النفطی الوهّابی.

تأمّلوا هذا الكمّ الهائل من الكتب التی تسهم فی تخلّف العقل المسلم، وزرع

ص:۱۴۳

الشِقاق والخلاف بين المسلمين، وإشاعة الأمراض النفسيّة، وتقوية شوكة الإرهاب، وتهديد الاستقرار الوطنى.

فسوف تجدونها جميعها من نتاج ابن باز وتلامذته، مثل: صالح بن عثيمين، وصالح بن فوزان، وابن جبرين، وابن سبيل، وأبو بكر الجزائرى، والمدخلى، وغيرهم من فقاعات النفط.

وسوف تجدون عشرات دور النشر التى تعمل فى النور وليس لها من همٍّ سوى نشر هذه السموم وتسويقها بين المسلمين.

ص:۱۴۴

ص:۱۴۵

ابن عثیمین خلیفهٔ ابن باز

اشارهٔ

یُعدُّ صالح بن عثیمین من کبار تلامذهٔ ابن باز، السائرین علی نهجه، المستبسلین فی الدفاع عن الوهّابیّهٔ، المتربّصین بخصومها وبأصحاب الرأی والاتّجاهات المخالفهٔ من المعاصرین، الذین یتبنّون رؤیهً نقدیهً للروایات ولنهج سلفهم من الذین یدینون بعقائد وتصوّرات مخالفهٔ مثل الشیعهٔ والصوفیهٔ، أو التیارات التی تدین بالاشتراکیهٔ أو القومیهٔ أو العلمانیهٔ، وأصحاب المذاهب الإسلامیهٔ الأُخری التی لا تلتزم بمذهب ابن حنبل، وذلک بالإضافهٔ إلی أهل الذِمّهٔ - بالطبع - من المسیحیین الذین یجب أن یعیشوا کمواطنین من الدرجهٔ الثانیهٔ، ویعطوا الجِزْیهٔ لهم عن یدٍ وهم صاغرون.

وجمیع هؤلاء فی سلّةٍ واحدهٍ فی نظر ابن عثیمین وفقهاء الوهّابیّهٔ المعاصرین، والواجب الشرعی یحتّم تسلیط مدافعهم علیهم، وقصفهم بأشدّ أنواع القذائف؛ حتّی تتم إبادتهم أو استسلامهم وتخلّیهم عن بِدَعهم وضلالاتهم.

قذائف متعدِّدهٔ

وابن عثیمین حاله کحال أُستاذه ابن باز، یحمل الکثیر من المدافع الموجّههٔ إلی المسلمین فی کلِّ مکان، وسبب کثرهٔ هذه المدافع بین یدیه ویدی أُستاذه یعود إلی برکهٔ النفط ودعم آل سعود.

ص:۱۴۶

أمّا مدافع ابن عثیمین فهی أکثر من أن تُحصی، ویمکن تحدید أشهرها فیما یلی:

مدفع موجّه نحو المدخّنین.

مدفع موجّه نحو الصحف والمجلّات.

مدفع موجّه نحو المرأة.

مدفع موجّه نحو البنوک.

مدفع موجّه نحو شتّی صور الفنون.

مدفع موجّه نحو الصور والمصوِّرین.

مدفع موجّه نحو غیر الملتحین.

مدفع موجّه نحو الملابس والأزیاء.

مدفع موجّه نحو الشیعة.

مدفع موجّه نحو الصوفیة.

مدفع موجّه نحو العلمانیة.

مدفع موجّه نحو الأحزاب.

مدفع موجّه نحو القومیّة.

فابن عثیمین یری حرمة التدخین وعدم جواز الصلاة وراء المدخِّن، کما یری حرمة ومرتدی الملابس الإفرنجیة؛ لأنّها من أزیاء المشرکین الذین لا یجوز التشبّه بهم.

ولا یجیز ابن عثیمین قراءة الصحف والمجلّات؛ لأنّها تحتوی علی صور وموضوعات مخالفة للإسلام الحنبلی، ولا یجیز إدخالها البیوت واطّلاع النساء علیها؛ لأنّ هذه الصحف والمجلّات فتنة.

ولا یجیز عمل المرأة أو خروجها من بیتها بدون محرم، أو کشفها لوجهها أو یدیها.

ولا یجیز التعامل مع البنوک، أو تأجیر المحلّات لها.

ولا یجیز التمثیل والرسم والتصویر.

ص:۱۴۷

ولا يجيز القبور والأضرحة، وإقامة الاحتفالات والموالد والنذور، ويعدّ كلّ ذلك من الشرك والضلال الذى يجب مقاومته وقمع أصحابه.

وكما هو واضح أنّه ليس من بين مدافع ابن عبد الوهاب أو ابن باز أو ابن عثيمين ما هو مسلّط على اليهود أو الأمريكان، أو حتّى آل سعود؛ لأنّ مدافع فقهاء الوهّابيّة إنّما صُنعت لإبادة المسلمين فقط!

لمعة الاعتقاد

ولم يكتف ابن عثيمين بهذه المدافع الخاصّة بأهل العصر، بل اتّجه - كما هو شأن الوهّابيّة اليوم - إلى المدافع القديمة والعمل على بعثها من جديد وتسليطها على المسلمين.

وكان أن اختار لمعة الاعتقاد لابن قدامة الحنبلى (۵۴۱: ۶۲۰ ه-) وقام بش-رحها وزيادة قذائفها.

ولمعة الاعتقاد تحتوى على نصوص من العقائد الحنبلية فيما يتعلّق بصفات الله تعالى والموقف من الحكّام، وحكم أهل الأهواء والبِدَع.

وهى نصوص تقوم فى أساسها على الروايات المنسوبة للرسول (ص) وأقوال الحنابلة، فهى تؤكّد لله سبحانه صفة الوجه واليدين والنزول والضحك والغضب والحب والمجىء، وغير هذه الصفات التى تؤكّدها رواياتهم فى صراحة ووضوح.

وهى تؤكّد طاعة الحكّام ووجوب الحجّ والجهاد معهم والصلاة من خلفهم، سواء كانوا أبراراً أو فجّاراً.

وهى من جانبٍ آخر تبيّض وجه معاوية بن أبى سفيان، وتعتبره من كتّاب الوحى وخال المؤمنين، لأنّه أخو أُمّ حبيبة السيّدة رملة بنت أبى سفيان زوجة النبى (ص) .

وهى تنصّ فى الختام على وجوب هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك النظر فى كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكلّ محدثة فى الدين بِدْعة.

ص:۱۴۸

وقـد تصـدّى ابن عثيمين لشـرح هـذه المسألـة وأفـاض فيهـا فقال: المراد بهجران أهل البِـدَع، الابتعاد عنهم وترك محبّتهم وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، ونحو ذلك، ومن هجر أهل البِدَع ترك النظر فى كتبهم خوفاً من الفتنهٔ بها، أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب.

ولأهل البِدَع فى تصوّره علامات، منها:

* إنّهم يتّصفون بغير الإسلام والسنّهٔ بما يحدثونه من البِدَع القوليهٔ والفعليهٔ والعقيديهٔ.

* إنّهم يتعصّبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبيّن لهم.

* إنّهم يكرهون أئمّهٔ الإسلام والدين.

والظاهر من هذا الكلام المتطرّف أنّ جميع المسلمين الذين لا يدينون بنهج الحنابلهٔ الوهّابيون هم مبتدعهٌ كفّارٌ خارجون عن الإسلام.

والـواجب عليهم حـتّى يخرجـوا من دائرهٔ الكفر، وينجـوا من النـار أن يتبنّوا روايـاتهم وأقوال سـلفهم وعقيـدتهم عليهم أن يجعلوا: ابن حنبل، وابن تيميهٔ، وابن القيّم، وابن قدامهٔ، وابن عبد الوهاب، وابن باز، وابن عثيمين أئمّتهم.

وعليهم أن يدينون بالسمع والطاعهٔ والولاء للحكّام بدايهً من معاويهٔ وولده يزيد وحتّى آل سعود.

وهؤلاء جميعاً هم أئمّهٔ الإسلام والدين الواجب علينا حبّهم فى عقيدهٔ ابن عثيمين وفقهاء الوهّابيّهٔ.

إنّ تبنّى الرفض لنهج الروايات والفقهاء والحكّام والثبات على ذلك يُعدّ رفضاً للدين فى منظور ابن عثيمين.

ويُعدّ من جانبٍ آخر تعصّباً للباطل، وإصراراً عليه، بعد أن أظهرت الروايات الحق على يد فقهاء سلفهم الأبرار.

ص:۱۴۹

إنّ العيش بعقل الحاضر ونبذ عقل الماضی هو بِدْعةٌ وضلال.

وإنّ تبنّی نهج القرآن والعقل هو زیغ وردّة عن الإسلام.

ولا نجاة للمسلمین من مدافع الوهّابیین وقذائفهم إلّا باللجوء إلی حصن التوحید فی جزیرة العرب تحت حمایة آل سعود.

ص:۱۵۰

ص:۱۵۱

المدخلی فقاعهٔ نفطیّهٔ

اشارهٔ

برز ربیع بن هادی المـدخلی من خلال الجامعـهٔ الإسـلامیهٔ الوهّابیـهٔ بالمدینـهٔ، وقـد حشـد المدخلی جمیع أنواع القذائف السـلفیهٔ التی صنعها الفقهاء لإبادهٔ أصحاب الرأی والاتّجاهات الأُخری المخالفهٔ لأهل السنّهٔ.

وهو ما یبدو واضحاً من عنوان کتابه: (منهج أهل السنّهٔ والجماعهٔ فی نقد الرجال والکتب والطوائف) .

أمّا ما یحتویه هذا الکتاب من قذائف فهی:

* وجوب هجران أهل البِدَع.

* أهل البِدَع مرضی القلوب.

* لا یجوز ذکر محاسن أهل البِدَع.

* الردّ علی أهل البِدَع والأهواء من أبواب الجهاد.

وهـذه القـذائف السـلفیهٔ إنّمـا تمّ بعثهـا لمواجهـهٔ أهـل العص-ر من أصـحاب الرأی والاتّجاهـات المخالفـهٔ، وهـم بالتحدیـد العلمانیین والاـشتراکیین والمسـیحیین والسیاسـیین والحزبیین والأُدبـاء والمفکّرین، بالإضافـهٔ إلی الشـیعهٔ والصوفیـهٔ وأصـحاب الاتّجاه الإسـلامی التجدیدی الذی یتبنّی تصحیح التراث ونقد الروایات.

ص:۱۵۲

هؤلاء جميعاً من أهل البِدَع الضآلين خصوم الحقّ والتوحيد حسب تعبير فقهاء الوهّابيّة من خلال سطور هذا الكتاب الذی أتی به صاحبنا ليهدّد المسلمين.

إنّ فقهاء الوهّابيّة يعتبرون أنفسهم أهل السنّة والتوحيد، ومن دونهم فهم أهل الشرك والضلال المطلوب إبادتهم، ويعتبرون آل سعود أئمّة للمسلمين وحماةً للتوحيد، فمن ثمّ وضع الوهّابيّون أنفسهم فی خدمتهم، ووضع آل سعود سيوفهم فی نصرتهم وذبح خصومهم.

وقد اعتمد صاحبنا فی كتابه هذا على مدافع ابن تيمية خاصّةً لكونه الشخصية الوحيدة من بين الفقهاء التی حملت راية الجهاد فی مواجهة المخالفين، وعلى أساس أفكارها المتطرّفة قامت الحركة الوهّابيّة التی لا زالت تقذف المسلمين بقذائفها.

يقول المدخلی: يا إخوتاه، إن كنتم حقّاً تحترمون المنهج السلفی وأهله فانشروا كتبهم ودرّسوها، واشحنوا كتاباتكم ومحاضراتكم ومقالاتكم بأقوالهم فی أهل البِدَع وتحذيرهم منهم، ودرّسوا الشباب مواقفهم من أهل البِدَع وحثّوا الشباب على دراستها والاحتفاء والاعتزاز بها، فبهذه الأساليب تحيا عقيدة ومنهج السلف.

والكتب المقصودة هنا - بالطبع -هی كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم، ومحمّد بن عبد الوهاب، فهؤلاء هم سلفه وقدوته، و هذه الكتب هی التی تمّ نشرها وتوزيعها مجّاناً على المسلمين فی كلّ مكان ببركات آل سعود، والتی أسهمت ولا زالت تسهم فی دعم الإرهاب وتقوية شوكته.

وقد أبدى المدخلی فی مقدّمة كتابه تخوّفه من الاتّجاهات والدعوات المعتدلة التی أخذت تبرز داخل أهل السنّة داعياً المسلمين إلى رفضها والحذر منها متباهياً بثناء رموز الوهّابيّة ومدحهم لكتابه.

ص:۱۵۳

المراحل، إضافةً إلى مراكز الـدعوة التى انتش-رت فى الداخل والخارج لحمل رسالة التوحيد والسـنّة، ممّا أقضّ مضاجع كلّ خصوم الحقّ والتوحيد من علمانيين ويهود ونصارى وشيوعيين وأهل البِدَع الضالّين من خرافيين وحزبيين وحركيين، وإذا بأصواتٍ ترتفع باسم السـلفية، وبـاسم العدالـة والإنصاف لمَن يصوّرونهم من أهل البِـدَع الـذين غزوا أهل السـنّة والتوحيـد فى عُقْر دارهم، وأفسـدوا عقول وعقائـد الكثير من أبنـائهم، وشوّهوا صورة المنهـج السـلفى، فشـرعوا يـدعون الى منهجٍ جديـدٍ فى نقـد المناهـج والـدعوات والكتب والأشخاص، وقد أثّر هذا المنهج على كتّابٍ نحسبهم من خيار السلفيين، وأثّر هذا المنهج الذى يدّعى الوسطية والعدل على الشباب.

ومن خلال هذا الكلام يتبيّن لنا أنّ المؤلِّف يؤرّقه مثل هذه الاتّجاهات التى تبرز فى دائرة أهل السنّة كما تؤرّق رموز الوهّابيّة.

من هنا عمل بمباركة رموز الوهّابيّة على إرهاب المسـلمين بشهر نصوص الحنابلة ومَن سار على دربهم، تلك النصوص التى تحذّر من أهل البِدَع، وتمنع من ذكر محاسـنهم وجوانبهم الإيجابية، مؤكِّداً أنّ هذا النهج هو ما يتّفق مع الكتاب والسنّة حسبما سيتّضح من خلال عرض نصوص الكتاب بين أيدينا.

الفصل الأوّل من الكتاب جاء تحت عنوان: منهـج الإسـلام وأئمّته فى نقـد الأقوال والأشـخاص وتقويمها وبيان أنّ العدل الحقيقى إنّما هو فى هذا النهج.

وأوّل نصوصه هى أنّ القرآن يمدح المؤمنين دون ذكر أخطائهم ويذمّ الكفّار دون ذكر محاسنهم.

وهـذا الكلام فيه مغالطـة؛ إذ إنّ المقصود بالمؤمنين عند المؤلّف هم أهل السـنّة من الحنابلة والوهّابيّين، والمقصود بالكفّار والمنافقين المخالفين من المسلمين.

ومن جهـةٍ أخرى فإنّ القرآن مدح المؤمنين وذمّهم فى آيات كثيرة، من أبرزها: آيات سورة التوبة أو الفاضـحة، أو سورة العذاب كما يسمّيها بعض الفقهاء.

يقول المؤلّف: وثانى نصوصه هى أنّ النبى (ص) حذّر أُمّته من أهل الأهواء.

ص:۱۵۴

والإشكالية هنا هی أنّ الحنابلة والوهّابيّين يعتبرون أنفسهم خارج دائرة أهل الأهواء، وأنّ مقصود الرسول تحذير الأُمّة من سواهم، بينما هم فی الحقيقة أهل الهوی والابتداع.

ثمّ تحدّث المؤلّف عن موقف الصحابة والتابعين من أهل البِدَع وخصومهم؛ والصحابة الذين استرشد بأقوالهم هم أولئك الذين ساروا علی الخط القبلی، وتابعوا معاوية والحكّام من بعده، كذلك التابعين الذين ساروا فی ركابهم.

ويشير المؤلّف إلی أنّ الرسول (ص) ذكر عيوب أشخاص بعينهم دون ذكر محاسنهم من باب النصيحة، ونقل عدد من الروايات التی تبرهن علی ذلك، وتغافل عن الروايات الأُخری التی تذكر محاسن الناس وتثنی عليهم.

وختم هذا الفصل بذكر تحذير النبی (ص) من الخوارج.

والحق أنّ الحنابلة والوهّابيين هم امتداد لفرقة الخوارج التی سُلّطت علی المسلمين كما سُلّط الحنابلة والوهّابيّين.

إلّا أنّ المؤلّف اعتبر المخالفين هم امتداد للخوارج، وأنّ المدافعين عنهم من أهل السنّة المعتدلين الذين يذكرون محاسنهم هم أضلّ من الخوارج.

وأطلق المؤلّف عدّة صيحات فی هيئة تساؤلات غاضبة، منها:

أين المدافعون عن الروافض والقبوريين والصوفيين والأشاعرة والحزبيين؟

أين المدافعون والمنافحون عن العقلانيين العصريين والجهمية المعطّلين؟

وفی الفصل الثانی من الكتاب، وتحت عنوان: مَن يجوز نقدهم وتجريحهم وتحذير الناس من ضررهم، قال عن أهل البِدَع: ويجوز بل يجب الكلام فی أهل البِدَع والتحذير منهم ومن بِدَعهم أفراداً وجماعات، الماضون منهم والحاضرون، من الخوارج والروافض والجهمية والمرجئة والكرامية وأهل الكلام؛ الذين جرّهم علم الكلام إلی عقائد فاسدة، فهؤلاء يجب التحذير منهم ومن كتبهم وطرقهم الضالّة، وما أكثرها.

ص:۱۵۵

وكذلك مَن سار على نهجهم من الجماعات المعاصرة ممّن باين أهل التوحيد والسنّة ونابذهم وجانب مناهجهم، بل حاربها ونفر عنها وعن أهلها، ويلحق بهم مَن يناصرهم ويدافع عنهم ويذكر محاسنهم ويشيد بهم وبشخصيّاتهم وزعمائهم، وقد يفضّل مناهجهم على مناهج أهل التوحيد والسنّة.

أمّا الفصل الثالث، فقد خصّصه لمناقشة أدلّة المعتدلين من أهل السنّة الذين ينادون بالعدل فى الكتب القديمة والحديثة، وعدم رفضها لمجرّد أنّ ما فيها يخالف أفكار أهل السنّة ومعتقداتهم.

واعتبر المؤلّف أنّ المعتدلين لا يهتمون بإبراز خطورة البِدَع والتحذير منها ومن أهلها، وأنّ ضعف المبالاة أصبح متّبعاً عند كثير من الدعاة الجدد، بل تجد عندهم المحاماة عن أهل البِدَع، بل الإشادة بهم والتنويه بذكرهم، بل يعتبرون بعض رؤوس أهل البِدَع مجدّدين وأئمّة تجديد، بل هناك كتب وُضعت للدفاع عن هذه الأنواع، وليس عندهم روح التحرّى للحق، ولا الاستعداد للتمييز بين الحق والباطل، ولسان حالهم يقول: /إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ/ (الزخرف: ٣٣) .

وهذا النص القرآنى الذى استند إليه المؤلّف فى مواجهة خصومه، هو فى الحقيقة ينطبق على الحنابلة والوهّابيّين الذين يسيرون على آثار سلفهم وما وجدوه عليهم، ويعيشون بعقل الماضى، ويرفضون العقل وينبذون الرأى.

ولا ـ ينطبق – بحالٍ – على المخالفين الذين يسعون إلى التحرّر من أغلال الماضى وتقديس الأجداد، ويدعون إلى النهوض بالأُمّة وتجديد عقلها وغربلة تراثها.

قال المؤلّف فى نهاية هذا الفصل متوجّعاً متحسّراً: إنّ من المضحكات المبكيات أن تُؤلَّف كتب باسم السلف، وباسم منهج أهل السنّة والجماعة، وباسم العدالة الإسلامية، وتُنشر أشرطة يُشاد فيها بأهل البِدَع وقادتهم، فهم الدعاة، وهم المفكّرون، وهم الخطباء المصقعون، وهم المجاهدون المناضلون، والسلفيون ليسوا من هذه

ص:۱۵۶

المجالات فی قبیل ولا دبیر ولا فی العیر ولا فی النفیر، ولیت الأمر ینتهی عند هذا الحد، بل یتجاوزه إلی الطعن والتحقیر والتشهیر.

یا قوم مهلًا. مهلًا. أخبرونی ماهی الجهود التی بذلتموها فی قمع أهل البِدَع وصدّ ظلمهم وعدوانهم علی الحق وأهله؟

هل أنتم علی طریقهٔ أهل السنّهٔ والجماعهٔ فی هجران أهل البِدَع ومقاطعتهم ومنابذتهم والبراءهٔ منهم ومن بِدَعهم وضلالهم؟

هل أنتم علی طریقهٔ أحمد بن حنبل وأقرانه ومدرسته، وابن تیمیهٔ، وابن القیّم، ومحمّد بن عبدالوهاب، وتلامیذه وأبنائه وأحفاده؟

وکحال الوهّابیّین المعاصرین کلّما ألمّت بهم ملمّـهٔ من الخصوم وأوجعتهم سـهامهم هرع المؤلّف نحو قدوتهم ومراجعهم من الحنابلهٔ المتطرّفین.

وفی الفصل الرابع من الکتاب أبرز المؤلّف موقف ابن تیمیهٔ من البِدَع وأهلها، وعدم التزامه بذکر محاسنهم.

فمن کتاب ابن تیمیهٔ – نقض المنطق – نقل المؤلّف: تفضیل الردّ علی أهل البِدَع علی الجهاد.

ومن کتابه الاحتجاج بالقدر نقل: الردّ علی البِدَع جهاد.

ومن کتابه درء تعارض العقل والنقل نقل: نقد الأشاعرهٔ.

ومن کتابه تلبیس الجهمیهٔ نقل: الردّ علی الرازی.

ومن الفتاوی الکبری نقل: الاتّفاق علی التحذیر من أهل البِدَع، وأهل الکلام والفلسفهٔ، ومن بینهم الغزالی.

ومن کتابه الاستقامهٔ نقل: نقد الآراء المحدثهٔ فی الأُصول والفروع.

ومن الرسائل نقل: فساد منهج أهل البدع وضلاله.

واستمرّ المؤلّف فی التلحّف بکلام ابن تیمیهٔ والتحصّن به؛ حتّی إذا فرغ وشبع اتّجه

ص:۱۵۷

إلى رموز أُخرى من الحنابلة وأهل السنّة الآخرين يستنجد بنصوصهم، فأورد نصّاً لابن الجوزى الحنبلى فى أنّ المبتدعة شرٌّ من الملحدين.

وأورد نصّاً لابن عبد البر فى جواز هجر المبتدع.

ونصّاً لابن مفلح فى المنع عن النظر فى كتب المبتدعة.

ونصّاً للشاطبى فى الأمر بعداوة أهل البِدَع والتشريد بهم.

ونصّاً لابن القيّم فى تحريق كتب أهل البِدَع والضلالات.

ونصّاً للذهبى فى التحذير من الصوفية وكتبهم.

ونصّاً فى إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالى.

بالإضافة إلى نصوص أُخرى فى ردّ شبهاتهم وجواز قتل الداعى إلى البدعة.

ثمّ ختم المؤلّف كتابه بذكر حكم مَن يتولّى أهل البِدَع وينصرهم على أهل السنّة.

ونقل كلاماً لابن تيمية فيمَن يعاون أهل البِدَع، وكلاماً للقرطبى المالكى فى تفسير قوله تعالى:

/يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ/ (آل عمران: ۱۱۸) .

وقوله: كلّ مَن كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغى لك أن تحادثه.

قذائف أخرى

ومن القذائف التى جاء بها المدخلى ليدعم بها موقفه ويوسّع من دائرة الإصابات بين المسلمين ما يلى:

* أنّ الإسلام وأهله أتوا من طوائف:

الأُولى: طائفة ردّت أحاديث الصفات وكذّبوا رواتها، فهؤلاء أشدّ ضرراً على الإسلام وأهله من الكفّار.

الثانية: طائفة قالوا بصحّتها وقبولها ثمّ تأوّلوها، فهؤلاء أعظم ضرراً من الطائفة الأُولى.

ص:۱۵۸

الثالثة: طائفة جانبت القوانين وادّعت التنزيه وهى كاذبة فأدّاهم ذلك إلى القولين الأوّلين وكانوا أعظم ضرراً من الطائفتين الأُوليين.

وواضح من هذا الكلام أنّ صاحبنا لا يستثنى أحداً من المسلمين إلاّ طائفته هو، وهى طائفة الحنابلة بالطبع، فهى الطائفة الوحيدة التى آمنت بالروايات الخاصّة بصفات الله تعالى، وجعلت لله سبحانه يداً ورجلاً ـ وعيناً ومكاناً، وغير ذلك من الصفات التى تؤدّى إلى التشبيه والتجسيم، والتى فرّت منها الاتّجاهات الأُخرى وأنكرتها من باب تنزية الله سبحانه، واتّجه بعضها إلى حمل هذه الروايات على المجاز، أى: تأوّلت معناها، بينما اتّجه آخرون إلى سلوك السبيل الوسط تجاه هذه الروايات، وهم من طوائف أهل السنّة من الأشاعرة وغيرهم.

وهؤلاء جميعاً مارقون فى نظر الحنابلة القدامى والمعاصرين من أتباع ابن عبدالوهاب، وأشدّ خطراً على الإسلام من الكفّار فى منظورهم.

فهل يُعقل مثل هذا الكلام؟

والجواب بالطبع لا، لكنّ فقهاء الإرهاب هم الذين لا يعقلون.

ويواصل المدخلى إطلاق قذائفه على المسلمين بقوله:

* مبتدعة الإسلام أشدّ من الملحدين.

* أهل الأهواء والبِدَع لا تُقبل لهم شهادة فى الإسلام أبداً، ويهجرون ويؤدّبون، فإن تمادوا على بدعتهم استتيبوا منها.

وهذا الكلام حاله كحال السابق من أنّه لا فرق بين المبتدعة وبين الكفّار فى نظر الفقهاء، وما دام الأمر قد دخل فى دائرة الاستتابة فهذا يعنى: أنّ البدعة تُعدّ ردّةً عن الإسلام.

هل هناك تطرّفٌ أكثر من هذا؟

ثمّ يقول:

* فرقة النجاة – الوهّابيّة – مأمورون بعداوة أهل البِدَع والتش–ريد بهم، والتنكيل بمَن انحاش إلى جهتهم بالقتل فما دونه.

ص:۱۵۹

نداءات

وكانت آخر قذائف المدخلى هى نداء صارخ للشباب يطالبه بإلغاء العقل والإسراع نحو الماضى والتحصّن بالروايات وعقيدة السلف.

يقول النـداء: انتبه أيّهـا السـلفى الصـادق، واحـذر أن تُقـاد إلى نص–رة أهل البِـدَع والضـلال والإلحاد التى تضـمّها التنظيمات الحزبية والسياسـية، فإنّ كثيراً من أدعياء السـلفية لا همّ لهم اليوم إلّا نصـرة أهل البِدَع، المشـكلة من أصـناف الشـيعة والصوفيـة القبوريـة أهل الحلول والاتّحاد، الذين يقول ابن تيمية فيهم: إنّ مَن ينص–رهم شرّ ممّن ينصر النصارى والمشركين.

ولا تنس مناصـرة أدعياء السـلفية لأهل البِـدَع فى أزمـة الخليـج ضـدّ أهل التوحيد فى الجزيرة، فإن كنت خُدعت بهم وقتاً ما، فأفق ولا يُلدغ مؤمن من حجرٍ مرّتين.

إنّ على الشـباب السـلفى أن يكون يقظاً لما يُحاك ضدّه وضدّ عقيدته ومنهجه، فلا يليق به أن ينساق وراء الشـعارات الطنّانة، ولا وراء العواطف العمياء التى تؤدّى إلى تضـييع أعظم نعمـة وأعظم أمانـة فى عنقه، وهى الثبات على منهج أهل الحديث والسـنّة، وحمايته من غوائل خصومه ومكايـدهم وألاعيبهم التى ظهرت آثارها على كثير من الأساتـذة وطلّاب العلم والمثقّفين الـذين كان ينتظر منهم تربية الأجيال على منهج السلف وتثبيتهم عليه والاعتزاز برفع لوائه.

إنّ هـذا النداء المتطرّف من قِبَل صاحبنا الوهّابى لشـباب العصـر، لم ينحص–ر فقط فى الدعوة لإلغاء العقل والارتباط بالماضـى، وإنّما تجاوز هـذا الحدّ ليدعوا إلى تسـييس الشـباب وفق النهج السـعودى الأمريكى بدعوته لهم بمنابذة ومعاداة الذين وقفوا ضدّ آل سـعود والتدخّل الأمريكى فى أزمة الخليج، وهذا يعنى أنّه يدعوهم صراحةً إلى تأييد الفتوى النفطية الصادرة عن فقهاء آل سعود والتى تنصّ على جواز الاستعانة بالمشركين، وتبرير وجود القواعد الأمريكية فى الخليج، وإذا كان هذا حاله، فلماذا يحرّم

ص:۱۶۰

على الشباب الانتماءات السياسية والحزبية ويكفّر أصحاب هذه النشاطات ويدعو إلى محاربتهم؟

والجواب: أنّ هذه الأنشطة لا تسير على نهج الروايات، ولا تلتزم بعقيدة سلفهم التى تنصّ على موالاة الحكّام وطاعتهم ولو كانوا فجّاراً يتآمرون على الإسلام ويستعينون بأعداء الله على المسلمين.

ص:۱۶۱

کتب ونصوص

اشارة

لم تقتصر المنشورات الإرهابیة التی یصدرها الوهّابیّون علی الرموز المذکورة سابقاً، وإنّما امتدّت لتشمل العدید من شیوخهم المعاصرین.

وامتدّت - أیضاً - لتشمل العدید من منشورات المذاهب الأُخری، التی یحاولون من خلال نشرها دعم أفکارهم وتثبیت ادّعائهم بتمثیل أهل السنّة.

وسوف نعرض هنا لنماذج من هذه المنشورات وماتحتویه من نصوص أسهمت فی تشکیل العقل المسلم المعاصر، وأضفت المش- روعیة علی مواقف وممارسات الفِرَق الوهّابیّة الإرهابیة المعاصرة، وخاصّةً الفرق الجهادیة التی استمدّت أفکارها وأسانیدها لتبریر الصِدام مع الواقع من هذه المنشورات.

وقبل الخوض فی نصوص هذه المنشورات، یجب علینا إلقاء الضوء علی حقیقة هامّة تتعلّق بتراث الحنابلة، وبالتراث المتطرّف عموماً، وهذه الحقیقة تتلخّص فی کون هذا التراث ولید ردّ فعلِ المواجهة مع خصوم الحنابلة وأهل السنّة، الذین وجدوا فی خصومهم النِّدیّة وقوّة الحجّة، وقوّة التأثیر فی المسلمین فدفعهم هذا إلی التحصّن بالروایات والنصوص والفتاوی المتطرّفة التی ترهب الأتباع، فلا تجعلهم یحیدون عن نهجهم وتدفعهم فی نفس الوقت نحو الصدام مع الخصوم.

ص:۱۶۲

خلق أفعال العباد

وهو کتاب للبخاری یردّ فیه علی الجهمیة وأصحاب التعطیل حسب تعبیره.

ومن خلال هذا الکتاب یرکّز البخاری علی تکفیر القائلین بخلق القرآن والجهمیة خاصّةً.

ووضع باباً تحت عنوان: ما ذکر أهل العلم للمعطّلة الذین یریدون أن یبدّلوا کلام‌الله.

ونقل الروایات التالیة:

روی سفیان الثوری قال لی حماد بن أبی سلیمان: أبلغ أبا فلان المشرک أنّی بریء من دینه، وکان یقول: القرآن مخلوق.

ونقل: شهدت خالد بن عبد الله القسری بواسط فی یوم أضحی وقال: ارجعوا فضحّوا تقبّل الله منکم فإنّی مضحٍّ بالجعد بن درهم، زعم أنّ الله لم یتّخذ إبراهیم خلیلاً، ولم یکلّم موسی تکلیماً، تعالی الله علوّاً کبیراً عمّا یقول، ثمّ نزل فذبحه.

ونقل قول وهب بن جریر: الجهمیة الزنادقة إنّما یریدون أنّه لیس علی العرش استوی.

وحلف یزید بن هارون بالله الذی لا إله إلاّ هو مَن قال: إنّ القرآن مخلوق فهو زندیق ویستتاب، فإن تاب وإلاّ قُتل.

وقال عبد الرحمن بن مهدی: لو رأیت رجلاً علی الجسر وبیدی سیف یقول: القرآن مخلوق لضربت عنقه.

وقال: هما ملّتان: الجهمیة والرافضة.

وقال أبوعبد الله - ابن حنبل -: ما أُبالی صلّیت خلف الجهمی والرافض أم صلّیت خلف الیهود والنصاری، ولا یسلّم علیهم، ولا یعادون، ولا یناکحون، ولا یشهدون، ولا تُؤکل ذبائحهم.

وقال: مَن زعم أنّ الله لم یکلّم موسی فإنّه یُستتاب وإلاّ قُتل.

ص:۱۶۳

کتاب السنّة

وصاحب هذا الکتاب هو الخلال المتوفّی عام ۳۱۱ه، وهو کما ذکر ابن العماد فی شذرات الذهب أنفق عمره فی جمع مذهب ابن حنبل وتصنیفه.

وقد بدأ کتابه بباب تحت عنوان: طاعهٔ الإمام وترک الخروج علیه.

وأثنی فی هذا الباب علی المتوکّل العبّاسی معتبره ممّن أحیوا السنّهٔ بعد مماتها، کما هو حال الحنابلهٔ الذین یرفعونه مقاماً علیّاً، بسبب نصرته لهم ورفعه لمقامهم علی حساب المذاهب الأُخری، من بعد فترهٔ اضطهاد وإبعاد عاشها الحنابلهٔ علی ید مَن سبقوه من الخلفاء.

ووضع الخلال باباً عنوانه: ذکر المقام المحمود استعرض فیه روایهٔ تتعلّق بقوله تعالی: /عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً/. (الاسراء: ۷۹)

تقول الروایهٔ: إنّ المعنی المقصود من الآیهٔ هو أنّ الله سبحانه یُجْلِسُ محمّداً (ص) علی العرش إلی جواره.

ونقل قول أبی داود: مَن أنکر هذا الحدیث فهو عندنا متّهم.

وقال: مازال الناس (الحنابلهٔ) یحدِّثون بهذا یریدون مغایظهٔ الجهمیهٔ؛ وذلک أنّ الجهمیهٔ ینکرون أنّ علی العرش شیء.

وقول أبی‌بکربن أبی طالب: مَن ردّه فقد ردّ علی الله عزّ وجلّ، ومَن کذب بفضیلهٔ النبی (ص) فقد کفر بالله العظیم.

وقول أحمد بن أصرم: مَن ردّ هذا فهو ردّ علی الله ورسوله، وهو عندنا کافر، ومَن قال بهذا فهو زندیق یُقتل.

وقول إبراهیم الأصبهانی: هذا الحدیث حدّث به العلماء منذ ستّین ومائهٔ سنهٔ، لا یردّه إلاّ أهل البِدَع.

وقول هارون بن معروف: هذا حدیث یسخن الله به أعین الزنادقهٔ.

وقول مجاهد: مَن ردّ هذا الحدیث فهو مبتدعٌ ضال.

وقول عبد الوهاب الورّاق: سألت أسود بن سالم عن هذه الأحادیث فقال: یحلف علیها بالطلاق إنّها لحق.

ص:۱۶۴

وقول أبی علی الهاشمی: مَن ردّ حدیث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله، ومَن ردّ فضیلة الرسول فهو عندنا کافر مرتدّ عن الإسلام.

وحدیث جلوس الرسول (ص) إلی جوار الله علی العرش کان قد أنکره الطبری فقام الحنابلة بالاعتداء علیه.(۱)

وفی باب ذکر الروافض نقل قول ابن حنبل: مَن شتم - أی: الصحابة- أخشی علیه الکفر مثل الروافض، ولا نأمن أن یکون قد مرق من الدین.

ونقل سؤالاً وجّه لابن حنبل عن جارٍ رافضی یسلّم هل یُردّ علیه السلام فقال: لا.

وسؤالاً آخر عن صاحب بِدْعة یسلّم فقال: إذا کان جهمیاً أو قدریاً أو رافضیاً داعیة فلا یُصلّی علیه ولا یسلّم.

ونقل عن محارب بن دثار: لم یر بغیبتهم بأساً، أی: الرافضة.

وفی باب تحت عنوان: جامع أمر الرافضة نقل عن الشعبی مقارنة بین الرافضة والیهود.

قال الشـعبی: أحـذّرکم الأهواء المضـلّة وشـرّها الرافضة؛ وذلک أنّ منهم یهوداً لم یدخلوا الإسـلام رغبةً فیه، ولا رهبةً من الله عزّ وجلّ ولکن مقتاً لأهله وبغیاً علیهم.

وقال: إنّ محنة الرافضة محنة الیهود.

قالت الیهود: لا یصلح الأُمّة إلّا رجل من آل داود.

وقالت الرافضة: لا یصلح الأُمّة إلّا رجل من ولد علی بن أبی طالب.

وقالت الیهود: لا جهاد فی سبیل الله حتّی یخرج المسیح وینزل سبب من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد فی سبیل الله حتّی یخرج المهدی وینادی منادٍ من السماء.

والیهود یؤخّرون صلاة المغرب حتّی تشتبک النجوم، وکذلک الرافضة.

والیهود تزول عن القبلة شیئاً وکذلک الرافضة.

والیهود یستحلّون دم کلّ مسلم وکذلک الرافضة.

۱- توفّی الطبری عام ۳۱۰ ه- انظر سیرته فی کتب التراجم والتاریخ.

ص:۱۶۵

واليهود لا يرون على النساء عدّة وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون الطلاق الثلاث شيئاً وكذلك الرافضة.

واليهود حرّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرّفوا القرآن.

واليهود يبغضون جبريل ويقولون: هو عدوّنا من الملائكة، وكذلك صنف من الرافضة يقولون: غلط الوحى إلى محمّد.(۱)

ونقل قول أبى عبيد القاسم بن سلام: عاشرت الناس وكلّمت أهل الكلام فما رأيت أوسخ وسخاً، ولا أقذر قذراً، ولا أضعف حجّة ولا أحمق من الرافضة.

ونقل سؤالاً وُجّه لابن حنبل عمّن يكتب الأحاديث التى تطعن وتنتقص الصحابة ويجمعها أيهجر؟

وكان جوابه: نعم، يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم.

ويروى كان ابن عوانة قد وضع كتاباً فى معايب أصحاب النبى وفيه بلايا، فجاء إليه سلام بن أبى مطيع فقال: يا أبا عوانة أعطنى ذلك الكتاب، فأعطاه فأخذه سلام فأحرقه.

ويروى أنّه سئل إسحاق بن راهويه عن رجل سرق كتاباً من رجلٍ فيه رأى جهم أو رأى القدر هل يقطع؟

قال: لا قطع عليه.

ووضع الخلال باباً عنوانه: الإنكار على مَن قدّم عليّاً على أبى بكر وعلى عثمان.

ونقل الأقوال لابن حنبل وغيره التى تعتبره مبتدعاً.

لمعة الاعتقاد لمولفه ابن قدامة الحنبلى

يقول ابن قدامة: يجب الإيمان بكلّ ما أخبر به النبى (ص) وصحّ به النقل عنه فيما شهدناه أو غاب عنّا، نعلم أنّه حق وصدق، وسواء فى ذلك ما عقلناه أو جهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظةً لا مناماً.

۱- انظر مناقشة هذه المسألة فى كتابنا الحق والحقيقة بين الشيعة والسنّة وكتابنا أهل السنّة شعب الله المختار، وما ذكره الخلال على لسان الشعبى حول مقارنة الرافضة باليهود التقطه ابن تيمية فيما بعد، والتقطه من ابن تيمية الوهّابيون اليوم ليقذفوا به فى وجه الشيعة.

ص:۱۶۶

ومن ذلك أنّ ملك الموت لمّا جاء إلى موسى (ع) ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه.

ومن ذلك أشراط الساعة، مثل: خروج الدجّال ونزول عيسى (ع) وأشباه ذلك ممّا صحّ به النقل، وعذاب القبر ونعيمه، والشفاعة، و معاوية خال المؤمنين وكاتب وحى الله و أحد الخلفاء المسلمين.

وأمام هذا الكلام هناك وقفات:

أوّلاً: إنّه لا يجوز أخذ هذا الكلام على الوجوب، فليس من الواجب الإيمان بكلّ ما جاءت الروايات؛ لانعدام الدليل على الوجوب، والروايات على الأغلب لا تفيد اليقين، ومسألة نسبتها إلى الرسول (ص) مسألة ظنّيّة وليست قطعية. ومسألة صحّة النقل فيها كلام كثير، والمقصود هنا صحّة النقل بطُرق أهل السنّة وبأسانيد رجالهم، وهى طرق وأسانيد تبدو بصمة السياسة فيها واضحة، فمن ثمّ هى ليست محلّ تسليم الاتّجاهات الأُخرى التى نظرت إلى هذه الروايات بعين الشك.

ثانياً: إنّ الهدف من هذا الكلام هو الحجر على العقل وإرهابه؛ كى لا يخوض فى مثل هذه الخرافات المنسوبة للرسول (ص) ، مثل خرافة لطم موسى لملك الموت.

ثالثاً: إنّ هذه الروايات وغيرها ممّا يعتمد عليه أهل السنّة فى عقائدهم لا تخرج عن كونها أحاديث آحاد، لاتفيد إلّا الظن.

رابعاً: إنّ عقيدة أهل السنّة عقيدة مسالمة للحكومات وتدين بالطاعة والولاء لها، ولا تجيز الخروج عليها، فى الوقت الذى تتبنّى فيه التبرّى من المخالفين وقمعهم وعدم مسالمتهم، وقد نشأ هذا المعتقد مع معاوية وتمّ تقنينه فى العص-ر العبّاسى من خلال الروايات، إلاّ أنّه لم تجرؤ عقيدة سُنّية على التصريح بما صرّح به ابن قدامة فى عقيدته من أنّ معاوية خال المؤمنين، وكاتب وحى الله، أحد خلفاء المسلمين.

أمّا فكرة خال المؤمنين فقد ابتدعها ابن قدامة من كون معاوية شقيق رملة بنت أبى سفيان (أُم حبيبة) زوج النبى (ص) فما دام معاوية شقيق واحدة من نساء النبى فيجوز أن يكون خال المؤمنين، وهو كلام ساذج يعكس التعصّب لمعاوية ونهجه فى مواجهة الخصوم من الشيعة وغيرهم.

ص:۱۶۷

وحتّى روايات أهل السنّة الصحيحة عندهم لم تسعف معاوية فى شيء، فهى لم تثبت له منقبة، ولم تثبت أنّه كان من كتّاب الوحى.(۱)

وقصارى ما اعتمد عليه ابن قدامة رواية ضعيفة عند أهل السنّة حال تعصّبه لمعاوية دون أن ينبذها.

وسيراً مع نهج السلف من الحنابلة وأئمّة الإرهاب الذين سبقوه، قال ابن قدامة بما قالوه وسنّوه فى مواجهة المخالفين، وما نصّت عليه كتب العقائد الأُخرى وهو:

من السنّة هجر أهل البِدَع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات فى الدين، وترك النظر فى كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكلّ محدثة فى الدين بِدْعة وكلّ متسم بغير الإسلام والسنّة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والسالمية ونظائرهم، فهذه فِرَق الضلالة وطوائف البِدَع أعاذنا الله منها.(۲)

الأحكام السلطانية

كان أبو يعلى الحنبلى (ت۴۵۸ه-) مؤلّف كتب الأحكام السلطانية قد تولّى القضاء فى عهد القائم بأمر الله العبّاسى، وتصدّى بتوجيه منه لأنصار العقل والتأويل من الاتّجاهات الأُخرى الذين برزوا فى مواجهة الحنابلة وكتابهم (إبطال التأويلات) الذى أشاعوه فى بغداد عام ۴۳۲ه، ذلك الكتاب الذى تسلّمه من الخليفة العباسى ليتأمّله ويعيد النظر فيه.

وتمّ حسم الأمر فى النهاية لصالح الحنابلة بدعم الخليفة وصدور مرسوم يقول: القرآن كلام الله وأخبار الصفات الواردة فى الروايات تمرّ كما جاءت.

وهذا المرسوم بالطبع يعنى نفى الشيعة والمعتزلة وغيرهما من الاتّجاهات التى تقول

۱- انظر فتح البارى شرح البخارى لابن حجر العسقلانى، ج۷، كتاب الفضائل باب ذكر معاوية، وفيه أنّ إسحاق بن راهويه أستاذ البخارى قال: لم تصح فى معاوية منقبة.

۲- انظر شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين.

ص:۱۶۸

بخلق القرآن، ووجوب تأويل أخبار الصفات الواردة فی الروايات، فراراً من الوقوع فی التشبيه والتجسيم، أو نفی هذه الروايات ورفضها بالمرّة.

قال أبو يعلی فی قتال أهل الردّة: فإنّه واجب إنذارهم ثلاثة أيام، سواء كان المرتد رجلًا أو امرأة.

ولا ـ يجوز إقرار المرتد علی ردّته بجزيةٍ أو عهد، ولا تُؤكل لهم ذبيحة، ولا تنكح لهم امرأة، وإذا قُتل لم يُغسّل ولم يُصلّ عليه، ولا يُدفن فی مقابر المسلمين لخروجه بالردّة عنهم، ولا فی مقابر المشركين لما تقدّمت له من حرمة الإسلام ولكن يواری مقبوراً، ويكون ما له فيئاً فی بيت مال المسلمين، مصروفاً فی أهل الفیء، ولا يرثه عنه وارث مسلم ولا كافر.

وقضيّة الردّة أفردت لها كتب الفقه أبواباً واسعة فی جواز قتل المرتد وقتال أهل الردّة.

وفكرة الردّة قد استثمرت من قِبَل الحكّام والفقهاء فی آن واحد لضرب الخصوم من الاتّجاهات الأُخری وتصفيتهم، فلم يكن هناك أبسط من اتّهام أصحاب الرأی بالردّة عن الدين وتبرير قتلهم والخلاص منه، وقد قتل الكثير من الفقهاء والفلاسفة وأهل العقل تحت هذا المسمّی.

ولمّا كان هناك تحالف دائم بين الفقهاء من أهل السنّة والحكّام، فمن ثمّ فتح هذا الباب علی مصراعيه لهم كی يبطشوا بالآخرين، تحت شعار مقاومة الردّة والمرتدّين، باعتبارهم الممثّل الشرعی الوحيد للإسلام.

وإذا كانت هناك ردّة حقيقية فهی ردّة عن نهج أهل السنّة وعقائدهم لا عن الإسلام.

وهذه الرؤية هی الأساس الذی قامت عليه فكرة الإرهاب والبطش بالآخر فی واقع المسلمين، وهی الرؤية التی تشبّع بها التيار الوهّابی وفرقه فی كلّ مكان.

إلّا أنّ الشرع الإسلامی لا يعطی الحق لأیّ فردٍ أو جهةٍ فی قتل أو قتال المرتدّين،

ص:۱۶۹

وقد أغلق الشرع هذا الباب كى لا يستثمر من قِبَل أهل السياسة والعصبية القبلية، كما حدث على يد أبى بكر الذى رفع شعار قتل المرتدّين فى وجه خصومه والخارجين على حكمه.

يقول أبو يعلى: فأمّا مَن ترك صلاة الجماعة من آحاد الناس فقياس المذهب أن يعترض عليه؛ لأنّها من فرائض الأعيان، فهى كترك الجمعة، وقد قال (ص) : لقد هممت أن آمر أصحابى أن يجمعوا حطباً وآمر بالصلاة فيؤذن لها وتقام، ثمّ أخالف إلى منازل قوم لا يحضرون الصلاة فأحرقها عليهم.

وهو بهذا يريد القول بوجوب إحراق بيوت المتخلّفين عن الصلاة بروايةٍ منسوبةٍ للرسول (ص) ، وهو ما يعنى ضمناً اتّهام الرسول بالعدوانية والإرهاب، الأمر الذى يختلف مع خلقه وسنّته، ويدعونا إلى رفض مثل هذه الروايات.(۱)

قال أبو يعلى: وكذلك لو ابتدع بعض المنتسبين إلى العلم قولاً خرق به الإجماع وخالف فيه النص وردّ قول علماء عصره، أنكره عليه وزجره عنه - أى: المحتسب - فإن أقلع وتاب وإلّا فالسلطان بتهذيب الدين أحق.

وهذا الكلام هو امتداد لكلام الحنابلة السابقين المحرّض على المخالفين لإجماعهم ورواياتهم وتخييرهم ما بين التوبة والرجوع عن المخالفة، أو يتولّى أمرهم السلطان بتحريض من فقهاء أهل السنّة، وليس بعد هذا إرهاب.

ثمّ قال عن أهل الذمّية: ويمنع أهل الذمّة من تعلية أبنيتهم على أبنية المسلمين، فإن ملكوا أبنية عالية احتمل أن يقرّوا عليها ويلزموا أن يستروا سطوحهم، ويأخذ أهل الذمّة بما شرط فى ذمّتهم: من لبس الغيار، والمخالفة فى الهيئة، وترك المجاهرة بقولهم فى عزير ابن الله، والمسيح ابن الله.

ومثل هذا الكلام فى حق أهل الذمّة من اليهود والنصارى إنّما هو من صنع

۱- انظر لنا كتاب دفاع عن الرسول ضدّ الفقهاء والمحدّثين، والحديث رواه مسلم وكتب السنن الأُخرى عن أبى‌هريرة

ص: ۱۷۰

السياسة لا من صنع النصوص، فالحكّام هم الـذين أوجبوا على أهل الذمّة مثل هذه الأُمور لأسباب أمنيّة، وبارك الفقهاء هذه الأُمور التى تتماشى مع مذهبهم.

الفرقان بين الحق والباطل

وقد صنّف هذا الكتاب ابن تيمية فى سجن دمشق.

وقال فى مقدّمته:

إنّ الله بيّن فى كتابه الفرقان بين الحق والباطل، وكـذلك نبيّه، فمَن كان أعظم اتّباعاً لكتابه الـذى أنزله ونبيّه الـذى أرسله كان أعظم فرقاناً.

ومَن كان أبعد عن اتّباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل كالـذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان، والنبى الصادق بالمتبنى الكاذب، وآيات النبيين بشبهات الكذّابين حتّى اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق.

وهذا الكلام الذى يدين به فقهاء الحنابلة إنّما اخترع لإرهاب المخالفين لنهج الرواية والرجال؛ وذلك بربط الرواية بالقرآن، وهدى الله بهدى الرسول (ص) . بمعنى أنّ الذين يرفضون الروايات ويشكّكون فيها يكونوا بهذا التصوّر يرفضون القرآن ويشكّكون فى نصوصه.

وهو ما تمّ توكيده فى الشعار الدائم الذى لا زال يُرفع حتّى اليوم وهو شعار: الكتاب والسنّة حيث أصبح الإسلام هو الكتاب والسنّة، بينما الحقيقة أنّ الإسلام هو الكتاب، فهو المصدر الوحيد المعصوم المنزل من قِبَل الله سبحانه ليكون حجّة على البشر، وهو الـذى يجب أن يكون حكماً على الروايات، لا أن تشاركه الروايات وتتساوى به.

ولقد أصبحت الروايات، بمرور الزمن وبتوجيه الحكّام، هى الناطق بلسان الإسلام والمعبِّر عنه، ونتج عن هذا أن هيمنت الروايات على القرآن، ممّا أدّى إلى استفزاز أصحاب العقول وتصدّيهم للروايات والفقهاء الذين يدعمونها.

وابن تيمية هنا، إنّما يردّد تهديدات مَن سبقه من فقهاء السلف من الحنابلة وغيرهم لإرهاب الاتّجاهات الأُخرى وعزل المسلمين عنها.

ص:۱۷۱

ويؤكّد ابن تيميـة أنّ اتّباع رجال السـلف، ومعرفة أقوالهم فى العلم والدين وأعمالهم خير وأنفع من معرفة أقوال المتأخّرين وأعمالهم: «أقوال السـلف وأعمالهم فى جميع علوم الـدين كالتفسـير وأُصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك، فإنّهم أفضل ممّن بعدهم كما دلّ عليه الكتاب والسنّة؛ فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمَن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم فى العلم والدين خير وأنفع من معرفـة مـا يـذكر من إجمـاع غيرهم ونزاعهم؛ وذلـك أنّ إجمـاعهم لا ـ يكون إلّا معصوماً، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق فى بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتّى يعرف دلالة الكتاب والسنّة على خلافه» .

ويواصل ابن تيميـة إطلاق مـدافعه على المخالفين بقوله: وكلّ مَن خالف ما جاء به الرسول (ص) لم يكن عنـده علم بذلك ولا عدل، بل لا يكون عنده إلّا جهل وظلم وظن وما تهوى الأنفس.

ثمّ يسلّط مدفعه على أصحاب الرأى بقوله: وكلّ الأُصول العقلية التى ابتدعها هؤلاء باطلة فى العقل والشرع.

والمقصود بهذا الكلام الاتّجاهات الرافضة للروايات المتعلّقة بصـفات الله المأوّلة لهذه الصفات، المتبنّية لنهج العقل والمنطق والفلسفة، أو ما سُمّى بعلم الكلام أو العقليات.

فجميع ذلك مرفوض عنـد ابن تيميـة وسـلفه من الحنابلـة، الـذين يعتقدون بأنّ الله سـبحانه له يد وعين ورجل، ويرى ويهبط ويصـعد، ومكانه فوق العرش، وأنّه أراد الشرّ واختاره كما نصّ على ذلك إمامهم ابن حنبل.

وهؤلاء الرافضـين هم أهل الهوى والزيغ والضـلال، الذين أعلن ابن تيمية الحرب عليهم، ولازال أتباعه من الوهّابيّين مستمرّين فى هذه الحرب حتّى اليوم.

حقيقة دعوة محمّد بن عبد الوهاب

وهى رسالـة كتبها واحـد من أحفاد محمّـد بن عبـدالوهاب للـدفاع عن الوهّابيّة، وقد نسـبها إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصـل مؤسّس الدولة السعودية الثانية.

ص:۱۷۲

وكان عبد العزيز قد أرسل هذا الحفيد إلى اليمن وما جاورها من القرى للتبشير بالوهّابيّة؛ فنسب هذه الرسالة إليه تبرّكاً بآل سعود حماة التوحيد الوهّابى.

قال مبشّراً منذراً: مَن دعا غير الله من ميت أو غائب أو استغاث به فهو مشـرك كافر، وإن لم يقصد إلّا مجرّد التقرّب إلى الله وطلب الشفاعة عنده، وقد دخل الكثير من هذه الأُمّة فى الشرك بالله والتعلّق بسواه ويسمّون ذلك توسّلًا وتشفّعاً، وتغيير الأسماء لا اعتبار له، ولا تزول حقيقة الشيء، ولا حكمه بزوال اسمه وانتقاله فى عرف الناس باسم آخر.

وهذا الكلام الذى دعا إليه عبد العزيز وحفيد ابن عبد الوهاب إنّما يلخّص الدعوة الوهّابيّة ويحدّد أُطرها التى تقوم على أساس تكفير المسلمين واعتبارهم من أهل الشرك، وقد ارتدّوا إلى عبادة الأصنام.

ثمّ يقول فى رسالته: ولا نقول بقول الأشاعرة ولا غيرهم من أهل البِدَع.

ونرى أنّ كلّ محدثةٍ فى الدين بِدْعة.

ونرى هجر أهل البِدَع ومباينتهم.

أمّا مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنّة فى الفروع والأحكام، ولا ندّعى الاجتهاد، وإذا بانت لنا سنّة صحيحة عن رسول الله (ص) عملنا بها ولا نقدّم عليها قول أحدٍ كائناً مَن كان، بل نتلقّاها بالقبول والتسليم.

وسيراً مع سنّة الحنابلة تبنّى الوهّابيّون الروايات، وأصبحوا من عبّادها، نابذين الاجتهاد والعقل، معلنين الحرب على أهل الرأى والفكر المبتدعة فى منظورهم.

وهكذا أصبحوا نسخة جديدة من الحنابلة القدامى، والفارق بينهم وبين حنابلة الماضى هو أنّهم حملوا سيوفاً سلّطوها على رقاب المسلمين، وملكوا سلطةً ونفوذاً ونفطاً لم يملك السابقون منه شيء.

وفى رسالة عنوانها: (فتيتان تتعلّقان بتكفير الجهمية) منسوبة إلى اثنين من سلالة محمّد بن عبد الوهاب وهما: إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وعبد الله بن عبداللطيف آل الشيخ بالإضافة إلى وهّابى ثالث هو سليمان بن سحمان الخثعمى.

ص:۱۷۳

تقول الرسالة: إنّ رجلين تنازعا فى تكفير الجهمية والقبورية والإباضية، هل بلغتهم الدعوة، وقامت عليهم الحجّة؟

وكان الجواب هو: أمّا الجهمية فالمشهور من مذهب أحمد وعامّة أئمّة السنّة تكفيرهم؛ لأنّ قولهم صريح فى مناقضة ما جاءت به الرسل (ص) وأُنزلت به الكتب.

والإمام أحمد وأمثاله من أهل العلم والحديث لا يختلفون فى تكفير الجهمية، وأنّهم ضلّال زنادقة مرتدّون، وقد ذكر مَن صنّف فى السنّة تكفيرهم من عامّة أهل الأثر كاللالكائى، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وابن أبى مليكة، والخلال، وابن خزيمة، وابن القيّم، فكيف إذا انضاف إلى ذلك كونهم من عبّاد القبور وعلى طريقتهم، فلا إشكال والحالة هذه فى كفرهم وضلالهم.

أمّا إباضية أهل هذا الزمان، فحقيقة مذهبهم وطريقتهم إذا سبرت أحوالهم فهم جهمية قبوريون، وإنّما ينتسبون إلى القبورية انتساباً، فلا يشك فى كفرهم وضلالهم إلاّ ـ مَن غلب عليه الهوى، وأعمى عين بصيرته، فمَن تولاّهم فهو عاصٍ ظالم يجب هجره ومباعدته والتحذير منه حتّى يعلن التوبة، كما أعلن بالظلم والمعصية.

وما ذكر فى السؤال عمّن لا يرى كفر الجهمية وإباضية أهل هذا الزمان، ويزعم جهاد أهل الإسلام لهم سابقاً غلواً، وهو لأجل المال كاللصوص، فهذا لم يعرف حقيقة الإسلام ولا شمّ رائحته، وإن انتسب إليه وزعم أنّه من أهله.

وأمّا ما ذكرته من استدلال المخالف بقوله (ص) : مَن صلّى صلاتنا. وأشباه هذه الأحاديث فهذا استدلال جاهل بنصوص الكتاب والسنّة، فإنّ هذا فرضه ومحلّه فى أهل الأهواء من هذه الأُمّة، ومَن لا ـ تخرجه بدعته من الإسلام، كالخوارج ونحوهم، فهؤلاء لا يكفرون؛ لأنّ أصل الإيمان الثابت لا يحكم بزواله إلاّ بحصول منافٍ لحقيقته مناقض لأصله، لكنّهم يبدعون ويضللون، ويجب هجرهم وتضليلهم والتحذير من مجالستهم ومجامعتهم.

أمّا الجهمية وعبّاد القبور فلا يستدل بمثل هذه النصوص على عدم تكفيرهم إلاّ

ص:۱۷۴

مَن لم یعرف حقیقهٔ الإسلام وما بعث الله به الرسل.

أمّـا القول بأنّ القول کفر ولا نحکم بکفر القائل، فإطلاق هـذا جهل صـرف؛ لأنّ هـذه العبارهٔ لا تنطبق إلاّ علی المعیّن، ومسألـهٔ تکفیر المعیّن مسألهٔ معروفهٔ إذا قال قولاً یکون القول به کفراً، فیقال مَن قال هذا کافر.

وذکر ابن تیمیهٔ فی کثیر من کتبه تکفیر أُناسٍ من أعیان المتکلّمین.

وأمّا قوله هؤلاء فهموا الحجّهٔ فهذا ممّا یدلّ علی جهله وأنّه لم یفرّق بین فهم الحجّهٔ وبلوغ الحجّهٔ، فقد تقوم الحجّهٔ علی مَن لا یفهمها.

والشـیخ محمّـد بن عبـد الوهاب لـم یکفّر الناس ابتـداءً إلاّ بعد قیام الحجّهٔ والدعوهٔ، فأمّا إذا قامت الحجّهٔ فلا مانع من تکفیرهم وإن لم یفهموها.

وهذا الکلام معناه أنّ الوهّابیّین جاؤوا بدین جدید مَن لم یمتثل له فهو کافر.

والسؤال هنا: ما هی حجّهٔ الوهّابیّن؟

هل هی الإسلام أم مذهبهم الردیء؟

ولم یقتصـر التبشـیر الوهّابی فی حـدود المساجـد، والـدعوهٔ الفردیـهٔ، والمنشورات، بل تعـدّاه إلی المدارس؛ حیث فرض علی الطلّاب دراسهٔ التوحید الوهّابی وتوطین فکرهٔ الإرهاب فی نفوسهم.

کتاب التوحید

وفی کتاب (التوحید) المقرّر علی الصف الثالث الثانوی فی دولهٔ الوهّابیّن نجد ما یلی:

الفصل الخامس من الباب الأوّل فی بیان حقیقهٔ الجاهلیهٔ والفسق والضلال، ثمّ الردّهٔ وأقسامها وأحکامها.

وفی محیط الردّهٔ اعتبر مَن یـداوم علی الصـلاهٔ والنـذور فی مساجـد الأولیاء والصالحین ویذبح عند المقامات والأضـرحهٔ إنّما هو مرتدّ بفعله هذا.

ص:۱۷۵

وفی الباب الثانی حدّد الکتاب الأقوال والأفعال التی تتنافی مع التوحید وتنقضه وهی:

ادّعاء علم الغیب فی قراءة الکف والفنجان والتنجیم.

السحر والکهانة والعرافة.

تقدیم القرابین والنذور والهدایا للمزارات والقبور وتعظیمها.

تعظیم التماثیل والنصب التذکاریة.

الاستهزاء بالدین والاستهانة بحرماته.

الحکم بغیر ما أنزل الله.

ادّعاء حقّ التشریع والتحلیل والتحریم.

الانتماء إلی المذاهب الإلحادیة والأحزاب الجاهلیة.

النظرة المادیة للحیاة.

التمائم والرقی.

الحلف بغیر الله والتوسّل والاستعانة بالمخلوق دون الله.

والباب الثالث کان فی بیان ما یجب اعتقاده فی الرسول (ص) وأهل بیته وصحابته، والنهی عن سبّ الصحابة وأئمّة الهدی.

أمّا الباب الرابع فقد ترکّز فی البِدَع ومنهج أهل السنّة والجماعة فی الردّ علی أهل البِدَع، وقدّم للطالب نماذج من کتب السلف التی تردّ علی أهل البِدَع من وضع ابن حنبل والوهّابیّین المعاصرین.

ومن نماذج الکتب التی ذکرت فی هذا الباب:

الردّ علی الجهمیة والزنادقة.

الاعتصام.

اقتضاء الصراط المستقیم.

إنکار الحوادث والبِدَع.

ص:۱۷۶

الباعث على إنكار البِدَع والحوادث.

ومن الكتب المعاصرة:

الإبداع فى مضارّ الابتداع.

السنن والمبتدعات المتعلّقة بالأذكار والصلوات.

التحذير من البدع.

ثمّ ختم الكتاب ببيان نماذج من البِدَع المعاصرة وهى:

الاحتفال بالمولد النبوى.

التبرّك بالأماكن والآثار والأموات ونحو ذلك.

البِدَع فى مجال العبادات والتقرّب إلى الله.

وقد حشد الكتاب الكثير من أقوال ابن تيمية، وختم بالقول: إنّ البِدَع بريد الكفر، وهى زيادة دين لم يشرّعه الله ولا رسوله، والبِدْعة شرّ من المعصية الكبيرة، وتحريم زيارة المبتدع ومجالسته إلّا على وجه النصيحة له والإنكار عليه، ويجب التحذير منهم ومن شرّهم إذا لم يمكن الأخذ على أيديهم ومنعهم من مزاولة البِدَع، ويجب على علماء المسلمين وولاة أُمورهم منع البِدَع والأخذ على أيدى المبتدعة، وردع شرّهم؛ لأنّ خطرهم على الإسلام شديد، ثمّ إنّه يجب أن يعلم أنّ دول الكفر تشجّع المبتدعة على نشر بدعتهم وتساعدهم على ذلك بشتّى الطرق؛ لأنّ فى ذلك القضاء على الاسلام وتشويه صورته.

وهذا الكلام الذى يدرّس على طلبة المدارس، الهدف منه تكوين جيل من الإرهابيين متلحّف بالدين، يرفع شعار الردّة والتكفير فى وجه المسلمين المخالفين، ويخيّرهم بين الإذعان لمذهبهم (التوحيد الوهّابى) أو السيف والاستباحة.

وقد نشر هذا الجيل الإرهاب فى ربوع المسلمين وربوع أوربا التى وفد إليها من أجل الدعوة والدراسة.

ص:۱۷۷

وهو الجيل الذى برزت منه فِرَق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المنتشرة فى دولة الوهّابيّين ترهب الناس فى كلّ مكان باسم الدين حتّى شكّلت قلقاً أمنياً للحكم السعودى.

وهو الجيل الذى برز منه ابن لادن والأفغان العرب وغيرهم من قادة الإرهاب فى العالم اليوم.

وسوف يستمر هذا الجيل فى تفريخ الفرق الإرهابية طالما استمرّ الطرح الوهّابى فى الشيوع والانتشار.

ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى الاهتمام بالصبيان وتلقينهم التوحيد المزعوم.

تعليم الصبيان التوحيد

هناك منشور وهّابى تحت عنوان: (تعليم الصبيان التوحيد) وهو من وضع محمّد ابن عبدالوهاب.

وهو على طريقة السؤال والجواب، وقد حوى الأسئلة التالية:

من هو المؤلِّف؟ وما مذهبه؟ وما دعوته؟ وما هى مؤلّفاته؟ وهل عرفه الأمير محمّد بن سعود؟ وهل نكث الشيخ عهده مع ابن سعود؟ ومتى توفّى؟ ومَن أولاده؟

الحجاب

ومن المنشورات الوهّابيّة السائدة منشور باسم (الحجاب) ، وهويحوى ثلاث رسائل لثلاثة من رموز الوهّابيّة المعاصرة، وهم: عبد العزيز بن باز وتلميذه ابن عثيمين، والثالث عبد القادر السندى.

وابن باز هو الذى أفتى بعدم جواز قيادة المرأة السيارة، وأنّ الأرض لاتدور، وأنكر صعود أحدٍ إلى القمر.

وسيراً مع الروايات وأقوال الرجال من الحنابلة وغيرهم، مال ابن باز إلى الروايات

ص:۱۷۸

والأقوال التى لا تجيز كشف وجه المرأة أو يدها، فى الوقت الذى شكّك فيه فى الروايات التى تجيزكشف الوجه واليدين.

وكما تشدّد ابن باز فى زىّ المرأة، الذى يستر جميع أجزاء جسدها، تشدّد أيضاً فى خروجها وسفرها وحريتها بشكل عام.

يقول ابن باز: اتّقوا الله أيّها المسلمون وخذوا على أيدى سفهائكم وامنعوا نسائكم ممّا حرّم الله عليهن وألزموهن التحجّب والتستّر، واحذروا غضب الله وعظيم عقوبته.

وما دام ابن باز يحرّم على المرأة قيادة السيارة فمن الطبيعى أن يحرّم عليها الخروج من البيت والسفر وحدها والاختلاط بالرجال بأىّ صورةٍ من الصور، وهو ما صرّح به فى كثير من الفتاوى التى صدرت عنه.

وقد سار على نفس الدرب ابن عثيمين، والتزم طرح إمامه ومعلّمه حيث قال فى رسالته: اعلم أيّها المسلم أنّ احتجاب المرأة عن الرجال الأجانب وتغطية وجهها أمر واجب.

أمّا الرسالة الثالثة فقد خُصصت للردّ على سيّد قطب، وأبى الأعلى المودودى، اللذين انحازا إلى جانب مَن يجيز كشف المرأة لوجهها وكفيها.

إلّا أنّ الطريف فى الأمر هو تلك الروايات التى يستندون إليها والمنسوبة إلى رجال السلف، والتى تجيز للمرأة أن تبرز عيناً واحدة، وبعض هذه الروايات حدّدت العين اليسرى!

إلّا أنّ السؤال الذى يفرض نفسه هنا: هل تلتزم المرأة السعودية بأقوال: ابن باز، وابن عثيمين، وغيرهم من فقهاء الوهّابيّة؟

والسؤال الآخر هو هل يستطيع فقهاء الوهّابيّة أن يلزموا نساء العائلة السعودية بفتاويهم؟

عبادة الاوثان

وأصدر أحد الوهّابيين كتاباً تحت عنوان: (عبادة الأوثان) حدّد فيه الأوثان فيما يلى:

الأصنام ويقصد بها القبور أو الأضرحة والمقامات.

ص:۱۷۹

التماثيل والصور والسينما والتلفزيون.

وعن الأضرحة قال تحت عنوان: الشرك الأكبر، المحرّمات وأشدّها إفساداً للعقل: إنّ مشركى زماننا - أى: الشيعة، والصوفية، وعوام الناس - أغلظ شركاً من الأوّلين؛ لأنّ الأوّلين يخلصون لله فى الشدّة ويشركون فى الرخاء، ومشركو زماننا شركهم دائم فى الرخاء والشدّة.

وعن الفرق بين زيارة الموحّدين - الوهّابيّين - للقبور وزيارة المشركين، أى: بقيّة المسلمين قال: وأمّا الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عبادة الأصنام.

وتحت عنوان الأنصاب والأزلام قال: فهدم القباب والبناء فى المساجد التى بنيت عليها أولى وأحرى، كذلك يجب إزالة كلّ قنديل أو سراج على قبرٍ وطفيه، فإنّ فاعل ذلك ملعون، وأعظم الفتنة فتنة أنصاب القبور، وهى أصل فتنة عبادة الأصنام، فالمعرض عن التوحيد مشرك، شاء أم أبى، والمعرض عن السنّة مبتدعٌ ضال شاء أم أبى.

ثمّ ختم باب الأصنام بكلمة لابن تيمية: وهذه الأُمور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام.

أمّا عن الصور، فقد حشد عشرات الروايات والأقوال التى تحرّم الصور والتماثيل.

ونقل فتوى من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة تتعلّق بإجابة الدعوة إلى الوليمة، هل تسقط الإجابة إذا علم المدعو أنّها مشتملة على صورة؟

ونقل عن أحد رموز الوهّابيّة وهو الألبانى أنّه لايجوز حضور الدعوة إذا اشتملت على معصية.

وختم الباب بقولٍ لآخر من رموز الوهّابيّة: إنّ العقل البشرى معرّض للانتكاس فى كلّ حين وزمان، ولا يستبعد أبداً أن يؤدّى نصب التماثيل فى الشوارع العامّة، وانتشار الصور فى المحلّات والبيوت إلى عبادتها وتعظيمها فى المستقبل.

وحول السينما والتلفزيون نقل كلام لصاحب كتاب (إعلان النكير على المفتونين

ص:۱۸۰

بالتصوير) هـذا نصّه: ومن الشبه الباطلة فتيا بعض العصريين بإباحة حضور السينما لرؤية ما يصوّر فيها من ساحات القتال، وحجّته أنّ ذلك ممّا يبعث على الشجاعة والإقدام على القتال، وهذه حجّة داحضة من وجوه:

الأوّل: إنّ السينما من أنواع السحر التخيّلی، بل هی أخبث منه؛ لأنّ كلّ ما يأتی به أصحاب السحر التخيّلی يمكن الإتيان به فيها وزيادة. والسحر لا يجوز تعاطيه ولا الحضور عنـد مَن يعمله، وهكذا الأمر فی السينما فلا يجوز عملها ولا الحضور عندها؛ لأنّ الحضور عندها بدون تغيير دليل على الرضا بالسحر، والرضا بالذنب كفاعله.

الثانی: إنّ الحضور عند السينما دليل على الرضا بما ركّب فيها من صور الآدميين والحيوانات، والراضی بالصور شريك المصوّرين.

الثالث: إنّ الإفتاء بجواز حضور السينما يتضمّن ردّ الأحاديث الدالة على تحريم الصور والمنع من اتّخاذ الصور ومش-روعية طمسها، ومَن أفتى بخلاف الأحاديث الثابتة عن النبی (ص) فهو إمّا جاهل ضال، وإمّا معاند شاق للرسول، وعلى كلا التقديرين فعليه إثم العاملين بفتياه.

الرابع: إنّ الحضور عند السينما لرؤية ما فيها من الصور، مخالف لهدی رسول الله، وموافق لهدی النصاری والمشركين.

ومن هذا الباب فإنّ حضور السينما حرام على كلّ حال، سواء كان باعثاً على الشجاعة والإقدام أولم يكن؛ لأنّ الحضور عندها دليل على الرضا بما فيها من المضاهاة بخلق الله، ودليل على الرضا بما فيها من السحر، ودليل على الرضا بما يمثّل من أنواع الفسوق والعصيان.

ثمّ نقل فی الختام: حرمة النحت، والتحنيط، ونقل الأعضاء، كما أفتى بذلك فقهاء الحنابلة.

ص:۱۸۱

تطهير الاعتقاد

وجاء فی مقدّمـة (تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد) : وبعـد فهـذا تطهير الاعتقاد من أدران الشـرک والإلحاد وجب علیّ تأليفه، وتعيّن علیّ ترصـيفه؛ لما رأيته وعلمته من اتّخاذ العباد الأنـداد فی الأمصار والقری وجميع البلاد، من اليمن والشام ونجـد وتهامة وجميع ديار الإسلام، وهو الاعتقاد فی القبور وفی الأحياء ممّن يدّعی العلم بالمغيّبات والمکاشفات.

ثمّ قال صاحب المنشور: وکـذلک تسـمية القبر مشـهداً، ومَن يعتقدون فيه وليّاً لايخرجه عن اسم الصـنم والوثن، إذ هم عاملون معاملة المشـرکين للأصـنام، ويطوفون بها طواف الحجّاج بيت اللهالحرام، ويخاطبون الميت بالکلمات الکفريـة، وهو بعينه فعل المشـرکين فی الأصنام.

ويتطرّف أکثر فيطرح التساؤلات التالية ويجيب عليها:

فإن قلت: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون فی القبور والأولياء والفسقة والخل--فاء مشرکين کالذين يعتقدون فی الأصنام؟

قلت: نعم، قـد حصـل منهم مـا حصـل من أُولئک وساووهم فی ذلک، بل زادوا فی الاعتقاد والانقياد، فلا فرق بينهم. فإن قلت: هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرک بالله تعالی، ولا نجعل له نِدّاً، والالتجاء إلی الأولياء ليس شرکاً؟

قلـت: قـد خرج الفقهـاء فی کتـب الفقـه فی بـاب الردّة أنّ مَـن تکلّم بکلمـة الکفر يکفّر، وإن لم يقصـد معناهـا، وهـذا دالٌّ علی أنّهم لايعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهيّة التوحيد؛ فصاروا کفّاراً کفراً أصليّاً.

فإن قلت: فإذا کانوا مشرکين وجب جهادهم والسلوک فيهم مسلک رسولالله (ص) فی المشرکين.

قلت: إلی هذا ذهب بعض أهل العلم فقالوا يجب أوّلاً دعاؤهم إلی التوحيد، وهذا

ص:۱۸۲

واجب العلمـاء، فـإذا أبـانت العلماء ذلك الش-رك للأئمّـة والملوك، وجب على الأئمّـة والملوك بعث دعاة إلى التوحيـد، فمَن أقرّ ورجع حُقن عليه دمه وماله وذراريه، ومَن أصرّ فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله من المشركين.

عقيدة أهل السنّة والجماعة

لابن عثيمين وقد أشار فيها إلى معتقدات أهل السـنّة مجتمعة، خاصّة ما يتعلّق بصفات الله تعالى، وتكفير مَن لا يق-ر بهذه الص--فات حسب معتقداتهم، وتكفير تارك الصلاة ومعاداة المخالفين من المسلمين.

وقال محدّداً صفات أهل السنّة (الوهّابيّون) :

يعـادون أهـل الأهواء والجهالات، ويقتـدون بالسـلف الصالـح من أئمّـة الـدين، ويتمسّـكون بما كانوا به متمسّـكين من الـدين المتين، ويبغضون أهل البِدَع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يسـمعون كلامهم ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين، ويرون صـمّ آذانهم عن سماع أباطيلهم.

وعلامات البِـدَع على أهلها باديـة، وأظهرها: شـدّة معاملتهم لحملة أخبار النبي (ص) ، واحتقارهم وتسـميتهم إيّاهم (حشوية) وظاهرية ومشبّهة.

وهذا الكلام - كما هي - سنّة الوهّابيّين - منقول من كتب السابقين من سلفهم ورموزهم، فليس في كتب الوهّابيّين جهد علمي يذكر، فهم ليسوا سوى مجرّد نَقَلَـة ومردِّدين لأفكـار شـيخهم ابن عبـد الوهـاب، الـذي ردّد بـدوره بلا وعي أيضاً كلمات مرجعه الأوحـد ابن تيمية.

وأقلّ ما يقال فيهم إنّهم حملة أسفار وهي الصفة التي لازمت الفِرَق التي تولّدت من خلالهم.

وهو كلام يعكس ردّ الفعل الغاضب تجاه الآخر الذي خاصـمهم بسـبب غلوّهم في الروايات، وتجريمهم لأهل الرأي والعقل، ممّا أدّى إلى وصفهم بالحشوية، وغيرها من الصفات التي استفزّتهم.

ص:۱۸۳

ومن بين نصوص هذه العقيدة ما يلى:

ونؤمن أنّ الله عليٌّ على خلقه بذاته وصفاته، واستواؤه على العرش علوّه عليه بذاته.

ونؤمن بأنّ الله تعالى مع خلقه وهو على عرشه.

ونؤمن بأنّ لله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين.

ونعلم علم اليقين أنّ ما جاء فى كتاب الله أو سنّة نبيّه (ص) فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً، ولأنّ التناقض فى الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضاً، وهذا محال فى خبر الله ورسوله.

ونؤمن بأنّ للنبى (ص) خلفاء راشدين خلفوه فى أُمّته علماً ودعوة وولاية على المؤمنين وبأنّ أفضلهم وأحقّهم بالخلافة: أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ على، وهكذا كانوا فى الخلافة قدراً كما كانوا فى الفضيلة، وما كان الله تعالى - وله الحكمة البالغة - ليولّى على خير القرون رجلاً وفيهم مَن هو خير منه وأجدر بالخلافة.

ونعتقد أنّ ما جرى بين الصحابة من الفتن فقد صدر عن تأويل اجتهدوا فيه، فمَن كان مصيباً فله أجران، ومَن كان منهم مخطئاً فله أجر واحد، وخطؤه مغفور له.

وهذه العقائد وغيرها - ممّا تكتظ به كتب العقائد عند أهل السنّة - إنّما هى من صنع الحنابلة الذين أطلقوا عليهم اسم السلف؛ وذلك لكون الباحث فى تراث أهل السنّة ومذاهبهم يجد أنّ هناك خلافات واسعة بين الفقهاء حول هذه المفاهيم التى ألبسها الحنابلة ثوب العقائد، ووجّهوها نحو خصومهم حتّى من داخل أهل السنّة على مستوى الماضى.

ويوجّهها حنابلة العصر من الوهّابيّين وفرقهم نحو خصومهم من الشيعة والصوفية وأهل الرأى.

ويرفع الحنابلة على الدوام شعار الكتاب والسنّة، بل هم الذين ابتدعوا هذا الشعار

ص:۱۸۴

فی واقع المسلمین بهدف إضفاء المشروعیة علی عقائدهم النابعة من الروایات التی لم تکن محل تسلیم خصومهم.(۱)

وشعار الکتاب والسنّة الهدف منه إرهاب المسلمین، کی لا یتحرّشوا بالروایات ویتشکّکوا فیها، فربط الروایات بالقرآن یضفی القداسة علیها ویحول دون المساس بها، فکأنّ هذه الروایات فی حمایة القرآن والمساس بها یعنی المساس بالقرآن، وهو ما یریده الحنابلة من وراء تحصّنهم بهذا الشعار.

وهذا هو ما قصده صاحب هذه الرسالة حین شدّد علی أنّ ما جاء فی کتاب الله أو سنّة رسوله (ص) هو حق ولا یوجد تناقض بینهما، أی: أنّ الحق واحد فی القرآن والروایات.

وهذه مغالطة حنبلیة أشاعوها بین المسلمین ویحاول الوهّابیون تأکیدها وتثبیتها من أجل حمایة عقائدهم الباطلة وأفکارهم الهشّة.

إنّ القرآن لا یتیح لأمثال الحنابلة الذین لا یحترمون العقل والرأی فرصة استخدام نصوصه فی إرهاب الناس واحتکار الحق، فمن ثمّ اتّجهوا نحو الروایات وغالوا فیها.

الروایات هی التی أتاحت لهم الفرصة لتکفیر الآخر واستحلاله.

وهی التی أتاحت لهم تخدیر المسلمین وإیهامهم أنّهم أهل الحق والفرقة الوحیدة الناجیة من النار.

وفتحت لهم باب الشهادة علی المخالفین بدخول النار.

وفتحت لهم باب موالاة الحکّام والتحالف معهم ضدّ خصومهم والتغطیة علی انحرافاتهم، بل وإضفاء المشروعیة علی أشخاصهم ومواقفهم.

ومن خلال أربع رسائل وهّابیّة متشابهة- أیضاً - سوف نلقی الضوء علی لغة جدیدة من لغات الإرهاب والتطرّف،

۱- انظر نقد فکرة ربط الکتاب بالسنّة فی کتابنا تغییر الخطاب الإسلامی.

ص:۱۸۵

وهذه الرسائل هى:

إقامة البراهين على حكم مَن استغاث بغير الله، أو قصد الكهنة والعرّافين.

إرشاد الطالب إلى أهمّ المطالب.

الحسام الماحق لكلّ مشركٍ منافق.

فصل البيان فى نواقض الإسلام والإيمان.

والرسالة الأُولى تحوى ثلاثة ردود:

الأوّل على قصيدة فى مدح الرسول (ص) نشرتها مجلّة المجتمع الكويتية تحت عنوان: (فى ذكرى المولد النبوى الشريف) وقد استفزّت هذه القصيدة صاحب الرسالة وهو ابن باز، الذى اعتبرها تحوى أُمور شركيّة تمثّلت فى الاستغاثة بالنبى والاستنصار به لإدراك الأُمّة وتخليصها ممّا وقع بها.

واعتبر ابن باز هذا الكلام إعراضاً عن ربِّ العالمين الذى بيده النصر والضر والنفع، وليس بيد غيره شىء من ذلك، وأنّ هذا ظلم عظيم وشرك وخيم ينافى معنى لا إله إلاّ الله.

والردّ الثانى لابن باز كان حول سؤال ورد إليه عن دعاء غير الله والاستنجاد به فى المهمّات، كدعاء الجن، ودعاء الأموات من الأنبياء والصالحين، وحكم مناكحة مَن يفعل ذلك.

وتلخّص ردّه فى الحكم على هؤلاء بالشرك، وعدم جواز أكل طعامهم ومناكحتهم، باعتبارهم فى نظره أصحاب دين لا أصل له ولا شبهة فيه، بل هو باطل من أساسه على حدّ تعبيره.

أمّا الردّ الثالث له فكان على أوراد منسوبة للإمام على (ع) يتمسّك بها بعض المسلمين حيث قال: إنّ هذه الأوراد أو الأدعية كلّها من أنواع الشرك الأكبر؛ لأنّها عبادة لغير الله، وذلك أقبح من شرك الأوّلين.

وفيما يتعلّق برسالة إرشاد الطالب فقد حوت مجموعة أجوبة على مسائل:

ص:۱۸۶

الأُولى: عن الكفر المخرج من الملّة وما لا يخرج.

والثانية: عن التحاكم إلى الطاغوت الذى يكفر فاعله.

والثالثة: عن الإعراض الموجب للكفر.

والرابعة: عن الهجر المشروع.

والخامسة: فى الردّ على مَن التزم زيّاً مبتدعاً.

والسادسة: فى لباس العقال وإباحته.

والسابعة: فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وباقى المسائل تركّزت حول فضل العمامة ومقدار عمامة الرسول (ص) .

هذه هى أهمّ المطالب فى منظور الوهّابيين وتلامذتهم من عناصر الفِرَق الإرهابية.

وهذه هى القضايا التى شغلتهم واصطدموا بالواقع على أساسها.

وهى – على ما هو ظاهر – تدور فى محيط ثلاث قضايا:

الأُولى: تتعلّق بتكفير المجتمع والتحاكم إلى القانون الوضعى أو الطاغوت حسب تعبيرهم.

والثانية: تتعلّق بالمخالفين والخصوم وضرورة هجرهم والردّ عليهم.

والثالثة: حول الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ورسالة الحسام الماحق – كما هو واضح من عنوانها – موجّهة إلى كلِّ مش-ركٍ منافقٍ من المسلمين المتمرّدين على الحنابلة وعقائدهم البالية المتطرّفة.

وقد جرّد صاحب الرسالة حسامه هذا بسبب تجرّأ واحد من المفتونين المهوسين –حسب تعبيره – على الله تعالى وتسميته السنن الصحيحة الواردة فى البخارى منكراً.

هذا ما ذكره فى مقدّمة رسالته حيث اعتبر نقد الروايات أو رفضها تجرّأً على الله.

من هنا كان ردّه شديداً متطرّفاً على صاحب رسالة الهجوم على البخارى ومسلم، وهو على مايبدو من كلامه ينتمى إلى الشيعة.

وحمل الفصل الأوّل من الحسام الماحق هذا العنوان: فى بيان إشراك صاحب

ص:۱۸۷

الرسالة لإيمانه بعبادة غير الله.

أمّا الفصل الثانى فكان عنوانه: فى تحريم الإفتاء والقضاء بالتقليد وبيان أنّ التمذهب بِدْعة. ودعوى نبذ المذاهب ورفض التقليد دعوى حنبلية قديمة، يرفع شعارها الوهّابيّون اليوم، بهدف دفع المسلمين إلى الانتقال من تقليد الآخرين إلى تقليدهم فإنّ الانتقال من مذهب يجيز التقليد إلى مذهب لا يجيزه إنّما هو فى الحقيقة انتقال من تقليد إلى تقليد.

والوهّابيّون فى حقيقتهم متمذهبون متعصّبون لابن حنبل وابن تيمية، كما هم متعصّبون للرواية، ويعطّلون العقل، فكيف ينادون بنبذ التقليد؟

وإذا كانت المذاهب قد أدّت إلى التعصّب وتسبّبت فى فرقة المسلمين وتناحرهم، فليس معنى هذا أنّ الوهّابيّة هى البديل والمخرج من الأزمة المذهبية التى تسود واقع المسلمين من قديم، فإنّ الوهّابيّة صورة مقيتة لمذهبيةٍ أُخرى أشدّ وأنكى.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان: فى بيان أنّ كلّ بِدْعة فى الدين ضلالة.

ويقصد بالبِدْعة - كما ذكرنا سابقاً - كلّ ما يخالف نهج الحنابلة ورواياتهم.

ثمّ شنّ صاحب الحسام فى الفصل الرابع حرباً شعواء على خصمه المبتدع، فى نظره، لقوله بالإسدال فى الصلاة، أى: ترك اليدين أثناء الصلاة وعدم وضع اليد اليمنى على اليسرى كما يفعل أهل السنّة. وقوله: إنّ البسملة فى أوّل سورة الفاتحة ليست واجبة فى كلّ ركعة من ركعات الصلاة.

وقوله بقراءة القرآن وإهداء ثوابه للموتى.

وقوله ببطلان التأمين فى الصلاة باعتبارها ليست من القرآن.

وقوله بجواز التوسّل بالأموات.

وقوله بقراءة القرآن جماعة وبصوت واحد.

وقوله بوجوب اتّباع أهل البيت وتقديسهم.

وهذه الأُمور بمجموعها تُعدّ من البِدَع التى تخرج من الدين عند الحنابلة

ص:۱۸۸

الوهّابيّين، ثمّ يقول: وقد لفّق جماعة من المشركين المبتدعين عبّاد الأضرحة رسائل للرّد على الوهّابيّة، ولا توجد على وجه الأرض فرقة تسمّى نفسها وهّابيّة، ولكن المبتدعة المشركين اخترعوا هذه التسمية ليطلقوها على كلّ مَن يوحّد الله ويتّبع سنّة الرسول (ص) ويتجنّب البِدَع والمحدثات.

والقارئ لرسالة الحسام الماحق يتبيّن له أنّ الراد عليه على علم وليس على جهل، إذ يطرح مسائل مختلفة فى الدين ببراهينها وأدلّتها، إلّا أنّ الوهّابيّين لا يعترفون بوجود العلم خارج دائرتهم.

قال صاحب الحسام: ليس علينا أن نجيب عن المسائل الفرعية التى ذكرها المفتون؛ لأنّه لا يجوز له الإفتاء والانتقاد؛ لأنّه عامى جاهل مقلّد، ولكنّنا نتبرّع بالجواب عن تلك المسائل رغبة بإفادة مَن يقرأ هذا الكتاب.

والرسالة الرابعة نُشرت ضمن سلسلة تصحيح مفاهيم فى جوانب من العقيدة: رسالة إلى الشباب.

الفصل الأوّل منها حمل عنوان: ليس كلّ مَن قال لا إله إلّا الله يدخل الجنّة.

والفصل الثانى منها حمل عنوان: نواقض الشهادتين.

والفصل الثالث لخّص فيه نواقض الشهادتين والتى حدّدها فيما يلى:

الكفر والشرك والنفاق والردّة.

وهذه الأُمور الأربعة تمّ تطبيقها على المسلمين المخالفين تحت مسمّيات مختلفة، وقد اعتمد صاحب الرسالة على أقوال ابن تيمية، وابن القيّم، وابن عبد الوهاب فى بيانها وشرحها، فجميع المسلمين الذين لم يلتزموا بالتوحيد على طريقة الوهّابيّة هم كفّار مشركون منافقون مرتدّون.

ويقول صاحبها: إنّ عدم فهم الناس لنواقض الشهادتين وعدم إحاطتهم بنواقض الإسلام والإيمان كان سبباً فى نش-ر الش-رك والإلحاد، وظهور الكفر قولاً وفعلاً واعتقاداً وسلوكاً فى كلّ مجال فأصبح كثير من الناس، يقولون الكفر بألسنتهم

ص:۱۸۹

ويعتقدون الشرك بقلوبهم، وتأتى جوارحهم تصدّق هذا وذاك، فلم يبق من المسلم إلاّ اسمه وهو معتقد أنّه طالما أقرّ بالشهادتين بلسانه فهو من أهل الجنّة غير مبالٍ لأقواله وأفعاله ومعتقداته، وهذا الفهم ذهبت إليه بعض الفِرَق، ولقد ضلّ هؤلاء وهؤلاء لمّا حادوا عن مذهب أهل السنّة والجماعة.

ومثل هذا الكلام إنّما يعكس المعتقد السائد لدى الفِرَق الإرهابية تجاه الناس والمجتمع الذى ورثته عن الوهّابيّة.

وهو المعتقَد الذى برزت على أساسه فِرَق الجهاد والتكفير، التى نش-رت الإرهاب فى واقع المسلمين قبل أن تنشره فى واقع غير المسلمين.

حقيقة الدعوة

وفى مواجهة التيارات السنّيّة غير الوهّابيّة التى وفدت على جزيرة العرب صدر منشور وهّابى يُهدى ولا يُباع تحت عنوان: (حقيقة الدعوة إلى الله تعالى وما اختصّت به جزيرة العرب وتقويم مناهج الدعوات الإسلامية الوافدة إليها)

وقدّم له ثلاثة من رموز الوهّابيّة.

يقول صاحب المقدّمة الأُولى: فقد حاول أعداء هذه الدعوة - الوهّابيّة- أن يقضوا عليها بالقوّة فلم ينجحوا، وحاولوا أن يقاوموها بالتضليل والتشكيك والشبهات، ووصفها بالأوصاف المنفّرة فما زادها إلاّ تألّقاً ووضوحاً وقبولاً وإقبالاً، ومَن يرى ما نعايشه من وفود أفكار غريبة مشبوهة إلى بلادنا باسم الدعوة وعلى أيدى جماعات تتسمّى بأسماء مختلفة، مثل: جماعة الإخوان، وجماعة التبليغ، وجماعة كذا وكذا، وهدفها واحد وهو أن تزيح دعوة التوحيد وتحلّ محلّها.

ويقول صاحب المقدّمة الثانية: وجميل أن يركّز المؤلّف على جزيرة العرب؛ لأنّها آخر هدف يستهدف تحويلها ميداناً لمصارعة دعوة الرسول (ص) - الوهّابيّة- بدعوات دخيلة أجنبية عنها، وإن كانت تتظاهر بلباسها وتخفى خلافها الذى ستبديه حينما تؤاتى

ص:۱۹۰

لها الفرصـة، كما هو شأن الغزو الفكرى من الماسونيـة والتنصـير والاسـتعمار قـديماً وحـديثاً، وكذلك أهل البِدَع، فقد قال فيهم الإمام البربهارى فى شرح السنّة:

مثل أصحاب البِدَع مثل العقارب يدفنون رؤوسـهم وأيديهم فى التراب ويخرجون أذنابهم فإذا تمكّنوا لدغوا، وكذلك أهل البِدَع هم مختفون بين الناس فإذا تمكّنوا بلغوا ما أرادوا.

ويقول الثالث فى مقـدّمته: هـذه الـدعوات المعاصـرة التى تنطلق فى دعوتها من منطلق حزبى قد بعد بها ذلك كثيراً عن منهج السـلف الصالح؛ إذ إنّ هذه الجماعات لم تؤسّس بناء دعوتها على توحيد البارى جلّ وعلا، وعلى العقيدة السلفية الصافية من الشوائب.

وما يستفزّ الوهّابيّين فى جماعة الإخوان وجماعة التبليغ هو أنّ هاتين الجماعتين تتعاطفان مع الصوفية، واذا كان الوهّابيّون يعتبرون هذه الجماعات التى تشاركهم معتقـد أهل السـنّة ضالّـة ومشـبوهة وفاسـدة المعتقـد، وأحد أدوات الغزو الفكرى، وبعيدة عن التوحيد، وغير ذلك من الصـفات التى وصـفوها بها، والتى تخرجهم من دائرة الإسـلام بالمرّة، فلا شك أنّهم يعتبرون الاتّجاهات المخالفة من خارج دائرة أهـل السـنّة من المشـركين، ولابـدّ أن يكون الموقف تجاههم أكـثر تطرّفـاً وإرهابـاً، وهو مـا يبـدو بوضوح من خلاـل النصوص الوهّابيّة، ومن خلال مواقف الوهّابيّين من خصومهم.

وبعـد أن تحـدّث المؤلّف عن تميّز الجزيرة العربيـة بالدين ومنهاج الدعوة الأصـيل -دعوةالوهّابيّة- وتحدّث عن الجماعات الإسـلامية فيها، بعد ذلك أعلن حكم الش-رع فى وجود هذه الجماعات.

وحكم الشرع يقصد به شرع الحنابلة والوهّابيّين، فهم الذين أصدروا الفتوى الخاصّة بهذه الجماعات، والتى عرضها المؤلّف فى كتابه.

يقول المؤلّف: فى فتوى اللجنـة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء من هيئة كبار العلماء فى السـعودية رقم۱۶۷۴ فى ۱۳۹۷/۱۰/۰۷هـ- حكم صريح بعدم شرعيّة وجود

ص:۱۹۱

هذه الجماعات ما لم یستند وجودها إلی قرار من ولی الأمر لخیر الأُمّة کافّة، أی: قرار من آل سعود.

نص الفتوی: لا یجوز أن یتفرّق المسلمون فی دینهم شِیَعاً وأحزاباً، یلعن بعضهم بعضاً، ویضرب بعضهم رقاب بعض، فإنّ هذا التفرّق ممّا نهی الله عنه، ونصّ علی مَن أحدثه، أو تابع أهله وتوعّد فاعلیه بالعذاب العظیم.

أمّا إذا کان ولیّ أمر المسلمین هو الذی نظّمهم، ووزّع أعمال الحیاة ومرافقها الدینیة والدنیویة لیقوم کلٌّ بواجبه فی جانب من جوانب الدین والدنیا، فهذا مش-روع بل واجب علی ولیّ أمر المسلمین.

إنّ مجرّد قیام جماعة أو حزب أو طائفة أو فرقة، وتمیّزها عن جماعة المسلمین باسم غیر الاسم الذی سمّی الله به الأُمّة (هو سمّاکم المسلمین) ، أو تمیّزها بعقیدة أو عبادة لم یأذن بها الله فی کتابه وسنّة نبیّه (ص) وسبیل المؤمنین من أصحابه، أو انعزالها بمرکزٍ خاصٍّ أو أمیر غیر أُولی الأمر، أو بیعة دینیة أو سیاسیة غیر البیعة العامّة لولیّ الأمر، کلّ ذلک أو بعضه خروج عن جماعة المسلمین، وتشتیت لشملها، وتقطیع لأمرها زبراً، ینتهی بأهله إلی التعصّب والتنازع والفشل وذهاب الریح والموالاة فی الحزب والمعاداة فیه، والحب فیه والبغض فیه بدعوی أنّ ذلک کلّه فی الله.

ثمّ استعرض المؤلّف بعد ذلک، منهج جماعة التبلیغ وجماعة الإخوان، واختتم کتابه بقوله: وما نشأ الضلال بین المسلمین ومعه التفرّق فی الدین إلّا بسبب الفکر الإسلامی منذ البدایة عندما اتّجه بعض علماء المسلمین إلی الفکر الیونانی فکانت النتیجة: الحلّاج، وطیفور البسطامی، والغزالی، وابن عربی، وأحزابهم.

وکانت الفِرَق الباطنیة ومنها الصوفیة، حتّی وصل الأمر إلینا حیث فرّق الهوی والشیطان فی مجتمعاتنا المسلمة المنتمیة إلی السنّة من تبلیغ وإخوان وحزب تحریر وجهاد إلی آخر منظومة التفرّق. کُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَیْهِمْ فَرِحُونَ. (المؤمنون: ۵۳)

وکلام المؤلّف هذا یوحی بأنّ الوهّابیّین کتلة وجماعة واحدة علی نهج توحیدهم

ص:۱۹۲

المزعوم، وهو الكلام الـذى تردّده رموز الوهّابيّـة فى هـذا الكتاب، وغيره من المنشورات الوهّابيّة، وهو الهدف من تأليف هذا الكتاب: حمايـة الجماعـة الواحـدة - جماعـة الوهّابيّين - من التفرّق والنزاع، وحمايـة ولىّ الأمر - آل سـعود - أيضاً من أىّ تيّار جديد يشـكّل خطراً عليه.

إلّا أنّ الحقيقـة أنّ الوهّابيّين هم أساس الفرقـة والتنازع بين المسـلمين اليوم، كما كان الحنابلـة وابن تيميـة من أسـباب فرقـة المسـلمين بالأمس، فضلًا عن كونهم أساس الإرهاب الذى برز على ساحتهم.

والوهّابيّون حنابلة العصـر قد فشلوا فى بناء جماعة التوحيد الثابتة الأركان فى جزيرة العرب، على الرغم من دعم آل سعود لهم، وفشلوا أيضاً فى خارجها، وهم يدارون هذا الفشل بإلقاء التبعة على الجماعات الأُخرى التى سحبت البساط من تحت أقدامهم.

منهج التلقى

وفى سلسـلة كتاب المنتـدى، وهى سلسـلة تصـدر عن المنتـدى الإسـلامى بلنـدن أحـد المراكز الوهّابيّـة ببريطانيا، والـذى يصدر مجلة (البيان) ، صدر كتاب تحت عنوان:

(منهج التلقّى والاستدلال بين أهل السنّة والمبتدعة) .

قال الوهّابى فى المقدّمة: لعلّ من أبرز أسباب التفرّق وظهور البِدَع والأهواء اضطراب الناس فى مسألة التلقّى والاستدلال، فكم جرّ هذا التخبّط من انحرافات ومفاسد.

وكم من مبتدعٍ زائغٍ وزنديقٍ جائرٍ استطاع إفساد أديان الناس وعقائدهم بسبب جهل الناس بأُصول الاستدلال ومصادر التلقّى.

وكم من البِدَع والشركيات التى توارثها الناس جيلًا بعد جيل بسبب إعراضهم عن الكتاب والسنّة تلقيّاً وفهماً وتطبيقاً.

ص:۱۹۳

ثمّ تحدّث عن ملامح التفكير والاستدلال الدينى بين الجاهلية والإسلام، وحدّد هذه الملامح فيما يلى:

تعطيل الحواس والاعتماد على الخرافة والأساطير، وعدم تجاوز عالم الماديات، والتقليد الأعمى، وتعظيم طاعة الآباء والأجداد، وتقليد العلماء والعباد، واتّباع الظن والهوى، والمجادلة بالباطل، والمعاندة والاستكبار، والجحد بالحق بعد ظهور علاماته، والإعراض عن الحق واللجوء إلى الاستهزاء والسخرية، واستخدام القوّة فى مواجهة الحق، والتشهير بالأنبياء والدعاة. . .

وهذا على مستوى الاستدلال الجاهلى، أمّا الاستدلال على المستوى الإسلامى فقد حدّده بمايلى:

تعظيم العلم والرفع من منزلته وذمّ الجهل والتحذير منه، و الإخلاص والتجرّد فى البحث عن الحق، تحريم القول على الله بلا علم، والاعتماد على الحجّة والبرهان، والأمر بالنظر والتفكّر فى آيات الله.

وفى الباب الثالث من الكتاب حدّد منهج أهل السنّة فى التلقّى والاستدلال فى حدود: كتاب الله، وسنّة رسوله، وإجماع السلف.

وحدّد أنّ هذه الأُمور الثلاثة تركّز على أُصول ثلاثة:

الأوّل: تعظيم النصوص الشرعية والانقياد لها، أى: نصوص السنّة.

الثانى: الاعتماد على الأحاديث الصحيحة حسب قواعد السلف.

الثالث: صحّة فهم النصوص على أساس فهم الصحابة والسلف.

ومقصده من هذا الكلام هو الإشارة إلى أنّ الوهّابيين هم الذين يلتزمون بمنهج التلقّى والاستدلال الصحيح، فهم الذين يعظّمون العلم ويذمّون الجهل، ويتجرّدون فى البحث عن الحق، ولا يقولون على الله بلا علم، ويعتمدون على الحجّة والبرهان، ويتفكّرون فى آيات الله على أساس المصادر الثلاثة: الكتاب، والسنّة، والإجماع.

وهذا يعنى أنّ الآخرين لا نصيب لهم من هذا كلّه لكونهم يعطّلون حواسهم،

ص:۱۹۴

ویعتمدون علی الخرافات والأساطیر، ویتبنّون التقلید الأعمی، ویتبعون الظنّ والهوی، ویجادلوا بالباطل وسائر الصفات الأُخر التی ربطها الوهّابی بالجاهلیین أو المخالفین للحنابلهٔ والوهّابیّین من أهل السنّهٔ وغیرهم.

والعجیب أنّه لا توجد فی کتب أهل السنّهٔ والحنابلهٔ خاصّهٔ، بالإضافهٔ إلی کتب الوهّابیّین المعاصرین ما یدعم الاستدلال الصحیح، والتجرّد فی البحث، واحترام العقل وحرّیهٔ الرأی والتفکیر.

ولو کان الحنابلهٔ والوهّابیّون الذین یدّعون تمثیل أهل السنّهٔ الیوم – علی ما صوّر هذا المؤلّف التائه – ما کان هذا حالهم، فقد انقسموا إلی فِرَق وشراذم متناحرهٔ، تکفّر بعضها بعضاً فی موطن دعوتهم وعقر دارهم، الأمر الذی یبدو بوضوح من خلال ذلک الکم الکبیر من المنشورات التی یصدروها ما بین الحین والآخر لمقاومهٔ تیّار التکفیر الذی استشری بینهم.(۱)

وتحت عنوان: مسلک المبتدعهٔ فی التعامل مع النصوص الشرعیهٔ.

وفی الباب الثانی من الکتاب قال: تمیز المبتدعهٔ علی اختلاف فرقهم بالتقدیم بین یدی الله ورسوله (ص) ، وعدم تعظیم ما جاء فی الکتاب والسنّهٔ، وسأذکر فی هذا الباب أُصولاً عامّهً لمنهج المبتدعهٔ فی الاستدلال تبیّن شیئاً من ضلالهم وانحرافاتهم، وهی:

الأصل الأوّل: ردّ النصوص الثابتهٔ التی تخالف أهواءهم والجرأهٔ فی الاعتراض علیها.

الأصل الثانی: العبث فی الأُصول الشرعیهٔ للاستدلال وتشویهها.

الأصل الثالث: ابتداع أُصول جدیدهٔ للاستدلال والتلقّی.

ویقصد بالنصوص هنا الروایات الثابتهٔ عند أهل السنّهٔ، خاصّهٔ الحنابلهٔ منهم، والتی هی غیر ثابتهٔ عند غیرهم، وقد استشهد المؤلّف بنصوص ابن تیمیهٔ لدعم

۱- من نماذج هذه المنشورات: التبصیر بقواعد التکفیر، وضوابط تکفیر المعیّن، والتحذیر من فتنهٔ التکفیر، وفتاوی فی الجماعات وجماعهٔ واحدهٔ لا جماعات، وغیرها.

ص:۱۹۵

وجهته کما هو حال الوهّابیّین.

ویقصد بالعبث فی الأُصول الشرعیة التصدیق بالقرآن دون السنّة.

ثمّ أضاف أُموراً أُخری هی من باب الطعن والتشویه والتشکیک فی الخصوم.

منها ادّعاء أنّ المخالفین یؤمنون ببعض الکتاب ویکفرون ببعض.

والکذب علی رسول الله (ص) أو عدم الاعتناء بتنقیح السنّة.

وکتم النصوص وتحریفها والاستدلال بها من باب التعضید لا من باب الاعتماد.

وردّ حدیث الآحاد، والقدح فی الصحابة، واتّباع الشبهات، وجهلهم باللغة العربیة.

أمّا ما یقصده بابتداع أُصول جدیدة للاستدلال والتلقّی فیقصد به: تقلید الأئمّة والشیوخ، والکشف والإلهام، والغلو فی العقل.

وهذه الأُمور هی من باب المغالاة فی نقد الخصوم، فالتصدیق بالکتاب دون السنّة لا یمسّ إیمان المرء فی شیء فإنّ الرسل إنّما یأتون بکتب معصومة لاروایات محل تصدیق وتکذیب.

ولم یعرف فی تاریخ الحرکة العلمیة فی الإسلام أن برزت فرقة من بین المسلمین تؤمن ببعض الکتاب وتکفر ببعض.

أمّا الکذب علی الرسول (ص) فهی تهمة یجب توجیهها للحنابلة والوهّابیّین لا لخصومهم، فهم الذین ینسبون للرسول أشکالاً وألواناً من الروایات التی تصطدم بالقرآن، وتمسّ شخصه المعصوم، وتقرّ الظلم والفساد، وتقود إلی التشبیه والتجسیم ممّا یُعدّ کذباً علی رسول الله (ص) .(۱)

کذلک لم یعرف أمر کتم النصوص بین المسلمین، إنّما المعروف أنّ المخالفین لأهل السنّة یقارعونهم بکلّ الحجج والبراهین المتاحة وعلی رأسها النصوص التی یحتجّون بها.

۱- انظر نماذج من هذه الروایات فی کتابنا دفاع عن الرسول ضدّ الفقهاء والمحدّثین.

ص:۱۹۶

إنّ تهمة کتم النصوص الأولی بها الحنابلة والوهّابیّون الذین حرّفوا کتب التراث وعتّموا علی بعضها، وعملوا علی عزل الأُمّة عن الاتّجاهات الأُخری وإلزامها بنهجهم وأفكارهم.

والباحث المنصف یتبیّن له علی الدوام أنّ الحنابلة والوهّابیّین، هم القضاة وهم الجلّادون؛ إذ إنّهم یحکمون علی الآخرین، ویتقوّلون علیهم، وینسبون لهم الزور والبهتان، من خلال مصادرهم خاصّةً مصادر ابن تیمیة، دون إعطاء الفرصة للمسلمین للاطّلاع علی المناهج والاتّجاهات الأُخری، بل حذّروا المسلمین وأرهبوهم منها.

ولو أُتیحت الفرصة لأیّ مسلمٍ صاحب عقل وبصیرة للاطّلاع علی کتب خصوم الحنابلة والوهّابیّین فسوف یکتشف علی الفور هشاشة الطرح الحنبلی الوهّابی.

أمّا ردّ حدیث الآحاد، فلیس تهمة، فقد أبدی العدید من الفقهاء علی مستوی الماضی والحاضر تشکیکهم فیه، إلاّ ـ أنّ الحنابلة والوهّابیّین یدافعون عنها بقوّة؛ لکون المساس بها یمسّ عقائدهم التی تقوم علی أساس هذه الأحادیث.

کذلک مسألة القدح فی الصحابة - إن صحّت - لا تمسّ جوهر الإیمان فی شیء إلاّ أنّ أهل السنّة، خاصّةً الحنابلة، جعلوها من العقائد واعتبروا المساس بها یُعدّ مساساً بالعقیدة.

والحق أنّه لا یوجد ما یسمّی بالقدح أو السب إنّما هناك مواقف نقدیة، وصور من الرفض لبعض الصحابة من قِبَل الشیعة وغیرهم، وأدّی تعصّب أهل السنّة للصحابة والقول بعدالتهم أجمعین، خاصّةً معاویة، إلی اعتبار المخالف لهذا المعتقد ضالاًّ مبتدعاً، وعدّوا نقد الصحابة سبّاً لهم، وهو ما سهّل تحریض العامّة علیهم.

واتّهام الخصوم باتّباع المتشابهات صورة من صور التجنّی، کذلك اتّهامهم بالجهل باللغة العربیة فمصادر الاتّجاهات الأخری تنفی هذا الادّعاء.

وفیما یتعلّق بتقلید الأئمّة والفقهاء، فهو نهج سائد فی جمیع المذاهب، وأهل السنّة فی

ص:۱۹۷

مقدّمة المقلّدين، وحنابلة العصر من الوهّابيّين وفرقهم المختلفة غالوا فى تقليد سلفهم، وابن تيمية، وابن عبدالوهاب خاصّةً، وتشهد على ذلك مصادرهم، واعتبار المؤلّف الكشف والإلهام والغلو فى العقل من أُصول المبتدعة إنّما يقصد به الشيعة والصوفية وأصحاب الرأى، وهو بهذا يردّد كلام الحنابلة القدامى وابن تيمية.

الاستهزاء بالدين وأهله

ويقصد بهذا المنشور إرهاب الخصوم وتخويفهم من المساس برموز الوهّابيّة أو أتباعها.

يقول صاحبه فى مقدّمة منشوره: انظر مثلاً إلى كلام ينشر ويقرأ لشعراء الحداثة اليوم حرى بأن يُسمّى بالإسهال الفكرى، تجد فيه كفراً بوّاحاً، ثمّ تأمّل أحوال كثير من الإعلاميين تجد صنوفاً من السخرية والاستهزاء والضحك على ثوابتنا وقيمنا الشرعية، بل وصل الحال إلى أنّ بعض المحسوبين على الدعوة والثقافة الإسلامية يهزأ أو يغمز ليلاً ونهاراً بالمتمسّكين بسنّة الرسول (ص) ، ويصفهم بأصحاب العقول المريضة والسفهاء، بل وسخر من معجزات رسول الله الثابتة فى البخارى ومسلم.

ويقدّم المؤلّف أمثلة على الاستهزاء بالرسول فيقول: ومن السخرية بسنّة رسول الله ما هزأ به محمّد الغزالى حين أورد حديث: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة، يسخر من هذا الحديث، ويذكر أنّ بلقيس وفكتوريا وانديرا غاندى وجولدا مائير قد أفلحن بأُممهنّ إلى آخر ما ذكر، مع أنّ هذا الحديث مخرج فى صحيح البخارى.

ومن السخرية برسول الله السخرية بالرجال الذين حملوا دينه.

وآخر يقول: حدّثنا الشيخ إمام، عن صالح بن عبد الحى، عن سيّد درويش، عن أبيه، عن جدّه، وهذا منتهى السخرية والجرأة على حملة دين الله الذين هم رجال الإسناد.

كذلك السخرية والاستهزاء ببعض مسائل عقيدة أهل السنّة والجماعة.

وينقل فتوى لابن باز فى هذا الشأن تقول: الاستهزاء بالإسلام أو بشىء منه كفر

ص:۱۹۸

أكبر، ومَن يستهزئ بأهل الدين والمحافظين على الصلوات من أجل دينهم ومحافظتهم عليه، يعتبر مستهزءاً بالدين، فلا تجوز مجالسته ولاـ مصاحبته، بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه ومن صحبته، وهكذا مَن يخوض فى م–سائل ال–دين بالسخرية والاستهزاء يُعتبر كافراً.

ثمّ يستطرد فى بيان صور الاستهزاء والسخرية فيقول عن الساخرين من اللحية: أتهزأ باللحية أيّها الساخر وأنت تتجاهل أنّها خلق الله وتصويره.

أتهزأ باللحية أيّها المستهزئ وهى سنّة رسول الله (ص) الواجبة.

واستنجد بفتوى صادرة عن أحد رموز الوهّابيّة من أحفاد محمّد بن عبد الوهاب حين سُئل عن الذى يقول: إنّ اللحية وساخة هل يعتبر مرتدّاً؟

فأجاب بقوله: فيه تأمّل، إن كان يعلم أنّه ثابت عن الرسول فهذا استهزاء بما جاء به الرسول، فحرى أن يحكم عليه بذلك، أى: بالردّة.

ثمّ تحدّث عن السخرية بالمؤمنين فقال: إنّه الغمز واللمز والضحك الذى يمارسه كلّ مجرم ضدّ كلّ موحِّد.

وقال: وهذا الجرم لم يقتصر فعله على أعداء الدين، بل وقع حتّى من أُناس يحسبون على الدعوة والدعاة، فهذا محمّد الغزالى يسخر بعلماء الحنابلة وهو يعلّق على كلام الرسول (ص) : مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلّين العص–ر إلاّ فى بنى قريظة، فيقول: لو كان هؤلاء الحنابلة المتشدّدون حاضرين لقالوا لِمَن استعجل الصلاة: يا عدوّ الله ورسوله تعصى النبى وترفض عزيمته علينا إنّ هذا نفاق، كيف تصلّى فى الطريق وقد أمرنا بالصلاة فى بنى قريظة؟

وعدّ هذا القول من باب السخرية بعلماء الأُمّة.

وتوعّد المستهزئين بالخزى والعار والنار والهلاك، وذلك بعد أن حشد كمّاً كبيراً من النصوص القرآنية التى تتحدّث عن مصير أقوام الرسل الذين عاندوهم وكفروا برسالاتهم، هلاك فى الدنيا وفى الآخرة عذاب عظيم.

ص:۱۹۹

وفى ختام الكتاب طالب المسلم بعدم موالاة الهازلين الساخرين المستهزئين، والإعراض عنهم، وعدم مجالستهم ضارباً المثل بابن عبد الوهاب الذى عانى من سخرية قومه ونفورهم منه فما زاده هذا الأذى إلّا شجاعةً فى الحق وصدعاً بالدعوة إلى التوحيد الخالص وإعلان البراءة من الشرك وأهله.

براءة أهل السنّة من الوقيعة فى علماء الأُمّة

وهو منشور موجّه لبعض خصوم الوهّابيّة من المعاصرين الذين نالوا من: ابن تيمية، وابن القيّم، والبخارى، وفقهاء الحنابلة، وفقهاء الحديث.

وقد افتتح المنشور برسالة ابن باز إلى كاتبه يقول فيها: أمّا بعد فقد اطّلعت على الرسالة التى كتبتم بعنوان: (براءة أهل السنّة) وفضحتم فيها المجرم الآثم محمّد زاهد الكوثرى بنقل ما فى كتبه من السبّ والشتم والقذف لأهل العلم والإيمان، واستطالته فى أعراضهم، وانتقاده لكتبهم إلى آخر ما فاه به ذلك الأفّاك الأثيم عليه من الله ما يستحق، كما أوضحتم أثابكم الله تعلّق تلميذه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة به، وولائه له وتبجّحه باستطالة شيخه المذكور فى أعراض أهل العلم والتقى.

ونقل الكاتب ما قاله فى ابن القيّم، وهو فى غاية الحس-رة والألم إذ قال: رميه ابن القيّم بألفاظ متعفّنة يأبى الطبع سماعها، حشرها فى رسالة واحدة هى (تبديد الظلام المخيّم من نونية ابن القيّم) الذى علّقه على كتاب السبكى: (السيف الصقيل فى الردّ على ابن زفيل) ونونيّته التى أنكر فيها المجاز؛ سيراً على نهج شيخه فى القول بالتجسيم والتى سمّاها: (الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية) ثمّ علّق الكاتب على مَن رمى ابن القيّم قائلاً: لا يزيد عنه فى الخروج على الإسلام والمسلمين، لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون فى الشريعة.

ونقل ما قاله أبو غدة فى ابن تيمية: بل هو وارث علم صابئة حرّان حقّاً والمستلف من السلف ما يكسوها كسوة الخيانة والتلبيس، ومَن اتّخذه إماماً إنّما اتّخذه إماماً فى الزيغ والشذوذ من غير أن يتهيّب ذلك اليوم الذى يُدعى فيه كلّ أُناسٍ بإمامهم.

ص:۲۰۰

يقول الكاتب متابعاً: ثمّ اعتـدى اعتـداءً سافراً فسـلق كلّ مَن كان سـلفياً على اعتقاد أهل السـنّة والجماعـة من علماء الحـديث فى قديم الدهر وحديثه؛ وذلك بنسبتهم إلى الممالك الكافرة التى محاها الإسلام.

وفى ختام منشوره قال: أيّها الراغب فى السنّة اعتبر اعتبار أُولى الأبصار وكن من كتب عصبة التعصّب على تقيّة فإنّها ليست بتقيّة وفيها دسائس خفيّة، وتبصّ-ر أىّ الفريقين أحقّ بالأمن من الهوى وغلبة العصبية، واحذر العزو إليها فإنّ فوتها غنيمة والظفر بها هزيمة.

ثمّ حدّد ما يدور حوله الخصوم الطاعنين فى السلفية الحنبلية من خلال كلام الكوثرى وتلميذه، وأنّهما اعتمدا على الأُمور التالية:

التزام التقليـد الأصمّ والعصبيـة، والميل للأشاعرة، وتبنّى نهـج القبور، وانساب قلمهما فى قـذف وتكفير الأبرياء والتنقّص للأوفياء، أى: الحنابلة الوهّابيّين.

ونتج عن هذه الأُمور - حسبما قال - أُموراً أُخرى جرّتهما إلى ما يلى:

التنكّر لعلماء السلف، والمغالاة فى التقديس، واحتضان البِدْعة، والدنية بالدين.

تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين

ومؤلّف هذا الكتاب كان قاضى المحكمة الشرعية الأُولى فى قطر، وله مؤلّف آخر تحت عنوان:

(نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين)

يبدأ المؤلّف كتابه بالحديث عن نشأة البِدَع فى الإسلام ملقياً بتبعة نشأتها وظهورها على الفِرَق والاتّجاهات الأُخرى.

وحدّد أسباب انتشار البِدَع ورواجها فى الأُمور التالية:

سكوت كثير من العلماء، وتأييد الحكّام، والقول فى الدين بغير علم، والجهل بالسنّة.

ولنا مع هـذا الكلام وقفات، فإنّ سـكوت العلماء عمّا يـدّعيه الحنابلـة والوهّابيّين من انتشار البِدَع لا يعنى إلّا شـيئاً واحداً وهو أنّ هؤلاء العلماء لا يعدّونها بِدَعاً، وإنّما هى

ص:۲۰۱

بِدَع من منظور الحنابلة وحدهم.

أمّا تأييد الحكّام فلا ينكر أنّ الحكّام دعموا المعتزلة والأشاعرة والصوفية فى فترات تاريخية متقطّعة، وهم خصوم الحنابلة، لكنّهم دعموا الحنابلة أيضاً، ولولا هذا الدعم ما كان للحنابلة وجود.

وهل غفل هذا القاضى عن دعم آل سعود لمحمّد بن عبد الوهاب وأنّه لولا هذا الدعم لما كان للوهّابيّة وجود؟

فهل يُعدّ دعم الحكّام للحنابلة والوهّابيّين نصرة للإسلام أم لأهل البِدَع؟

والجواب عند الحنابلة والوهّابيّين نصرة للإسلام بالطبع.

والقول فى الدين بغير علم دعوى حنبلية باطلة يرفعونها على الدوام فى مواجهة خصومهم، الذين يصمونهم بالجهل على الدوام، بينما هم يخوضون فى الدين بعلم وعقل، ولكى تكون على علم فى منظور الحنابلة لابدّ وأن يتّفق هواك مع هواهم، وتدين برواياتهم وتعتقد معتقداتهم، ثمّ بعد ذلك خض فى الدين كيف تشاء فيصبح قولك مأثوراً.

ثمّ يواصل المؤلّف هجومه على الخصوم فى فصل تحت عنوان: شبهات منكرى الاحتجاج بالسنّة والاكتفاء بالقرآن فقط، خاصّةً الذين ينكرون الاحتجاج بأحاديث الآحاد.

وقد حشد فى هذا الفصل بعض الأحاديث التى يبرهن بها على اتّباع النبى (ص) فى كلّ شىء، وغاب عنه أنّ الأمر ليس فى إنكار اتّباع النبى، الذى لم يقل به أحد، لكنّه يبرهن على ذلك بالروايات.

وهو بهذا يبرهن على دعواه بنصوص دعواه وهى سقطة منطقية من قبله يُعذر فيها لكونه ليس من المؤمنين بالمنطق والعقل، بل من المجرمين له سيراً مع سنّة الحنابلة.

والتطبيق الحقيقى لاتّباع الرسول (ص) فى كلّ شىء يتمثّل فى الالتزام بالقرآن الذى جاء به، لا الالتزام بالروايات المنسوبة إليه، وهى محلّ خلاف بين المسلمين.

ص:۲۰۲

ويواصل المؤلّف مشيراً إلى بِدْعة التعصّب المذهبى، وسؤال وجّه إلى ابن تيمية حول هذه المسألة، وجوابه الذى يتلخّص فى: أنّ الرواية أو الحديث النبوى هى المقدَّمة ولا يجوز تقديم المذاهب عليها. ورفض المؤلّف فكرة تقسيم البِدَع إلى بِدْعةٍ سيئة، وبِدْعةٍ حسنة، منكراً أدلّة البعض على تحسين البِدَع رادّاً على أدلّتهم مؤكّداً أنّ كلّ بِدْعة ضلالة.

ثمّ سلك المؤلّف بعد ذلك نهج الوهّابيّة فى رفض التوسّل وزيارة الأضرحة، معتبراً ذلك من صور الشرك، أو من البِدَع الاعتقادية، على حدّ تعبيره، آخذاً الصوفية فى طريقه، وقد عدّ الكثير من مبادئها من البِدَع الضالة.

واعتبر أيضاً أنّ التأويل من البِدَع التى ظهرت فى واقع المسلمين على يد المأمون العبّاسى.

كذلك الأعياد، مثل: عيد الميلاد، وعيد النيروز، وشمّ النسيم، وأنّ هذه البِدَع من باب مشابهة الكفّار.

وألحق المؤلّف بكتابه فصلًا يحوى بعض الأسئلة عن البِدَع الاعتقادية الواردة إليه من الهند وأجوبتها، منها: مسألة الصلاة على النبى (ص) جهراً وجماعةً بعد صلاة فجر الجمعة، ومسألة البناء على القبور، ومسألة الموالد.

أمّا القسم الثانى من الكتاب فقد خصّصه لما أسماه بِدَع العبادات والجنائز والشهور والمواسم والأعياد وبِدَع النساء.

وعدّ المؤلّف من أقبح البِدَع موافقة المسلمين للنصارى فى أعيادهم أو الإهداء إليهم فيها أو تهنئتهم.

ولم ينس المؤلّف أن يختم كتابه بذكر مناقب الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة، وعرض مفهوم أهل السنّة لأهل البيت.

والهدف من وراء هذه الخاتمة هو مواجهة المبتدعة الشيعة الذين يتبنّون رؤيةً مخالفةً فى الصحابة وأهل البيت وتحصين الأتباع تجاههم.

والشيعة هم التحدّى الأكبر الذى يواجه حنابلة العصر الوهّابيّين، وهم يمثّلون

ص:۲۰۳

الاتّجاه الوحيد الذى يشكّل خطراً عليهم ويرصد نصوصهم ورواياتهم، فمن ثمّ ركّزوا عليهم أكثر من الصوفية، وأصدروا فيهم أكبر كم من المنشورات التى تحرّض المسلمين عليهم.

بل وصل بهم الأمر إلى التحالف مع النظام البعثى الحاكم فى العراق، والذى يكفّرونه ضدّ إيران الشيعية، والتى كانت تخوض حرباً ضدّ العراق أضفوا عليها المشروعية، ثمّ حاق المكر الس-ىء بهم وانقلب صدّام عليهم حين غزا الكويت فاضطرّوا للانقلاب عليه.

وقبل وداع القارئ قدّم المؤلّف النصائح والتوجيهات التالية:

- نشر السنّة بين المسلمين وتفهيمهم سنّة سيّد المرسلين، ولا سيّما فى باب العقائد والعبادات.

- رفض التعصّب لمذهب، أو لرأى، أو لاجتهاد من الاجتهادات.

- منع العامّة من القول فى الدين.

- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

العواصم من القواصم

وهو من وضع أبى بكر ابن العربى القاضى المالكى (ت۵۴۳ه) ، والذى طرح من خلاله العديد من الرؤى، وقدّم من خلاله رؤية تحقيقية لمواقف الصحابة وممارساتهم بعد وفاة رسول الله (ص) ؛ ليكون وثيقة إرهابية تلجم العقول وتمنع الخوض فيما دار ووقع بينهم، فقام الوهّابيّون بحذف كلّ ما لا يخدم مذهبهم من الكتاب، واكتفوا بما ذكره حول الصحابة لكونه يخدم توجّههم، وقاموا بتحقيقه والثناء على صاحبه على الرغم من كونه من أهل المذاهب التى يبغضونها ويحاربون أهلها؛ وذلك لكونه يخدم أغراضهم ويسير فى الاتّجاه الداعم لأفكارهم.(۱)

۱- يقوم الوهّابيّون بتزوير العديد من كتب التراث، وحذف النصوص التى لا تخدم مذهبهم منها، وهو ما فعلوه فى كتاب العواصم من القواصم، انظر لنا كتاب أكاذيب الوهّابيّة.

ص:۲۰۴

واعتبر ابن العربی ما وقع من خلاف وصدام بین المهاجرین والأنصار فی سقیفة بنی ساعدة قاصمة.

أمّا العاصمة فهی تدارک الله الإسلام والأنام بأبی بکر وعمر.

وما نُسب إلی عثمان من مظالم ومناکیر هو من القواصم.

أمّا العاصمة فهی الإیمان ببطلان ما نُسب إلیه.

وما دار من خلاف حول بیعة الإمام علی، وکذلک ما وقع فی صِفّین من قتال هو قاصمة.

أمّا مجیء أصحاب الجمل وقتالهم لعلی فهو من العواصم.

ثمّ یبرهن الکتاب بعد ذلک علی صحّة مواقف معاویة ومش-روعیة الخطّ الأموی محاولاً تلمیع الأمویین وتبییض وجه یزید بن معاویة خاصّةً.

وهـذا الکتاب کُتب خصّ-یصاً لمواجهـة الشـیعة الـذین یتبنّون رؤیـةً فی الصـحابة تمثّل إزعاجاً کبیراً لأهل السـنّة الذین لم یجدوا سبیلاً لمواجهتها إلّا بتحریم الخوض فیما جری ووقع بعد وفاة الرسول (ص) وجعل هذا التحریم من النصوص العقائدیة.

ولم ینس المؤلّف أن یحشـد فی کتـابه عشـرات التبریرات والتأویلاـت التی تصـطدم بـالفطرة والعقل وتجعل منه أشـبه بنشـرة حکومیة تهدف إلی إلجام العقول وکتم الأفواه وتعمیة العیون؛ کی تظلّ الأُمّة فی الطریق الذی یخدم مصالح الحکّام.

ولم ینس المؤلّف - أیضـاً - أن یرشـد المسـلمین إلی عاصـمةٍ هامّـة فی نهایـة کتابه، وهی تحـذیرهم من کتب المفسِّرین والمؤرِّخین وأهل الآداب وجمیع هؤلاء من أهل السنّة.

قال: إنّما ذکرت لکم هـذا لتحترزوا من الخلق، وخاصّـةً من المفس-ّرین والمؤرّخین وأهل الآداب، فإنّهم أهل جهالة بحرمات الدین، أو علی بِدْعـة مصـرّین، فلاـ تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا روایـة إلّا عن طریق أئمـة الحـدیث، ولا تسـمعوا لمؤرِّخ کلاماً إلّا الطبری، وغیر ذلک هو الموت الأحمر والداء الأکبر، فإنّهم ینشـئون أحادیث اسـتحقارِ الصـحابة والسـلف والاسـتخفاف بهم، واختراع الاسترسال فی الأقوال والأفعال

ص:۲۰۵

عنهم، وخروج مقاصـدهم عن الدين إلى الدنيا، وعن الحق إلى الهوى، فإذا قاطعتم أهل الباطل، واقتصـرتم على رواية العدول؛ سـلمتم من هذه الحبائل ولم تطووا كشحاً على هذه الغوائل.

ومن أشدّ الأشياء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال.

فأمّا الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً فى كتابه (الإمامة والسياسة) إن صحّ عنه جميع ما فيه.

وكالمبرّد فى كتابه الأدبى وابن عقلة من عقل الثعلب الإمام فى أماليه، فإنّه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأُمّة، وأمّا المبتدع المحتال فالمسعودى فإنّه بما يأتى به منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك، وأمّا البِدْعة فلا شك فيه.

فإذا صـنتم أسـماعكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسـمعوا فى خليفة ممّن ينسب إليه ما لا يليق، ويذكر عنه ما يجوز نقله، كنتم على منهج السلف سائرين وعن سبيل الباطل ناكبين.

وقـد أطلق المؤلّف سـهامه على المأمون العبّاسـى والواثق من بعده لقوله بخلق القرآن ودعمه للشـيعة والمعتزلة، وإشاعته لكتب المنطق والفلسفة وأهل الرأى والأدب مثل الجاحظ.

وعدّ القول بخلق القرآن بِدْعة أشدّ من بِدْعة شرب الخمر والزنا والغناء والفسق الذى ارتبط بالخلفاء.

والمقصود بهـذا الكلاـم أنّ المـأمون لو كان من الزناة والفسّاق ملازم للمنكرات ولم يكن من القائلين بخلق القرآن لكان مقبولاً عنـده وعنـد الفقهاء كحال بقيّـة الخلفاء، وعلى رأسـهم يزيـد الفاسق، والمتوكّل المجرم، الـذين عدّوهم من الأئمّة الواجب طاعتهم والصـلاة والحج والجهاد من ورائهم.

والمسألة عند هؤلاء على ما هو ظاهر ليست مسألة قيم وحقوق وواجبات وإنّما مسألة مذهب، فمَن وافقهم من الحكّام على مذهبهم فهو على الصراط المستقيم، ولو

ص:۲۰۶

کان فاجراً جبّاراً، ومَن خالف مذهبهم فهو علی صراط الشیطان الرجیم ولو کان عادلاً رحیماً.

وهذه اللغة الانفعالیة المتطرّفة لا تحمل أیّ صورةٍ من صور الاحترام والتقدیر للآخر، وهی نفس لغة الحنابلة، من أجل ذلک رحّب الوهّابیّون بهذا الکتاب واحتفوا به واعتمدوه؛ لیصبح من الکتب المتداولة بین الفِرَق التی خرجت من تحت عباءتهم.

وجملة: یعتبر ابن العربی الخوض وإعمال العقل فیما دار وجری بین الصحابة بعد رحیل الرسول (ص) من القواصم، أمّا تعطیل العقل فی مواجهتها والمرور علیها مرور الکرام وکأنّها حوادث وقعت فی المنام فهو فی منظوره من العواصم.

من هنا قامت بتحقیق هذا الکتاب ونشره بین المسلمین عدّة جهات وهّابیّة، ترکت بصمتها الواضحة علیه وأضافت ما یمکن إضافته من روایات وأقوال لابن تیمیة تزیده قوّةً وتأثیراً، وتدعم الموقف الانهزامی من الحکّام، وتبرّر جرائمهم فی حقّ الإسلام والمسلمین وفی مقدّمتهم: یزید بن معاویة.

ولم یعجب الوهّابیّون موقف ابن العربی من الطبری، خصم الحنابلة وخصمهم، فلم ینسوا الإشارة إلی ذلک فی تعلیقاتهم؛ حتّی لا یضلّ القارئ وینساق وراء الطبری الضال فی منظورهم.

وشنّ واحد من الوهّابیّین الذین حقّقوا هذا الکتاب حرباً شعواء علی الفلسفة والفلاسفة، التی کانت من موضوعات الکتاب وتمّ حذفها، مؤکّداً أنّ فقهاء السلف قد حرّموا دراسة الفلسفة ونادوا بالاعتصام بالسنّة فی مواجهتها.

کشف الأوهام والالتباس عن تشبه بعض الأغبیاء من الناس

قال المؤلّف فی مدخل الکتاب رأیت سؤالاً هذا نصّه: ما یقول الشیخ فی أُناس تنازعوا فقال بعضهم: الجهمیة کفّار والذی ما یکفّرهم کافر، واستدلّوا علی ذلک بقول بعض العلماء: مَن لم یکفّر المشرکین أو شکّ فی کفرهم فهو کافر.

ص:۲۰۷

وقال الآخرون: أمّا قولكم الجهمية كفّار فهذا حق إن شاء الله ونحن نقول بذلك، وهو قول جمهور العلماء من أهل السنّة والجماعة، كما ذكر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد في الكلام على أوّل باب، مَن جحد شيئاً من الأسماء والصفات، وكما ذكر أيضاً في جوابه على شبهة الجهمي ابن كمال المذكور في مجموعة التوحيد، وكما ذكره ابن القيّم في الكافية الشافية.

وأمّا قولكم والذي ما يكفّرهم كافر فهو باطل مردود لما ذكره هؤلاء الأعلام من تكفير جمهور أهل السنّة للجهمية، وعدم تكفير الباقين من أهل السنّة لهم، أفيجوز تكفير مَن لم يكفّرهم من العلماء المذكورين أو غيرهم مع ذلك؟

وهل رأيت أحداً من أهل العلم كفّر هؤلاء العلماء الذين لم يكفّروا الجهمية؟

وهذا الكلام لم يعجب الوهّابي المتطرّف صاحب هذه الرسالة فقام على الفور مشهراً حرابه في وجه الشيخ صاحب الإجابة مع أنّه من الوهّابيين الموحّدين، وصنّف هذه الرسالة في الردّ على الشيخ حيث قال: هذا الرجل لم يطلع على أقوال الطوائف ولا انتهى إلى غاية مرامهم ونهاية أقدامهم، ولا عرف ما في كتب الناس، فلأجل عدم معرفته بأحوال هذه الطبقة، وهم جهّال المقلّدين للجهمية ولعبّاد القبور وقع فيما لا مخلص منه.

واستعرض العديد من الأقوال لابن حنبل، والخلّال، واللالكائي، وابن خزيمة، وابن تيمية، وابن القيّم، وغيرهم، في كفر الجهمية؛ وأنّ ذلك قول عامّة أهل العلم، رافضاً بقوّةٍ فكرةَ استثناء أحدٍ منهم من التكفير، أو استثناء أحدٍ ممّن لم يكفّرهم على مستوى الجهمية القدامى، أو مَن يقول بقولهم على مستوى الحاضر.

وقال: قد ذكر أهل العلم إنّ مَن لم يكفّر المشركين، أو شكّ في كفرهم فهو كافر، كما قال الشيخ محمّد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام العشرة: مَن لم يكفّر المشركين، أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم فهو كافر.

ص:۲۰۸

وقال: قد بيّن ابن القيّم في الطبقات تنويع الجهّال المقلّدين لأهل الكفر من الجهمية، وعبّاد القبور، وغيرهم، وفصّل النزاع وأزال الإشكال، فقال في الطبقة السابعة عشر: طبقة المقلّدين وجهّال الكفرة وأتباعهم، وحميرهم الذين هم معهم تبع يقولون: إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ (الزخرف: ٢٣) ، ولنا أسوة بهم ومع هذا فهم مسالمون لأهل الإسلام غير محاربين لهم، وقد اتّفقت الأُمّة على أنّ هذه الطبقة كفّار، وإن كانوا جهّالاً مقلّدين لرؤسائهم وأئمّتهم إلاّ ما يحكى عن بعض أهل البِدَع أنّه لم يحكم بهؤلاء بالنار، وجعلهم بمنزلة مَن لم تبلغه الدعوة، وهذا مذهبهم لم يقل به أحد من أئمّة المسلمين لا الصحابة ولا التابعون ولا من بعدهم، وإنّما يعرف عن بعض أهل الكلام المحدث في الإسلام، فغاية هذه الطبقة أنّهم كفّار جهّال غير معاندين، وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفّاراً.

وقال صاحب الرسالة معلِّقاً: انظر أيّها المنصف كلام ابن القيّم وتكفيره لهؤلاء الجهّال المقلّدين للمعاندين، وهذا الرجل الذي أعمى الله قلبه يقول: إنّ بعض أهل السنّة لا يكفّرون الجهمية، أفيجوز تكفير مَن لم يكفّرهم العلماء المذكورين، وأمّا جمهور العلماء فهم يكفّرونهم، ومراده بذلك الردّ على مَن قال من العلماء بتكفير مَن لم يكفّر الكافر، والعلماء لم يختلفوا في تكفير الجهمية النفاة المعطّلة للذات والأسماء والصفات، بل قد اتّفقت الأُمّة على تكفير الأتباع الجهّال المقلّدين لرؤسائهم وأئمّتهم الذين هم تبع لهم. ويؤكّد صاحب الرسالة أنّ جهمية العصر قد بلغتهم الدعوة وقامت عليهم الحجّة فلا حرج في تكفيرهم فهم على علمٍ وبيّنة لا تقتضي الشك في كفرهم.

وقال: وإذا كان هؤلاء أهل بِدْعة وضلالة فما المسوّغ للذبّ عنهم والمجادلة دونهم بالباطل ومعاداة مَن عاداهم، وإظهار الشناعة عليهم لولا متابعة الهوى وحميّة الجاهلية.

ونقل عن اجتماع الجيوش الإسلامية قول ابن القيّم عن ابن تيمية: المقصود أنّ هؤلاء الأتباع المقلّدين للجهمية إمّا أن يكونوا زنادقة مقلّدين لزنادقة مستبصـرين،

ص:۲۰۹

وإمّا أن يكونوا من النوع الذين يردّون كثيراً من نصوص الوحى إذا وردت إليهم مخالفة لما تلقّوه أسلافهم وذوى مذهبهم ومَن يحسنون به الظن، فإذا تبيّن لك أنّ هؤلاء الجهمية زنادقة مستبصرين، وأنّ أتباعهم المقلّدين لهم إمّا أن يكونوا زنادقة مقلّدين لهؤلاء الزنادقة المستبصرين، وإمّا أن يكونوا من النوع الثانى، إذا عرفت هذا يتبيّن لك خطأ مَن زعم أنّ لأهل العلم فيهم قولين.

ويبدو من خلال هذه الرسالة أنّ كاتبها يصرّ على تكفير جميع المسلمين، ويدعم موقفه بأقوال ابن تيمية وابن القيّم وابن عبد الوهاب وغيرهم ممّن وضعوا الأساس لثقافة الإرهاب فى تاريخ المسلمين.

ومن المعروف أنّ أكثرية المسلمين من قديم يتبنّون العقائد الأشعرية والماتريدية المتصادمة مع عقائد الحنابلة، ويتبنّون التأويل فى مواجهة النصوص المتعلّقة بالصفات، وإصرار الكاتب على موقفه يعنى تكفير جميع المسلمين، بالإضافة إلى عدم التسامح مع الذين يحاولون التهرّب من فكرة التكفير من الوهّابيّين وهو ما يعنى تكفيرهم أيضاً.

وهو يرفض رفضاً تامّاً فكرة العذر بالجهل التى تبنّاها العديد من الفقهاء فى الماضى، وتبنّتها أيضاً بعض الجماعات الوهّابيّة المعاصرة فى مواجهة مَن يجهلون أُصول الدين، ويأتون بأفعال تتناقض مع هذه الأصول.

وكانت فكرة العذر بالجهل من الأسباب الرئيسية التى أدّت إلى انشقاق الجماعة الإسلامية عن فرقة الجهاد فى مصر، بسبب إصرار فرقة الجهاد على عدم عذر رجال الأمن الذين يتربّصون بهم ويعتقلونهم ويعذّبونهم، واعتبارهم كفّاراً لكونهم يدافعون عن نظام كافر، وهى نفس الفكرة التى تبنتها فرقة التكفير حين برزت لأوّل مرّةٍ داخل معتقلات عبد الناصر فى منتصف الستينيات.

أمّا الجماعة الإسلامية فقد تمسّكت بأقوال فقهاء السلف، وقالت بعذر هؤلاء

ص:۲۱۰

لجهلهم، وهو ما يعنى: أنّ صاحب الرسالة الوهّابى يغالط ويدّعى الإجماع على تكفير الأتباع من قِبَل الفقهاء؛ وهو ما نقله عن شيوخه: ابن تيمية، وابن القيّم، وابن عبدالوهاب الذين يتحصّنون دائماً بفكرة الإجماع من باب تضليل المسلمين.(۱)

فتاوى مهمّة لعموم الأُمّة

وهذه الفتاوى لابن باز وابن عثيمين معاً، وفيها:

لو أنّ رجلًا يقرّ إقراراً كاملًا بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرّب إليه فإنّه مشرك كافر خالد فى النار.

ومن الشرك الأكبر المخرج من المِلّة أنْ يدعو غير الله عزّ وجلّ، مثل أن يدعو صاحب قبر أو يدعو غائباً ليغيثه.

وقد تكون البِدْعة فى الدين عقيدة أو عبادة قولية أو فعلية كبدعة نفى القدر وبناء المساجد على القبور وقراءة القرآن عندها للأموات، والاحتفال بالموالد والاستغاثة بغير الله، والطواف حول المزارات، فهذه وأمثالها كلّها ضلال لكن منها ما هو شرك أكبر يخرج من الإسلام كالاستغاثة بغير الله، والذبح والنذر لغير الله إلى أمثال ذلك ممّا هو عبادة مختصّة بالله، ومنها ما هو ذريعة إلى الشرك كالتوسّل إلى الله بجاه الصالحين.

والاحتفال بالموالد هو من البِدَع المحدثة، ومن التشبّه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى فى أعيادهم، والاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام، بل هو من البِدَع المحدثات، وغالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بِدْعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أُخرى كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغانى والمعازف، وشرب

۱- كان أوّل مَن قنّن لفكرة تكفير المسلمين هو سيّد قطب، الذى قامت على أساس أفكاره فرقة التكفير وفرقة الجهاد من بعد، انظر تفاصيل هذا الأمر وغيره فى كتابنا الحركة الإسلامية فى مصر، وكتابنا الجنّة والنار سيرة الجماعات الإسلامية.

ص:۲۱۱

المسكر والمخدرات، وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك وهو الشرك الأكبر؛ وذلك بالغلو فى رسول الله (ص) ، أو غيره من الأولياء، ودعاء الاستغاثة وطلبه المدد، واعتقاد أنّه يعلم الغيب، وغير ذلك من الأُمور الكفرية التى يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبى (ص) ، وغيره ممّن يُسمّون بالأولياء.

والاحتفال بليلة القدر، أو النصف من شعبان، أو ليلة الإسراء والمعراج، كلّ ذلك بِدْعة.

وقد ثبت عن أصحاب رسول الله والسلف التحذير من البِدَع والترهيب منها، وما ذاك إلّا لأنّها زيادة فى الدين وشرع لم يأذن به الله، وتشبّه بأعداء الله من اليهود والنصارى.

وجاء سؤال يقول: هل يعتبر الشيعة فى حكم الكافرين؟

وهل يدعو المسلم الله تعالى أن ينصر الكفّار عليهم؟

وكان الجواب هو: الصواب أن يقال الرافضة، كما وصفهم ابن تيمية فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم، حيث قال: إنّهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركاً، فلا يوجد فى أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد، حتّى أنّهم يخرّبون مساجد الله التى يُذكر فيها اسمه فيعطّلونها عن الجُمَع والجماعات، ويعمّرون المشاهد التى أُقيمت على القبور.

وقال: الرافضة أُمّة مخذولة ليس لها عقل صريح، ولا نقل صحيح، ولا دين مقبول، ولا دنيا منصورة.

وقال فى الفتاوى ج۳ / ۳۵۶: ومنهم ظهرت أُمّهات الزندقة والنفاق، كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم.

وأمّا خطر الرافضة على الإسلام فكبير جدّاً، وخطرهم يأتى من حيث إنّهم يدينون بالتقيّة التى حقيقتها النفاق، وهو إظهار قبول الحق مع الكفر به باطناً.

وأمّا كوننا ندعو الله أن ينصر الكافرين عليهم فلا حاجة إليه، وإنّما ندعو الله أن

ص:۲۱۲

ينصر المسلمين الصادقين.

وفى جواب عن سؤالٍ يقول: إذا كانت المرأة متزوّجة وزوجها لا يصلّى فهل لها أن تفارقه؟

وكان الجواب هو: إذا كانت امرأة متزوّجة وزوجها لايصلّى أبداً مع الجماعة ولا مع غير الجماعة، فإنّه ينفسخ نكاحها ولا تكون له زوجة، ويجب عليها أن تذهب إلى أهلها وأن تحاول بقدر ما تستطيع أن تتخلّص من هذا الرجل الذى كفر بعد إسلامه، أىّ امرأةٍ زوجها لا يصلّى لا يجوز لها أن تبقى طرفة عينٍ معه حتّى ولو كانت ذات أولاد منه، ولا حقّ لأبيهم فى حضانتهم؛ لأنّه لاحضانة لكافرٍ على مسلم.

الحكم الجديره

الحِكَم الجديرة بالإذاعة من قول النبى بعثت بالسيف بين يدى الساعة

وهذا المنشور لابن رجب الحنبلى، وكما هو واضح شديد الخطورة وشديد العشق للدماء، ولا مجال فيه للحوار والاعتدال، أمّا قذائفه فتتمثّل فيما يلى:

* أنّ الإسلام جاء بالسيف.

* أنّ السيف هو شعار الإسلام حتّى قيام الساعة.

* أنّ الإسلام جاء بستّة سيوف.

سيف على المشركين حتّى يسلموا أو يؤسروا.

وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة.

وسيف على أهل الكتاب حتّى يعطوا الجِزْية.

وسيف على أهل البغى من المسلمين.

وسيف على أهل الردّة.

وسيف على أهل البِدَع.

* أهل التوحيد والطاعة لله - الحنابلة - أحق بالمال من أهل الكفر.

* أهل الأهواء والبِدَع كلّهم مفترون على الله.

ص:۲۱۳

* عقوبة المبتدع أغلظ من عقوبة العاصی.

* من تشبّه بقوم فهو منهم.

وهـذا المنشور من أوّله إلى آخره يقوم على أساس روايةٍ منسوبةٍ للرسول (ص) قامت على أساسـها أحكام وتصوّرات ومفاهيم شديدة التطرّف فی مواجهة المخالفين من المسلمين وأصحاب الديانات الأُخرى.

لقد أظهرت هذه الرواية أنّ الإسلام دين السيف والدماء، لا دين العقل والحوار، وهو بهذه الصورة بدا وكأنّ الله سبحانه بعثه وبالاً على البش-ر ونقمةً عليهم لا رحمةً مهداة لهم.

والحق أنّ هذه الصورة المتطرّفة عن الإسـلام تتنافى مع نصوص القرآن، وأقل ما يُقال فيها إنّها من اختراع الرواة والفقهاء الذين باركوا هذه الروايات، وعلى رأسهم فقهاء الحنابلة.

ومثل هـذه الصورة المنفّرة عن الإسـلام إنّما تزيـد من ثبات أصـحاب الـديانات الأُخرى على موقفهم، كما تزيد من إرهاب المسـلمين وتخويفهم من أحكـام الـدين وعزلهم عنه، وهـذه النتيجـة الخطيرة لا ـ تعنى هؤلاـء الفقهـاء فی شـیء فأصـحاب الـديانات الأُـخرى فی منظورهم هم مشركون يجب أن يعمل السيف فيهم.

والمسـلمون المخالفون هم زنادقـة؛ لأنّهم لا يتبعون هـذه الروايات، ولا يسـيرون على نهـج السـلف ويلتزموا بعقل الماضـی، ويجب أن يعمل السيف فيهم أيضاً.

إنّ الخروج عن دائرة روايات السـلف يعنی فی منظور الفقهاء التشـبّه بالمش-ركين؛ لأنّهم هم المسـلمين ومَن لم يتشـبّه بهم فقد خرج من الإسلام.

فتاوى أزْهَرِيّة

تمكّن التيّار الحنبلی من اختراق المؤسّـسة الأزهريـة واسـتثمار رموزهـا، ويظهر لنا هـذا بوضوح من كمّ الفتاوى التی صـدرت عن دار الإفتاء المصرية وتلقّفتها الفِرَق الوهّابيّة

ص:۲۱۴

المتطرّفة وتحصّنت بها.

وقد قامت جماعة أنصار السنّة المحمّدية ذات النهج الوهّابى السعودى فى مصر بنشر هذه الفتاوى الأزهرية المتطرّفة مؤخّراً كهدية مجّانية على مجلّة التوحيد الناطقة بلسان الجماعة.

وليست هذه الفتاوى سوى مدافع شديدة الطلقات مصوّبة نحو المسلمين، وقد ألحقت أضراراً فادحة بعقولهم و واقعهم.

وعلى رأس هذه الفتاوى فتوى تتعلّق بالأضرحة والدفن فى المساجد و الموالد والنذور، وهى فتوى موجّهة ضدّ التيّار الصوفى الذى يتبنّى هذه القضايا، تقول بتحريم مثل هذه الأُمور واعتبارها صورة من صور الشرك والضلال.

وثانى هذه الفتاوى فتوى تتعلّق بتحريم التعامل مع البنوك، ووجوب إجبار الزوجة على ارتداء الحجاب، وتحريم الصور والتصوير، وتحريم الموسيقى، وتحريم التأمين على الحياة والتأمين ضدّ الحريق، وتحريم ذهاب المرأة إلى مصفّف الشعر، وعدم جواز خوضها ميدان العمل السياسى ودخول الانتخابات.

ومثل هذه الفتاوى التى تقوم على أساس الروايات وعقل الماضى إنّما تسهم فى تخلّف الأُمّة وتجميد مسيرتها؛ وقد رفعت رايتها الفِرَق الوهّابيّة اليوم وبنت على أساسها مواقفها وتصوّراتها المتطرّفة تجاه الواقع والمخالفين.

وكيف للأزهر وهو مؤسّسة حكومية أن يتبنّى مثل هذه القضايا المتطرّفة التى تهدّد أمن المجتمع، وفى الوقت نفسه يعلن الحرب على التطرّف والمتطرّفين؟

أحكام العصاة

وهذه رسالة مشتقّة من كتاب بِدَع الفوائد لابن القيّم الجوزية وُزّع كهدية مجّانية على مجلة الأزهر؛ تقول الرسالة:

ص:۲۱۵

* القول قد يكون كفراً.

* إنّ مبانى الإسـلام الخمسة المأمور بها - الشـهادتين والصـلاة والصوم والزكاة والحج - وإن كان ضرر تركها لا يتعدّى صاحبها، فإنّه يُقتل بتركها فى الجملـة عند جماهير الفقهاء، ويكفّر أيضاً عند كثير منهم أو أكثر السـلف، وأمّا فعل المنهى عنه الذى لا يتعدّى ضـرره صاحبه، فإنّه لا يُقتل به عند أحد الأئمّة ولا يكفّر به إلاّ إذا ناقض الإيمان؛ لفوات الإيمان وكونه مرتدّاً أو زنديقاً؛ وذلك أنّ من الأئمّة مَن يقتله ويكفّره بـترك كـلّ واحـدة من الخمس؛ لأـنّ الإسـلام بُنى عليهـا، وهو قول طائفـة من السـلف، وروايـة عن أحمـد بن حنبل اختارها بعض أصـحابه، ومنهم مَن لا يقتله ولا يكفره إلاّ بترك الصلاة والزكاة، وهى رواية أُخرى عن ابن حنبل، ومنهم مَن يقتله بهما ويكفّره بالصـلاة والزكاة إذا قاتل الإمام عليها، كرواية عن ابن حنبل، ومنهم مَن يقتله بهما ولا يكفّره إلاّ بالصلاة، ومنهم مَن يقتله بهما ولا يكفّره، ومنهم مَن لا يقتله إلاّ بالصلاة ولا يكفّره، وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف.

* مَن خالف السنّة فيما أتت به أو شرّعته فهو مبتدع خارج عن السنّة.

* أصل البِدْعة تكذيب الأحاديث الواردة فى كتب السنن.

* عامّة البِدَع من التأويل والقياس والرأى.

التطرّف وتبريره وإضفاء المشروعية عليه.

وكأنّ الأزهر بتبنّيه مثل هـذا الطرح قد خلع ثوب العقل والاعتدال واحترام الرأى الآخر، ونتيجة هذه القذائف التى تبنّاها الأزهر وأسـهم فى إطلاقها على الجماهير هى تقنين وارتداء ثوب الجمود والتطرّف والاستبداد أو ثوب النفط.

ص:۲۱۶

ص:۲۱۷

فهرس المصادر

۱. أحکام أهل الذمة، أبو عبدالله شمس‌الدین محمّدبن أبی بکر بن أیوب‌بن سعد الزرعی الدمشقی، تحقیق: یوسف أحمد البکری – شاکر توفیق العاروری، الطبعة: الأولی، بیروت، رمادی للنشر – دار ابن حزم – الدمام، ۱۴۱۸ه.

۲. السیاسة الشرعیة فی إصلاح الراعی والرعیة، أحمدبن عبدالحلیم بن تیمیة الحرّانی، دار المعرفة.

۳. الطرق الحکمیة فی السیاسة الشرعیة، أبوعبدالله شمس‌الدین محمّدبن أبی‌بکربن أیوب‌بن سعد الزرعی الدمشقی، تحقیق: د. محمّد جمیل غازی، القاهرة، مطبعة المدنی.

۴. الردّ علی الزنادقة والجهمیة، أبو عبدالله أحمدبن حنبل الشیبانی، تحقیق: محمّد حسن راشد، القاهرة، المطبعة السلفیة، ۱۳۹۳ه.

۵. الإبانة عن شریعة الفرقة الناجیة ومجانبة الفرق المذمومة، أبوعبدالله عبیدالله‌بن محمّدبن بطة العکبری الحنبلی، تحقیق: عثمان عبدالله آدم، الطبعة: الثانیة، السعودیة، دار الرایة للنشر، ۱۴۱۸ه.

۶. اقتضاء الصراط المستقیم مخالفة أصحاب الجحیم، أبوالعباس أحمدبن عبدالحلیم‌بن تیمیة الحرّانی، تحقیق: محمّد حامد الفقی، الطبعة: الثانیة، القاهرة، مطبعة السنة المحمّدیة، ۱۳۶۹ه.

۷. الفصل فی الملل والأهواء والنحل، أبومحمّد علی‌بن أحمدبن سعیدبن حزم الطاهری، القاهرة، مکتبة الخانجی.

۸. العواصم من القواصم فی تحقیق مواقف الصحابة بعد وفاة النبی صلّی الله علیه وسلّم،

ص:۲۱۸

۹. احمّدبن عبدالله أبوبکربن العربی، تحقیق: محب الدین الخطیب ومحمود مهدی الاستانبولی، الطبعة: الثانیة، بیروت، دار الجیل، ۱۴۰۷ه.

۱۰. السنّة، عبداللهبن أحمدبن حنبل الشیبانی، تحقیق: د. محمّد سعید سالم القحطانی، الطبعة: الأولی، الدمام، دار ابن القیم، ۱۴۰۶ه.

۱۱. الدرر الکامنة فی أعیان المائة الثامنة، الحافظ شهابالدین أبی الفضل أحمدبن علیبن محمّد العسقلانی، تحقیق: مراقبة /محمّد عبدالمعید ضان، الطبعة: الثانیة، حیدرآباد، مجلس دائرة المعارف العثمّانیة ۱۳۹۲ه.

۱۲. السنّة، عمروبن أبی عاصم الضحاک الشیبانی، تحقیق: محمّد ناصرالدین الألبانی، الطبعة: الأولی، بیروت، المکتب الإسلامی، ۱۴۰۰ه.

۱۳. الجامع الصحیح، محمّدبن إسماعیل أبوعبدالله البخاری الجعفی، تحقیق: د. مصطفی دیب البغا، الطبعة: الثالثة، بیروت، دار ابن کثیر، ۱۴۰۷ه.

۱۴. السنّة، أبوبکر أحمدبن محمّدبن هارونبن یزید الخلال، تحقیق: د. عطیة الزهرانی، الطبعة: الأولی، الریاض، دار الرایة، ۱۴۱۰ه.

۱۵. العقیدة الواسطیة، أحمدبن عبدالحلیمبن تیمیة الحرّانی، تحقیق: محمّدبن عبدالعزیزبن مانع، الطبعة: الثانیة، الریاض، الرئاسة العامّة لإدارات البحوث والإفتاء، ۱۴۱۲ه.

۱۶. السحب الوابلة علی ضرائح الحنابلة، محمّدبن حمید النجدی، بدون ناشر.

۱۷. الدرر السنیة فی الردّ علی الوهّابیّة، أحمد زینی دحلان الشافعی، دار الجمل المانیا.

۱۸. التحفة المدنیة فی العقیدة السلفیة، حمدبن ناصربن عثمان آل معمر، تحقیق: عبدالسلامبن برجسبن ناصر آل عبد الکریم، الطبعة: الأولی، الریاض، دار العاصمة للنش–ر والتوزیع، ۱۴۱۳ه.

۱۹. إثبات صفة العلو، أبومحمّد عبداللهبن أحمدبن قدامة المقدسی، تحقیق: بدر عبدالله البدر، الطبعة: الأولی، الکویت، الدار السلفیة، ۱۴۰۶ه.

۲۰. اعتقاد الإمام المبجل أحمدبن حنبل ذیل طبقات الحنابلة، أبو الحسین محمّدبن أبی یعلی، تحقیق: محمّد حامد الفقی، بیروت، دار المعرفة.

ص:۲۱۹

۲۱. البدایة والنهایة، أبو الفداء إسماعیل‌بن عمربن کثیر القرشی، بیروت، مکتبة المعارف.

۲۲. الکامل فی التاریخ، أبوالحسن علی‌بن أبی الکرم محمّدبن عبدالکریم الشیبانی، تحقیق: عبدالله القاضی، بیروت، دار صادر، ۱۳۹۹ه.

۲۳. الکافی فی فقه الإمام المبجل أحمدبن حنبل، أبومحمّد عبداللّه‌بن قدامة المقدسی، بیروت، المکتب الإسلامی.

۲۴. السیف الصقیل فی الردّ علی ابن زفیل، سبکی، تحقیق: محمّد زاهد الکوثری، طبع القاهرة.

۲۵. الردّ علی المنطقیین، أحمدبن عبدالحلیم‌بن تیمیة الحرّانی، تحقیق: د. محمّد رشاد سالم، الطبعة: الأولی، ۱۴۰۶ه.

۲۶. الأحکام السلطانیة، قاضی أبی یعلی، طبع الریاض.

۲۷. تطهیر الاعتقاد من أدران الإلحاد، محمّدبن إسماعیل الأمیر الکحلانی الصنعانی، تحقیق: إسماعیل الأنصاری، الطبعة الاولی، الریاض، دار البشیر.

۲۸. تاریخ الخلفاء، عبدالرحمن‌بن أبی‌بکر السیوطی، تحقیق: محی‌الدین عبدالحمید، القاهرة، مطبعة السعادة، ۱۳۷۱ه.

۲۹. تاریخ الإسلام ووفیات المشاهیر والأعلام، شمس‌الدین محمّدبن أحمدبن عثمان الذهبی، تحقیق: د. عمر عبدالسلام تدمری، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۴۰۷ه.

۳۰. تاریخ الجزیرة العربیة فی عهد محمّدبن عبدالوهاب، حسین خزعل، طبع بیروت.

۳۱. خلق أفعال العباد، محمّدبن إبراهیم‌بن إسماعیل أبوعبدالله البخاری الجعفی، تحقیق: د. عبدالرحمن عمیرة، الریاض، دار المعارف السعودیة، ۱۳۹۸ه.

۳۲. خلاصة الکلام فی تاریخ أمراء البلد الحرام، أحمد زینی دحلان، طبع إستانبول.

۳۳. درء تعارض العقل والنقل، تقی‌الدین أحمد بن عبدالسلام بن عبدالحلیم بن عبدالسلام‌بن تیمیة، تحقیق: عبداللطیف عبدالرحمن، بیروت، دار الکتب العلمیة، ۱۴۱۷ه-.

۳۴. دفع شبه من شبّه وتمرّد، تقی الدین أبی‌بکر الحصنی الدمشقی، مصر، المکتبة الأزهریة للتراث.

۳۵. رسائل ابن عبدالوهاب أو مؤلّفات محمّدبن عبدالوهاب فی العقیدة، محمّدبن عبدالوهاب،

ص: ۲۲۰

۳۶. تحقیق: عبد العزیز زید الرومی، د. محمّد بلتاجی، د. سید حجاب، الریاض، جامعة الإمام محمّد بن سعود.

۳۷. شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة من الکتاب والسنّة وإجماع الصحابة، أبوالقاسم هبةالله‌بن الحسن‌بن منصور اللالکائی، تحقیق: د. أحمد سعد حمدان، الریاض، دار طیبة، ۱۴۰۲ه.

۳۸. صحیح مسلم، مسلم‌بن الحجاج أبوالحسین القشیری النیسابوری، تحقیق: محمّد فؤاد عبدالباقی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی.

۳۹. فتاوی مهمّة لعموم الأمّة، عبدالعزیزبن باز محمّدبن صالح العثیمین، تحقیق: إبراهیم الفارس، الطبعة: الأولی، الریاض، دار العاصمة، ۱۴۱۳ه.

۴۰. فتیتان تتعلّقان بتکفیر الجهمیة وأنّ الصلاة لا تصح خلف من لا یکفّر الجهمیة ومسائل أخری، إبراهیم‌بن عبداللطیف آل الشیخ و عبدالله‌بن عبداللطیف آل الشیخ و سلیمان‌بن سحمان الخثعمی، تحقیق: عبدالعزیزبن عبدالله الزیر آل حمد، الطبعة: الأولی، السعودیة، دار العاصمة، ۱۴۱۵ه.

۴۱. مسائل أحمدبن حنبل روایة ابنه عبدالله، عبدالله‌بن أحمدبن حنبل، تحقیق: زهیر الشاویش، الطبعة: الأولی، بیروت، المکتب الإسلامی، ۱۴۰۱ه.

۴۲. مسائل الجاهلیة التی خالف فیها رسول الله أهل الجاهلیة، محمّدبن عبدالوهاب، تحقیق: محمود شکری الألوسی، المدینة المنوّرة، الجامعة الإسلامیة، ۱۳۹۶ه.

۴۳. منهاج السنّة النبویة، أبوالعباس أحمدبن عبدالحلیم‌بن تیمیة الحرّانی، مؤسسة قرطبة.

۴۴. لمعة الاعتقاد الهادی إلی سبیل الرشاد، أبومحمّد عبدالله‌بن أحمدبن قدامة المقدسی، تحقیق: بدربن عبدالله البدر، الطبعة: الأولی، الکویت، الدار السلفیة، ۱۴۰۶ه.

۴۵. منهج أهل السنّة والجماعة فی نقد الرجال والکتب والطوائف، ربیع‌بن هادی المدخلی، القاهرة، دار المنهاج، ۱۴۲۸ه.

۴۶. مجموع کتب ورسائل وفتاوی ابن تیمیة، أبوالعباس أحمد عبدالحلیم‌بن تیمیة الحرانی، تحقیق: عبدالرحمن‌بن محمّدبن قاسم العاصمی النجدی، الطبعة: الثانیة، مکتبة ابن تیمیة.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخيص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفیق.